كتاب أدبيات الطفولة في الفكر الإسلامي

ج ١

كتاب

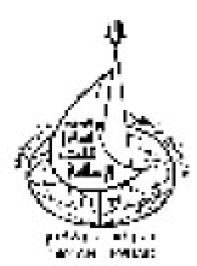
أدبيات الطفولة في الفكر الإسلامي

الجزء الأول



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ/٢٠١٢م.



أدبيات الطفولة في الفكر الإسلامي: الجزء الأول

مجموعة من المؤلفين؛

تدمك:
موضوع الكتاب

رقم التصنيف:
٢٨- **رقم الإيداع:**

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد لا تعبر بالضرورة عن رأيه وإنما عن آراء واجتهادات مؤلفيها

فهرس الجزء الأول

المهاد الأصولي لأدبيات الطفل: القرآن والسنة

د. عبد الرحمن النقيب

ظل القرآن الكريم وسنة النبي r هما الموردان الثقافيان الصافيان لدى الأديب المسلم سواء كتب للأطفال أم للكبار طوال العصور الإسلامية الزاهرة، فمنذ ظهور الإسلام وحتى ظهور النظام التعليمي الغربي في دول العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر وما بعده وحتى الآن كان التعليم في جميع أنحاء العالم الإسلامي " يبدأ بالكتَّاب " وجمعها كتاتيب، وقد انتشرت تلك الكتاتيب في أنحاء العالم الإسلامي بحيث لم توجد مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب أو عجم إلا ووجد فيها الكتَّاب حيث قرأ القرآن وحفظ وكتب. ويضاف إلى القرآن غالبا شيء من حديث الرسول r بحيث لم يوجد طفل متعلم إلا وقد ورد على الكتاب وجلس إلى الشيخ وحفظ القرآن كله أو أجزاء منه يضاف إلى ذلك شيء من حديث الرسول r[١].

وسواء تناول الطفل تعليمه الأول في الكتاتيب وهو الغالب الأعم أم في المنزل إذا كان ميسور الحال أو من علية القوم، فإن القرآن والحديث كلاهما كانا زاده الأولى ومورده العذب الذي ينهل منه. وقد ترتب على ذلك أن جميع أطفال المسلمين المتعلمين أو الذين تناولوا العلم في تلك العصور الإسلامية الطويلة قد تخلل القرآن والسنة تكوينهم العقلي منذ نعومة أظافرهم وطوال مرحلة التعليم الأولى في حياتهم. ولاشك أن هذا المهاد الأصولي: القرآن والسنة قد أحدثا تأثيراتهما الدينية والخلقية والأدبية والعلمية على أطفال المسلمين طوال تلك الفترة التاريخية الطويلة والممتدة.

وليست هذه الدراسة هي المكان المناسب لمناقشة أثر ذلك التكوين القرآني والحديثي على الطفل المسلم طوال تلك المرحلة التاريخية الطويلة، ومتى كان هذا التأثير إيجابيا، ومتى أصبح تأثيره أقل نفعا، والأسباب التي أدت إلى عدم الاستفادة الكاملة من هذين الموردين الصافيين في تربية الطفل

في عصور التخلف ثم في عصور الاحتلال الأجنبي والتبعية الثقافية والتربوية، وهو موضوع جدير بالدراسة والبحث لمعرفة تطور علاقة الطفل المسلم – المتعلم طبعا – بالقرآن والسنة، ومتى كانت تلك العلاقة قوية ومثمرة ومتى أصبحت ضعيفة ومجدبة؟ والأسباب المجتمعية المختلفة المسئولة عن تلك الظاهرة وجودا واستمرارا حتى اليوم.

إلا أن هذه الدراسة تريد أن تلفت النظر إلى المكانة السامقة التي احتلها القرآن واحتلتها السنة في تعليم وتأديب الطفل المسلم، بحيث أن أي دراسة لأدبيات الطفل المسلم أو تربيته تكون ناقصة إذا هي تجاهلت الأثر الكبير للقرآن والسنة في هذا الأدب وتلك التربية خصوصا إذا كانت الدراسة تتناول الفترة التاريخية الممتدة من ظهور الإسلام وحتى ظهور النظام التعليمي الغربي في دول العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر وما بعده حتى الآن. وإذا كان أثر القرآن والسنة على أدب الطفل وتربيته خلال تلك الفترة الطويلة الممتدة أثرا قويا لا يمكن إنكاره، فإن هذا الأثر ما زال يفعل فعله بدرجات أقل حتى عصرنا الحديث. فمازال القرآن ومازالت السنة بدرجات متفاوتة مصدر إيحاء للأدب، ومصدر توجيه للتربية ومنها أدب الطفل وتربيته.

إن الأدباء والتربويين المسلمين لا يمكنهم أن يفلتوا تماما من أثر القرآن وأثر السنة في تكوينهم العقلي وإنتاجهم الأدبي والتربوي حتى اليوم، وإن تفاوتوا في درجة الاستفادة منهما والنهل من معينهما باختلاف نوع التعليم الذي تلقوه في مراحل تعليمهم المختلفة. ولعل دراسات تالية أن تهتم بهذا الموضوع للكشف عن مدى تأثر الأدباء والتربويين بالقرآن والسنة فيما يصدرون من أعمال أدبية وتربوية مختلفة. من أجل ذلك كله كانت أهمية بدء

تلك الدراسة ببعض الومضات القرآنية والحديثية التي لاشك أنها تركت بصماتها على أدب الطفل وتربيته عبر العصور الإسلامية وحتى اليوم.

ولنبدأ ببعض النصوص القرآنية التي تدعو إلى طلب العلم وترفع منزلة العلماء وتعظم قيمة العلم في حياة الناس وتطلب من المعلم الرحمة بطلابه وعدم الغلظة في معاملاتهم، واحترام العلماء وتوقيرهم، والعودة إليهم بالسؤال فيما يجهل، وعدم الأخذ بالظن والقول بغير دليل إلى غير ذلك من المعاني التي رسخت في قلوب وعقول الأطفال منذ نعومة أظفارهم. يقول الله تعالى:

[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] (فاطر: ٢٨)

[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] (آل عمران:١٥٩)

[الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] (العلق: ٤ – ٥)

[خَلَقَ الْأِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ] (الرحمن: ٣ – ٤)

[وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً] (طه: ١١٤)

[قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] (البقرة: ٣٢)

[وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً] (النجم: ٢٨)

[وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] (الإسراء: ٣٦)

ويؤكد الحديث الشريف تلك المعاني. فيقول r [٢]:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم)

(لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي ويعلمها)

(الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)

(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)

(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)

ويؤكد القرآن الكريم على أن العلم بالتعلم، وأن الإنسان يولد جاهلا، ثم يتعلم، وأن الله أعطاه القدرة على التعلم طوال سنين حياته حتى يرد إلى أرذل العمر، ويحذر القرآن من عدم تدبر الآيات القرآنية والكونية ومن الجدال بغير علم، يقول تعالى:

[وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون] (النحل: ٧٨)

[وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً] (النساء: ١١٣)

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] [المجادلة: ١١]

[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] (الزمر: ٩)

[وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً] (الحج: ٥)

[أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] (محمد: ٢٤)

[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ] (الحج: ٣)

ويؤكد الحديث الشريف على تلك المعاني القرآنية، فيقول r [(٣)]:

" من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء، وأن فضل العالم على العالم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ".

" تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمـــن تتعلمـــون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء ".

" مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مـــالا لا ينفق منه "

كما يلفت القرآن نظر المسلمين إلى آياته الكونية وضرورة تدبر آياتـــه الكونية والقرآنية معا، ويهدد الغافلين عن تلك الآيات بـــالتخلف فـــي الـــدنيا والعقاب في الآخرة، مما يستدعى من المسلم ضرورة الوعي بتلـــك الآيـــات القرآنية والكونية معا. يقول تعالى:

[إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ] (الأنفال: ٢٢)

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِـــي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَـــا بِـــهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] (البقرة: ١٦٤)

[وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُون] (السجدة: ٩)

[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّـــدُورِ] (الحـــج: ٤٦)

[وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُـــونَ بِهَـــا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُـــمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] (الأعراف: ١٧٩)

[أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ] (الواقعة: ٥٨ – ٥٩)

[أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ] (الواقعة: ٦٦ – ٦٩)

[أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ] (الواقعة: ٧١ – ٧٢)

ويؤكد الحديث الشريف تلك المعاني، فيقول r [٤]:

" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتعلمون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا أنزلت عليهم السكنية وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

" من طلب العلم ليباهى به العلماء أو ليجارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم "

" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر "

كذلك حاولت الآيات القرآنية أن ترتفع بأفراد الأمة إلى الآفاق العالية أخلاقيا وسلوكيا، وكيف لا وهم حملة الرسالة، ولذلك ينبغي أن يكونوا خير أمة علما وعبادة وخلقا لكي يكونوا أسوة حسنة لغيرهم من الأمم. ونكتفي بإيراد باقة قرآنية ممثلة لتلك التوجيهات القرآنية الرفيعة. يقول تعالى:

[وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] (آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤)

[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] (آل عمران: ١١٠)

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] (المائدة: ٢)

[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (التوبة: ٧١)

[وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] (الشورى: ٣٨)

[لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً] (النساء: ١١٤)

[وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً،

وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً، وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً، وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً، أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً] (الفرقان ٦٣:٧٥)

[إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ] (الرعد: ١١)

[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ] (محمد: ٣١)

[أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى] (النجم: ٣٨ – ٤٠)

[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (الأعراف: ٣٢)

[وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] (القصص: ٧٧)

[كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ] (سبأ: ١٥)

[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] (الأعراف: ٣١)

[إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين (البقرة: ٢٢٢)

ويؤكد الحديث الشريف تلك المعاني. فيقول r [٥]:

" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ".

" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ".

" اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ".

" من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها "

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ".

" لا يحل لمسم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال: يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام "

" الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع "

ويهتم القرآن ببلاغة القول كما يهتم ببلاغة المعنى، كما يشير إلى أهمية اللسان العربي لغة القرآن الكريم، ويكثر من سرد القصص القرآني ويضرب الأمثال ويورد الحكم وكأنه يدعم المسلم بذلك كله إلى بلاغة القول وغزارة العلم. يقول الله تعالى:

[أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] (إبراهيم: ٢٤ – ٢٦)

[إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ] (فاطر: ١٠)

[خَلَقَ الْأِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ] (الرحمن: ٣ – ٤)

[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] (النحل: ١٠٣)

[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون] (المؤمنون: ١ – ٣)

ويؤكد الحديث الشريف هذه المعاني التي تدور حولها النصوص القرآنية السابقة التي تحذر من لهو الحديث وفضوله والتكلف فيه، فيقول r [٦]:

" إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون"

" إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه".

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "

وطبيعي أن يقرأ الطفل المسلم مثل تلك الآيات وتلك الأحاديث عبر العصور الإسلامية الزاهرة فتحدث في نفسه وعقله آثارها القوية سواء كان طفلا أم أصبح بعد ذلك بالغا ينتج الأدب للكبار أو الصغار، أو ينتج الأدب التربوي لتربية الطفل، فلا غربة إذا وجدنا أدب الطفل وتربويات الطفل طوال تلك العصور الإسلامية متأثرة إلى حد بعيد بالقرآن الكريم والسنة المطهرة على نحو ما سيتضح خلال الصفحات القادمة وما بعدها.

تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي:

لعلنا لا نستطيع أن نتحدث عن أدبيات الطفولة في الإسلام، دون الحديث عن تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي، ذلك أن تلك التربية هي التي تعد الطفل الذي يوجه إليه أدب الطفل، وكما تكون تلك التربية يكون أدب الطفل الموجه إليه. فالتربية تحدد نوعية الأدبيات المناسبة لها والتي تحقق أهدافها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التربية هي التي تنتج لنا الأديب بتكوينه العقلي والنفسي والأدبي والوجداني والتي يبدع لنا أنواعا مختلفة من الأدب – ومنها أدب الطفل – تناسب هذا الروح التربوي التي تسرى في تكوينه السابق لإبداعه الأدبي. ومن ثم كان الحديث عن تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي ضرورة من ضرورات تلك الدراسة.

ويواجه الباحث في تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي الكثير من المشكلات منها:

أولا: اتساع الرقعة الزمانية والمكانية التي امتد فيها الإسلام ليشمل مساحة واسعة من جغرافيا العالم ومن تاريخه بحيث يصعب بالفعل أن نتحدث عن تربية واحدة للطفل المسلم عبر العصور التاريخية المختلفة: (النبوي، الخلفاء الراشدين، الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، الخلافة العثمانية، العصر الحديث) كما يصعب أيضا أن نتحدث عن تربية واحدة للطفل المسلم عبر القارات والبلدان التي امتد إليها الإسلام، إن الدراسات المتعمقة لتلك التربية عبر الزمان وعبر المكان لم تظهر بعد، ولعل الدارسين والباحثين لا يملكون الحماس الكافي لمثل تلك الدراسات، ويفضلون الدراسات التربوية التي تتناول الواقع المعاصر، بل والدراسات المستقبلية، رغم أن مثل تلك الدراسات التاريخية المتعمقة قد تفيدنا كثيرا في فهم الحاضر وبناء المستقبل.

ثانيا: تعدد المصادر التي تناولت تلك التربية، ذلك لأن الأدبيات التي تناولت تربية الطفل عبر العصور الإسلامية قد توزعت لتشمل المراجع والمصنفات في الأدب والتراجم والتاريخ والفقه وفلسفة العلوم والسياسة والأخلاق والتصوف وأدب المناظرة وكتب الحكم والمواعظ بجوار قليل من الأدبيات التي ألفت للغرض التربوي خاصة، بحيث تقضى الدراسة المتعمقة لتربية الطفل في تلك العصور الإسلامية القراءة الواسعة في تلك الأدبيات العامة والخاصة معا. ولعل الكثير من الدارسين والباحثين لا يملكون

الحماس الكافي لتلك القراءة الواسعة ويفضلون الدراسات التربوية التي تقتصر على الأدبيات الحديثة التي ألفت للغرض التربوي خاصة سواء باللغة العربية أم الأجنبية، رغم أن مثل تلك القراءات الواسعة في الأدبيات العامة والخاصة هي وحدها التي يمكن أن تقدم صورة واضحة ومتكاملة لتربية الطفل في العصور الإسلامية المختلفة.

ثالثا: تأسيسا على ما سبق فإن الباحث والذي لا يملك الوقت الكافي لمثل تلك الدراسات المتعمقة طولا وعرضا كما هو الحال في هذا الجزء من الدراسة الحالية، فإنه يكتفي بعرض الصورة المثال، أو الصورة المنوال التقريبية التي يرى أنها الصورة الأكثر تمثلا لروح الإسلام والأكثر شيوعا في التطبيق في العصور الإسلامية قبل أن تسقط الخلافة، وتستبدل الأمة نظامها التربوي الإسلامي الشبه واحد (أو نظامها التربوي التوحيدي) بنظام تربوي غربي قومي ثم قطري (النظام التربوي التفكيكي)، علما أن هذه الصورة المثال أو المنوال رغم اعتمادها بشدة على الشواهد الصحيحة من الأدبيات التربوية العامة والخاصة. وعلى الشواهد التاريخية من المصادر الأولوية الموثوقة، إلا أنها تخفى في عموميتها الشديدة الكثير من التباين في تربية الطفل المسلم عبر اختلاف الزمان والمكان وهو ما لا يمكن أن تنهض به إلا الدراسات المتعمقة المحددة بالزمان والمكان، ومن ثم عنونا لهذا الجزء من الدراسة بتربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي شعورا منا بأن تلك الصورة المثال أو المنوال في عصور الازدهار الإسلامي كان يقابلها صورة أقل مثالية في العصور الأخرى غير المزدهرة

إسلاميا. وطبيعي أن نترك تحديد تلك العصور المزدهرة أو غير المزدهرة تحديدا تاريخيا وعلميا دقيقا لأن هذا أيضا يحتاج إلى مزيد من الدراسة المتعمقة.

ولما كانت تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي يمكن أن تمتد لتشمل محاور كثيرة قد تناولها علماء التربية المسلمين بالدراسة بحيث يجد الدارس بالفعل أدبيات كثيرة عامة وخاصة اهتمت بالطفل في جميع مراحل نموه: اهتمت به وليدا، وتناولت كل ما يتعلق بغذائه رضيعا ونومه ورضاعه وفطامه ونظافته واستحمامه ورياضته، كما تناولت مرحلة طفولته المبكرة – قبل الذهاب إلى الكُتَّاب – وكل ما يتعلق بها من رعاية أخلاقية وبدنية ووجدانية، ولعل مراجعة بعض تلك الأدبيات أن يوضح للدارسين والباحثين مدى اهتمام علماء المسلمين بطفل ما قبل التعليم النظامي الابتدائي.(٧)

ولأغراض تلك الدراسة فسوف نركز هنا على تربية الطفل النظامية (الكُتَّاب) أو التعليم الابتدائي ويفضل الباحث أن يستخدم لتلك المرحلة مصطلح التعليم الابتدائي لأنه يحمل في ثناياه إشارة إلى الترتيب وإلى أن هناك مرحلة تالية أطلق عليها الباحث في دراسة سابقة له مرحلة التعليم الأعلى Further education وهى المرحلة التالية لمرحلة التعليم الابتدائي عند المسلمين، والتي كانت بالنسبة لهم هي مرحلة الإعداد التربوي والمهني للمتعلمين (٨). غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن تلك المرحلة الابتدائية عند المسلمين لم تكن تعنى بالضرورة أن كل الأطفال الذين تلقوا التعليم الابتدائي ينتقلون إلى المرحلة التالية بل أحيانا كانت تلك المرحلة تعتبر تعليما أوليا أساسيا Elementary Education ينتقل الأطفال بعده إلى الحياة العملية والمهنية، أي أن تلك المرحلة كانت مرحلة ابتدائية بالنسبة لبعض الأطفال

ذوى الاستعدادات العلمية والعقلية، وكانت مرحلة منتهية بالنسـبة للآخـرين ذوى الاتجاهات العملية والمهنية.(٩)

وعندما نركز هنا على " التعليم الابتدائي " للطفل كمرحلة أولـى فـي التعليم الإسلامي نحب أن نلفت النظر منذ البداية إلى أن هذا التعليم الابتـدائي لم يكن نظاما مغلقا Closed System معلوم البداية محدد النهاية. بل كانت تلك المرحلة ومثلها المرحلة التالية نظاما مفتوحا Open System يقبل عليه الطالب عندما يشاء وينتهي منه عندما يشعر ويشعر أستاذه معـه أنـه أهـل لذلك(١٠). وقد يقضي تلك المرحلة في الكُتَّاب أو ينتهي منها على يـد مـؤدب يحضر إليه في منزله وقد تتسع مواد الدراسة وقد تضيق، وقد تطـول مـدة الدراسة وقد تقصر كل ذلك حسب ظروف الطالب واستعداداته. ومن ثم فإنه من الخطأ أن يحاول بعض الدارسين أن يطبق أشكال الـنظم المغلقـة علـى التعليم الإسلامي وسنلقى هنا نظرات سريعة على تلك المرحلة الابتدائية تبين طبيعتها ومحتواها وأهدافها ووسائلها لتحقيق تلك الأهداف.

مؤسسات تربية الطفل:

لقد عرف المسلمون (الكُتَّاب) أو (الكتاتيب) لتعليم القرآن قراءة وكتابة منذ عهد الرسول r كما يرى الباحث اعتمادا على رواية ابن حزم – وهـو رأى مازال يحتاج إلى مزيد من الأدلة والتدعيم – حيث يصور ابن حزم مـا وصل إليه المجتمع الإسلامي في عهد الرسول والخلفاء الراشدين من شـيوع العلم والتعليم بقوله: مات رسول الله r والإسلام قد انتشر وظهر في جميـع جزيرة العرب من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم مارا إلى سواحل اليمن كلها إلى بحر فارس إلى منقطعة مارا إلى الفرات ثم على ضفة الفرات إلـى منقطع الشام إلى بحر القلزم. وفى هذه الجزيرة من المـدن والقـرى مـا لا

يعرف عدده إلا الله كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طيء وربيعة وقضاعة والطائف ومكة كلهم قد أسلموا وبنوا المساجد ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب. وتأمل قوله: ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب، ليتضح لك كيف أن الحركة التعليمية في عصر رسول الله r قد امتدت إلى المدن والقرى والحلل، وكيف أن القرآن قد درس قراءة وكتابة للصبيان والرجال والنساء.

أما عن استمرار تلك الحركة التعليمية والتربوية في عصر الخلفاء الراشدين فإن ابن حزم يقول: " ثم مات أبو بكر وولى عمر ففتحت بلاد الفرس طولا وعرضا وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقا وغربا " مما يؤكد على أن حركة التعليم كانت قد تدعمت في المجتمع الإسلامي الأول، وأن مكاتب الصبيان لتعليم القرآن كانت قد أنشئت بالفعل في عهد عمر بن الخطاب على الأكثر إن لم يكن قبل ذلك، وليس في العصر الأموي كما تذهب إلى ذلك أكثر الدراسات المعاصرة جريا وراء أسطورة أن عهد الرسول والخلفاء الراشدين لم يكن عهد استقرار وعلم وتعليم بقدر ما كان عهد غزوات وفتوح، ولقد غاب عن هؤلاء الدارسين أن الفتوح والغزوات لم تكن هادفا في حد ذاتها، تعطل من أجله شئون العلم والتعليم، وإنما كانت تلك الفتوح والغزوات وسيلة لإزالة العوائق التي تحول بين المسلمين وتأدية فرض أساسي من فروض دينهم ألا وهو نشر الدين الإسلامي على أوسع نطاق ممكن، ولم يكن هذا الغزو حائلا بين المسلمين وبين العلم والتعليم، بل كان أداة من أدوات نشر الدعوة وما يتصل

بها من علم وتعليم[١١]، ولقد كانت سياسة الرسول وخلفائه الراشدين تتمثل في الاتصال بمختلف الوسائل بالقبائل والشعوب المجاورة ودعوتهم إلى الإسلام، وعندما كان هؤلاء يقبلون الدعوة كان العلماء يتجهون إليهم لتعليمهم أركـــان الدين، وعندما كانوا يرفضون ويبدأ القتال كان فتح بلد من البلدان يعنى انتقال المسلمين من مرحلة الفتح إلى مرحلة تعليم الدين الإسلامي والقـــرآن الكـــريم [١٢]. من هنا نفهم لماذا كانت الجيوش الإسلامية في صـــدر الإســـلام تضـــم القضاة والعلماء والقراء لكي يعلموا الجند الإسلامي من ناحية، ولكي يباشروا مهمتهم التعليمية والحضارية في البلدان التي تخدم الإسلام من ناحية أخـــرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد كان جيش اليرموك على طريق الشام يضم قاضيا هو أبو الدرداء وقاصا هو أبو سفيان بن حرب، وقارئا هو المقداد بن الأسود [١٣]، وجريا على السنة التي سنها الرسول في معركة بدر فإن قـــادة الجيش الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب قد طلبوا من أسرى الشام الـــذين يجيدون الكتابة تعليمها للمسلمين، مثل ذلك ما يروى البلاذري من أن أســـرى قيسارية وضعوا في الجرف (وهو معسكر المسلمين في فلســـطين) وطلـــب منهم تعليم المسلمين الكتابة[١٤]، ولعل هذه الشواهد التاريخيـــة أن تظهـــر أن الفتوح الإسلامية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين لم تكن ملهاة عن نشـــر العلم والتعليم، بل كانت أداة لنشر العلم الإسلامي ودليلا علـــى أن المســـلمين كانوا قد أشربوا حب العلم والتعليم، يمارسونه في سلامهم ويمارســـونه فـــي حربهم، وفرق هائل بين القادة عباقرة الحـــرب مثـــل الإســـكندر المقـــدوني ونابليون وهتلر وموسيليني... الخ. وبين قادة عباقرة الحضارة مثل خالد بـــن الوليد وأبى عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبى الوقاص وعقبة بن نافع... الخ. بين هؤلاء الذين حققوا انتصارات حربية باهرة في الزمان الأقصر ولم يخلفوا آثارا حضارية وثقافية من بعدهم وهؤلاء الذين فتحوا الـــبلاد شـــرقا

وغرباً ثم بقيت آثارهم ظاهرة في السياسة والحضارة والثقافة.[15]

من كل ما سبق يتضح لنا شيء من تلك الروح العلمية والتعليمية التي جاء بها الإسلام والتي حركت العرب إلى الإقبال على العلم والتعليم، يقبلون عليه في أوقات السلام ويقبلون عليه في أوقات الفتوح والغزوات، وستظل هذه هي السمة الغالبة على المجتمع الإسلامي عبر العصور الإسلامية الزاهرة فحيثما ذهب المسلمون أقاموا حلقات العلم ومؤسسات التعليم وإن اختلفت أسماء تلك المؤسسات وتعددت المناهج باختلاف العصور واختلاف الحاجات العلمية والتعليمية مما يؤكد لنا أن عصر الرسول والخلفاء الراشدين كان بحق عصر التحول العلمي والتعليمي في حياة العرب وهو بهذا المعيار –يعد في نظرنا – من أزهى العصور الثقافية في حياة العرب والمسلمين.

ويقف الدارسون للتربية الإسلامية طويلا أمام المكان الذي كان يوجد به الكُتَّاب هل كان بالمسجد؟ أم كان مستقلا؟ ويميل أكثرهم إلى أن الكُتَّاب قد بدأ في المسجد ثم صار بعد ذلك مستقلا، ويرون أن استقلال الكُتَّاب عن المساجد كان بسبب عبث الصبيان الذين لا يتحفظون من النجاسة مما جعل الفقهاء يمنعون تعليم الصبيان في المسجد ويأمرون المعلمين أن يتخذوا لهم أماكن منفصلة عن المساجد لتعليم الصبيان[16] يقول أحمد شلبي: " وردت توصيات كثيرة بألا يكون الكُتَّاب في المسجد "، ومن ذلك ما قاله الإمام مالك حينما سئل عن ذلك: " لا أرى ذلك يجوز لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة " وقد ورد في كتاب السنة ما يؤيد ذلك فقد نصت على أنه " لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد لأن النبي r أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها ولا يتجرزون من النجاسات بل يتخذ

لتعليمهم حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق"(١٧) ورغم ما قاله الفقهاء فإن هناك شواهد تاريخية كثيرة تؤكد أن الكتّاب ظل أحيانا كثيرة في المسجد، والذي يقرأ رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة يجد ذكر كثير من الحلقات التي التف فيها الأطفال في المسجد حول معلم القرآن، وقد ذكر ابن حوقل أمثلة أخرى لهذا النوع.(١٨)

ويعتبر أحمد شلبي هذا تجاهلا لتوصيات الرسول r وتحذيرات الفقهاء ورجال السنة(١٩). فكيف كان ذلك؟ المتأمل في الأمر يجد أن الكُتّاب ظل طوال العصور الإسلامية وحتى عصرنا الحديث غير مقتصر على مكان واحد، فقد وجد مستقلا في الغالب ولكن وجد في المسجد أحيانا أخرى ولم يكن في ذلك إهمال لتوصيات الرسول r أو تحذيرات الفقهاء ورجال السنة ذلك أن الأطفال لهم مكانهم في المسجد عند أداء الصلاة خلف صفوف الرجال مباشرة وقبل صفوف النساء، مما يدل على أن وجود كُتّاب لهم بالمساجد لم يكن بالأمر المكروه دينيا في حد ذاته، وإنما تأتي الكراهة لأسباب أخرى مثل: هل يأخذ المعلم أجرا على تعليمه أم لا؟ وهل يقتصر على تعليم القرآن أم يضم إلى ذلك موضوعات أخرى؟ وكم عدد الأطفال في كل حلقة؟ وما هو الوقت الضروري لأداء هذا العمل التعليمي؟ وما هو عمر الطلاب الذين يحضرون الكُتّاب؟ إلى غير ذلك من الأسباب التربوية التي قد تجعل من المستحسن أن يوجد الكُتّاب خارج المسجد لمصلحة الأطفال التعليمية والتربوية.

ويبدو أن عدد الكتاتيب قد ازداد زيادة سريعة وضخمة حتى أصبح بكل قرية كُتّاب بل ربما وجد بالقرية الواحدة أكثر من كُتّاب. وقد ذكر ابن حوقل أنه عد حوالي ٣٠٠ معلم كُتّاب في مدينة واحدة هي مدينة بلرم في

صقلية [٢٠]. ولاشك أن تلك الزيادة تعكس الطلب الجماهيري على التعليم من ناحية، وما أتيح لهذا الطلب الجماهيري من وسائل الإشباع من ناحية أخرى. فقد أوجب الإسلام على الآباء أن يعلموا أولادهم إذا كانوا قادرين على ذلك[٢١]. وفى حالة عدم القدرة تحفل كتب التراجم بأسماء أساتذة علموا الطلاب مجانا، وطلاب تعلموا من الأوقاف التي كان يحبسها المحسنون محبي العلم والمعرفة بجوار ما كان يسود المجتمع الإسلامي من شعور بالتكافل الاجتماعي بين أفراده، مما أتاح لكثير من الطلاب أن يتعلموا على نفقة صديق أو قريب أو جار... الخ. كذلك وجدت مكاتب للأيتام والفقراء خاصة لرعاية شئونهم وتقديم المعاليم النقدية والعينية لهم ولمؤدبيهم[٢٢]. وأقبل الحكام وغيرهم على إنشاء تلك الكتاتيب للفقراء وغير القادرين حتى إن المنتصر قام بإنشاء ٢٧ مكتبا في قرطبة وحدها لتوفير التعليم المجاني لأبناء الفقراء، وأوقف حوانيت السراجين ليدفع منها مرتبات المعلمين.[٢٣]

بجوار هذه الكتاتيب الموجودة في المسجد أو بجواره أحيانا والمستقلة أحيانا أخرى وتلك المكاتب العامة التي يدفع أولياء الطلاب أجر تعليم أولادهم فيها وتلك التي يتعلم فيها الطلاب الأيتام أو الفقراء، نرى شواهد كثيرة على أن هذا التعليم الابتدائي كان يتم أحيانا في المنازل على أيدي معلمين خصوصيين يحضرهم الآباء من أهل اليسار لتعليم أولادهم وتأديبهم. يقول ابن سينا: " وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كاد يقضى منى العجب"[٢٤]. وسنرى أن ابن سينا لم يؤيد مثل هذا التعليم الخصوصي وفضل عليه أن يكون التعليم في تلك المرحلة " تعليما جماعيا " غير خصوصي ونصح بضرورة تربية الطفل مع غيره لما في ذلك من فوائد تربوية تعود

على الطفل. يقول ابن سينا: " وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صـبية من أولاد الجلة (العظام أو السادة) حسنة آدابهم، رضية عاداتهم، فإن الصـبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه أنس، وانفراد الصبي الواحـد بـالمؤدب أجلب الأشياء لضجرهما، فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلـك أنفى للسآمة وأبقى للنشاط وأحرص للصبي على التعليم والتخرج فإنه يبـاهى الصبيان، والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم لأن كل واحد مـن أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه والتعجب منه سببا لحفظه وداعيا إلى التحـدث بـه. ثـم إنهـم يترافقون ويتعاوضون الزيارة ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفى ذلك تهـذيب لأخلاقهـم وتحريك لفهمهم وتمرين لعاداتهم[٢٥].

وهكذا تعددت أماكن التعليم الابتدائي فهو يتم في كتاب ملحق بالمسـجد أحيانا أو مستقل أحيانا أخرى، وقد يتم في المنازل عن طريق معلم أو مؤدب خصوصي، وقد يكون في مؤسسات ذات مصروفات أو أخرى مجانيـة كـل ذلك وفق ظروف الطالب وظروف المجتمع الذي يعيش فيه.

أهداف التعليم الابتدائي للطفل:

لعل أهم ما يميز التعليم الإسلامي بصفة عامة هو اختلاف هدفه عـن غيره من النظم التربوية. وهو اختلاف قلما يدرك الدارسون أهميتـه. فـإذا كانت النظم التعليمية تتفق على هدف واحد هو إعداد المواطن الصـالح، وإذا كان لكل أمة ولكل مذهب فلسفي تحديد لما هو (المواطن الصالح) فإن هـدف التعليم الإسلامي يتجاوز حدود المواطنة ليعد الإنسان الصالح الـذي تعتبـر المواطنة بكل متطلباتها مجرد بعد من أبعاده. إن التربية الإسلامية تسـتهدف

أولا غرس البعد العقائدي لدى الفرد. وهذا البعد العقائدي هو الأساس الذي ستبنى عليه التربية الإسلامية فيما بعد كافة الأبعاد الأخرى من عبادات وأخلاق ونظم سياسية واقتصادية وعسكرية وصحية... الخ. والذين لا يدركون مقدار أثر هذا البعد العقائدي على التربية يخطئون أحيانا وهم يظنون أن الهدف من التعليم الابتدائي في الإسلام كان هدفا دينيا بحتا ولا علاقة له بالدنيا وعمارتها، بل إن بعضهم قد ذهب إلى أن التربية الإسلامية – من خلال حديثه عن الغزالي – إنما " هي تربية للآخرة وليست للدنيا، تربية لمجتمع لا يتغير إلا إلى أسوء ولا يسير إلا إلى الوراء، وهو مجتمع لا يسيطر على نفسه ولا يوجه ذاته بقدر ما يخضع لسيطرة وتوجيه قوة خارجة عنه... الله... الذي خلقه ويسيطر عليه سيطرة مطلقة، ومن ثم فهو مجتمع لا هدف له إلا أن يقيم دين الله، بأن يهيئ الفرصة لعبيده لممارسة شعائر الدين"[٢٦]. وكأن الهدف من إقامة دين الله مجرد ممارسة الشعائر الدينية أو العبادات بالمعنى الديني الضيق. ونسى هؤلاء الدارسون أو لعلهم يجهلون أن إقامة دين الله يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية، كذلك فإن الخضوع لله ليس مجرد خضوع أعمى لسلطة خارجية مطلقة بل هو خضوع عاقل يحرر الإنسان من جميع السلطات التي تريد أن تستبد به على الأرض.

وإذا كانت أدبيات التربية الإسلامية تركز على ضرورة الاهتمام بهذا الجانب العقائدي في تلك المرحلة وكل ما يتصل بتدعيمه وتقويته في نفس الطفل فذلك لأن هذا هو الأصل الذي تبنى عليه سائر الفروع والتكاليف الإسلامية. ويشمل هذا الهدف العقائدي مساحة واسعة من اهتمام الفكر التربوي الإسلامي في تلك المرحلة بالذات، بل وسيظل من أهداف المرحلة التالية أيضا على نحو ما تؤكده الكثير من الدراسات التربوية، إن إعداد الإنسان العابد لله بالمعنى الإسلامي الواسع للعبادة والذي يشمل كل تصرفات

الإنسان وسلوكه وأقواله وأفعاله في تلك الحياة هو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية. وسوف ينعكس ذلك على منهج تلك المرحلة من حيث المحتوى ودرجة الاهتمام بكل موضوع دراسي وعلاقة المعلم بطلابه وعلاقته بالآباء والمجتمع والسلطة... الخ.

مناهج التعليم الابتدائي للطفل:

سبق أن ذكرنا أن التعليم الابتدائي كان يتم في أماكن متعددة، إما داخل المسجد أو الكتاتيب أو المنازل والقصور، وطبيعي أن يختلف المنهج اتساعا وضيقا باختلاف نوعية المؤسسة وباختلاف الأهداف الخاصة من هذا التعليم. ولما كانت طبيعة التعليم الإسلامي كما سبق أن ذكرنا تعليما مفتوحا (Open System) فمن الخطأ أصلا أن يصر الدارسون لهذا التعليم على وضع مراحل دراسية محددة له، ووضع مناهج محدودة لكل مرحلة بل وربما وضع نظم امتحانات، والذي يقرأ في أدبيات التربية الإسلامية يتأكد له أنه لم توجد تلك التقسيمات العصرية إلى مراحل تعليمية ولم توجد المتطلبات الدراسية لكل مرحلة. ولكن الطالب كان يقبل على العلم في تلك المرحلة ليأخذ منه على قدر استعداده وما يريد له ولى أمره في المستقبل. فهو إذن نظام تعليمي مفتوح يقوم على حرية الطالب وحرية أولياء الأمور في اختيار ما يريدون من دراسات وما يريدون من تعليم أعلى أو مجرد تعليم أولى يكسب الإنسان شخصيته الإسلامية ثم يتجه بعد بذلك إلى حرفة أو مهنة. ولذلك فإن أدبيات التربية الإسلامية تذكر موضوعات عديدة يمكن دراستها في تلك المرحلة مثل حفظ القرآن وبعض الأحاديث وتعلم الكتابة ومبادئ النحو والحساب والشعر

والتاريخ والقصص... الخ، وتترك للطالب حرية أن يدرس منها ما يشاء من موضوعات.

ولاشك أن موضوع تعلم القرآن قراءة وكتابة كان الموضوع المحوري في هذا التعليم مهما كانت المؤسسة التي تقدمه، ومهما كانت طبيعة المرحلة التعليمية القادمة فسواء اتجه الطالب فيما بعد إلى الدراسات الأدبية أو الدراسات الدينية أو الدراسات العلمية أو اتجه اتجاها مهنيا أو حرفيا.. الخ فإن حفظ القرآن وتعلمه قراءة وكتابة كان شعار التعليم الإسلامي وأهم سماته على الإطلاق. ولم يقبل المسلمون على تعليم القرآن بحماس ديني يفتقد المبررات العقلية والأسس الاجتماعية بل كان إقبالهم على ذلك بناء على إدراك سليم بأن حفظ القرآن في تلك المرحلة تكسب الطفل الطابع الإسلامي الأصيل. يقول أحمد فؤاد الأهواني: " وكان حفظ القرآن أو حفظ ذلك القدر اليسير منه كافيا في طبع الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة، فالقرآن ديوان المسلم، فيه جوهر العقيدة وفيه تفصيل العبادات وفيه إرشاد للسلوك الفاضل والطريق المستقيم ".[٢٧]

ويوضح ابن خلدون ذلك بقوله: " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق منه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي تبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل ما بعده. لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه "[٢٨].

لذلك حرص المسلمون حرصا بالغا على أن يبدأ الطفل بحفظ القـرآن وخشوا أن يشغل بأي موضوع آخر عن حفظه، أو ينصرف عن التعليم كلية دون أن يحفظ جزءا مناسبا منه. يقول ابن خلدون: " ووجه ما اختصت بـه العوائد من تقدم دراسة القرآن إيثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن، لأنه مادام فـي الحجر – لم يصل إلى سن البلوغ – منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحـل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالـة – عـدم التعليم – فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يـذهب خلوا منه.[٢٩]

والذين يحاربون حفظ القرآن من رجال التربية المعاصرين فـي تلـك المرحلة بدعوى عدم إدراك الطفل لمعاني القرآن أو حتى عدم جدوى حفظـه في تلك المرحلة المبكرة [٣٠] لا يدركون ظروف المجتمع الإسلامي الثقافيـة التي جعلت من حفظ القرآن أهم الموضوعات على الإطلاق، كـذلك فـإنهم للأسف نادرا ما يدركون ما يمثله حفظ القرآن بالنسبة للمـتعلم، إذ أن حفظـه في صغره سيمده فيما بعد بالنبع الثقافي الثرى الذي سيسـتمد منـه شـواهده وأدلته على ما سيصادفه من مشكلات عقلية وفكرية.

وبجوار تعليم القرآن الذي هو محور المنهج الإسلامي في تلك المرحلة تعتبر العبادات الإسلامية محورا آخرا من هذا المنهج. فالطفل لابد أن يـتعلم كيف يؤدى ما كلف به من عبادات وعلى المعلم أن يراعى ذلك فيعلم الأولاد الصلاة والوضوء لها وآدابها وأحكامها ويدربهم على الصيام عندما يطيقـون ويأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ويضربهم عليهـا إذا كـانوا بنـي عشر[٣١]، ويراقب أحوالهم في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا فمـن

صدر منه من ذلك ما لا يليق عالجه المعلم بما يتناسب من تأديب أو زجر أو لوم أو عقاب.[٣٢].

ثم يأتي بعد ذلك ضرورة أن يتعلم الطفل الكتابة والأدب ومبادئ النحو والحساب والحديث والتاريخ والسير، ويؤكد المربون المسلمون على ضرورة اختيار الأشعار السهلة التي قيلت في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف[٣٣] وأن نبعد عن الطفل أشعار الهزل والمجون فإنها تغرس في نفوس الأطفال بذور الفساد[٣٤] وكذا الأشعار التي فيها ذكر الحمية والخنا أو قبح الهجاء[٣٥] فالهدف الأخلاقي منها واضح في اختيار النصوص بجوار الهدف الأدبي الذي يتمثل في اكتساب الطفل ملكة اللغة، واستخدام تلك الأشعار للاستشهاد بها فيما يريد بيانه.[٣٦]
أما سيرة الرسول والصحابة وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم فهي تغرس في نفس الطفل حب الصالحين ومحاولة تقليدهم[٣٧]، يقول الأهواني: " وسيرة الرسول هي قدوة المسلمين كما قال تعالى: [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا] (الحشر: ٧) وقال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] (الأحزاب: ٢١) لذلك كان تعليم سيرة الرسول ذا فائدة خلقية عظيمة لأنه يضرب الأمثال للصبيان في الأخلاق الفاضلة وكذلك تاريخ العرب وهو المعروف بأيام العرب وأخبارها والذي نص عليه القابسي وغير القابسي من المربين مع المواد التي يتعلمها الصبيان إنما الغرض منه سوق العبر الفاضلة والعظات الخلقية التي يقتدي بها الصبيان.[٣٨]

و الذي لا شك فيه أن الطفل المسلم لم يكن مجبورا على أن يدرس كل هذه العلوم والمعارف بل كان منها ما يستطيع أن يحصله وإذا استثنينا حفظ

القرآن وتعلم الكتابة والعبادات الإسلامية فهناك ما يؤكد أن الطفل المسلم كان يأخذ من المواد الأخرى وفق اختياره ولم تذكر أدبيات التربية الإسلامية أنها كانت جميعا إجبارية، وعلى سبيل المثال فإن المحدثين والفقهاء كانوا يرون أن الركن الأساسي في التعليم الابتدائي هو تعلم القرآن وكانوا يكتفون به كشرط لقبول الطلاب في حلقاتهم (التعليم الأعلى).

وعندما كان الأوزاعي يرى حدثا بين الجالسين في حلقته كان يقول له: "يا غلام هل قرأت القرآن؟ فإن قال نعم اختبر حفظه فإن تبين له أنه لا يعرف القرآن قال له اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم[٣٩] وإذا كان الفقهاء والمحدثون قد اكتفوا بذلك فلعل الأدباء والأطباء والحكماء... الخ لم يكتفوا به بل من الطبيعي أن يفضل الأدباء من حصل حظا من الأدب والشعر وأن يتطلب الأطباء والحكماء دراية أكبر بالحساب... الخ، ومن ثم فإن المنهج كان يضيق ويتسع وفق إرادة الطالب وولى أمره وما يراه المعلم من استعدادات لدى الطفل، وليس بصحيح ما ذهب إليه محمد جواد رضا من أن منهج هذه المرحلة كان واحدا لجميع الأطفال في العصر الإسلامي الأول ثم أصبح مختلفا بعد ذلك في العصور الأموي والعصر العباسي بصورة خاصة وذلك بسبب ظهور التمايز الطبقي في التعليم حيث ظهرت بسبب هذا التمايز الطبقي مناهج متعددة في تلك المرحلة. فهناك منهج الكتاتيب التي تضم أبناء الطبقات المتوسطة وسواد الشعب، ويقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب وبعض الشعر، وهناك منهج التعليم المخصوص في المنازل والقصور والذي يتمتع به أبناء الأمراء والأغنياء والوزراء، ويتسع هذا المجال ليشمل الأدب والحكمة والتفسير والكلام والشعر والتاريخ والمنطق والفلسفة، ثم هناك منهج تعلم الطبقات الحاكمة أبناء الخلفاء وولاة العهد الذي يشمل الاطلاع الواسع في الثقافة العربية الإسلامية وآدابها وكلام

الملوك والحكماء وعلوم الأمم السالفة، وقد تميز منهج تلك الفئة كما يذكر الباحث بدرجة عالية من التعقيد من حيث المحتوى والهدف نظرا للمسئوليات الاجتماعية والسياسية التي كان يتهيأ لها هذا النوع من الطلاب.[٤٠]

والأقرب إلى الواقع التاريخي لتطور الثقافة الإسلامية ألا ننسب تعدد المناهج في تلك المرحلة إلى التمايز الطبقي وما يقترن به من عوامل اقتصادية، بل أن نرجع ذلك إلى ازدهار العلوم والمعارف الإسلامية وما اقترن بذلك من ضرورة الأخذ بمبدأ التخصص العلمي والتربوي ونظرة واحدة إلى كتاب مثل مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده أو الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ترينا مقدار ما وصلت إليه الثقافة الإسلامية من تعدد العلوم والمعارف في تلك العصور بحيث أصبح من المحال أن يلم الطالب بكل هذه العلوم والمعارف، وأصبح من الضروري أن يتخصص الطالب في فرع أو أكثر من فروع العلم الإسلامي[٤١]. ومن هنا ظهرت الاتجاهات والمدارس التربوية المختلفة فهناك الاتجاه الفقهي في التربية وهناك الاتجاه الفلسفي والاتجاه الصوفي والاتجاه الأدبي والاتجاه المهني والحرفي، وطبيعي أن يؤثر ذلك الاختلاف على اختيار موضوعات المرحلة الابتدائية كما سبق أن ذكرنا، نعم، نحن لا ننكر أن العامل الاقتصادي والاجتماعي قد لعب دورا في إتاحة الفرص التعليمية الأفضل لذوى الاستعدادات العلمية والعقلية من أبناء ذوى السلطة أو الثروة ولكن كتب التراجم تظهر أن أعلام الثقافة الإسلامية لم يكونوا في الغالب من أبناء الملوك والوزراء والحكام أو حتى من أبناء ذوى الثروة والمكانة بل كانت الغالبية العظمى منهم من أبناء الطبقات المتوسطة وسواد الشعب التي زعم محمد جواد رضا أنها حرمت من التعليم الغنى في محتواه وهدفه ومنهاجه.

ويذكر لنا ابن خلدون سببا آخر لاختلاف المنهج في تلك المرحلة ويتمثل هذا السبب في اختلاف الأقطار الإسلامية في نظرتها إلى طبيعة المنهج والموضوعات التي تستحق التركيز أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم في أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعلمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه، بينما أهل الأندلس يضيفون إلى ذلك رواية الشعر والترسل (النثر) وقوانين العربية وحفظها (النحو) وتجويد الخط والكتابة ويهتم أهل أفريقيا بتعليم شيء من الحديث في الغالب بجوار تعليم القرآن[٤٢] وهكذا اختلف محتوى المنهج باختلاف الأمصار واختلاف التوجيه التربوي والمهني للطلاب.

طريقة التدريس:

رأينا كيف يمثل القرآن وحفظه الموضوع الأول للتعليم في تلك المرحلة وكان التلاميذ قبل تعلمهم للقراءة سواء في الكُتَّاب أو المنزل يبدأون بحفظ السور القصيرة بطريقة التلقين والتكرار فالمعلم يقرأ السورة آية آية قراءة سليمة والطفل يردد وراءه ويكرر المعلم ذلك مرات كثيرة حتى يحفظ الطفل[٤٣]، وكانت تلك القراءة تتم بطريقة جهرية حتى يتأكد المعلم من أن الطفل قد حفظ الآيات حفظا مضبوطا صحيحا وكذلك لأن الجهر يوقظ القارئ ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد من النشاط.[٤٤]

وينبه علماء التربية المسلمون إلى ضرورة أن تتم عملية التحفيظ بصورة فردية لأن اجتماع الأطفال على القراءة يخفى على المعلم قوى الحفظ

من الضعيف[٤٥] والقراءة الفردية تلاحظ تلك الفروق وترعاها، كـذلك فـإن اختبار مقدار حفظ الأطفال ينبغي أن يتم بصورة فردية وذلـك بـأن يختبـر المعلم كل طفل في مقدار حفظه ليعلم مقدار ما أصابه الطفل مـن حفـظ أو تقصير[٤٦] وبذلك كان كل طفل يجد الرعاية التربوية المناسـبة لـه. وعلـى ضوء تلك المتابعة الفردية كانت تختلف الواجبات الدراسية لكل طفـل مـن حيث عدد الآيات المكلف بحفظها كل يوم وعدد مرات كتابة اللوح... الخ.

ثم تأتى مرحلة يطلب من الطفل فيها أن يتعلم الكتابـة ويظـن بعـض الدارسين أن الأطفال كانوا يتعلمون الكتابة عن طريق كتابة الحـزب الـذي سيحفظه في اللوح الخاص به[٤٧] ولكن أدبيات التربية الإسلامية تـذكر لنـا طريقتين من طرق تعلم الكتابة. الطريقة الأولى: باستخدام ما يسـمى برسـم المصحف وغاية تلك الطريقة حفظ المصاحف الكريمة عن مخالفة المصحف الإمام ذلك أن المسلمين كانوا يصرون على عدم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو غير ذلك، كذلك فإن القرآن لابد أن يكتب مفرجا بأحسـن خط ولا يصغر ولا تقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه[٤٨]. أي أن تعلـم الكتابة حسب تلك الطريقة كان يتم باستخدام النص القرآني مع المحافظة على رسم المصحف من ناحية وتجويد الخط وتحسينه من ناحية أخرى.

وبجوار تعليم الكتابة عن طريق النص القرآنـي أو رسـم المصـحف أشارت أدبيات التربية الإسلامية إلى طريقة أخـرى تسـتخدم الأدب لتعلـيم الكتابة ولقد لمعت أعلام في تعليم الخط وتحسينه في أواخر خلافة بني أميـة وأوائل خلافه بني العباس مثل أبى على محمد بن على بن حسن بـن مقلـة الوزير (ت: ٣٢٨) الذي قيل عنه إنه أول من كتب الخط البـديع ثـم ظهـر في سنة ٤١٣ صاحب الخط البديع على بن هلال بن البواب البغدادي الـذي

قيل عنه إنه لم يوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه.

وصنف حذاق الخطاطين رسائل كثيرة في طرق تحسين الخط مثل رسالة ياقوت المستعصمي وما أورده القلقشندى في كتابه صبح الأعشى عن تحسين الخط[٤٩] وبذلك أصبح تعليم الكتابة فنا من الفنون له معلموه وله طرقه الخاصة. ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة ويختلف بحسب الإلف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص وغير ذلك مما يؤثر في استحسان الصور واستيضاحها ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم وقوم بل شخص وشخص، ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان في كل الوجوه.[٥٠]

ويبدو أن الطريقة الأولى في تعلم الخط كانت شائعة في بلاد الغرب وأفريقيا بينما ذاعت الطريقة الثانية في بلاد المشرق والأندلس[٥١] كذلك حفظ الأطفال بعض الأحاديث التي تتناول أصول الدين وفضائل الإسلام وطلب العلم ومنزلة القرآن... الخ وبعض الأشعار المختارة وتدربوا على إيرادها في المناسبات المختلفة[٥٢]، وقصت عليهم حكايات الصالحين وأخبار الأنبياء وسيرة الرسول ﷺ وكانت هذه الأمور متداولة إما عن طريق الحكاية الشفهية أو عن طريق القراءة من كتب عدة مثل صفوة الصفوة لابن الجوزي وروض الرياحين في حكايات الأبرار والصالحين لليافعي وقصص الأنبياء لابن الجوزي وسيرة ابن هشام وسيرة محمد بن إسحاق وغير ذلك من المؤلفات[٥٣].

كذلك تدرب الأطفال على العمليات الحسابية من الجمع والتفريق والتناسب والضرب والقسمة وشعر المربون المسلمون بأهمية الحساب للمتعلم

في ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الديون وقسمة التركات بين الشركاء وغيرها، ويحتاج إليه في العلوم الفلكية وفى المساحة والطب وقيل يحتاج إليه في جميع العلوم، وبالجملة لا يستغنى عنه ملك ولا عالم ولا سوقة وزاد شرفا بقوله تعالى: [وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ] (الأنبياء: ٤٧)، وقوله تعالى: [لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] (يونس: ٥)، وقوله تعالى: [فاسْأَلِ الْعَادِّينَ] (المؤمنون: ١١٣)[٥٤] وقد يدرس الطفل إلى جوار ذلك بعض قواعد اللغة (النحو) لكي يحترز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على ما يصدر عنه من بيان كتابي أو شفهي إذا اعتبروا الجهل بمبادئ النحو الأساسية لحنا يستدعى الضحك والسخرية.[٥٥]

وبجوار ذلك كله فإن المعلم لابد أن يراقب أحوال طلابه في آدابهم وهديهم وأخلاقهم وعباداتهم حتى لا يتبادر إليهم مساوئ الأخلاق وتتمكن منهم قبائح العادات ويصعب عند ذلك مفارقتها وتؤكد أدبيات التربية الإسلامية على هذا الجانب الأخلاقي وترى أن سوء الأخلاق مؤثر على قدرة الطالب على تحصيل العلم والمثابرة على طلبه، يقول الزرنوجي: " وينبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة فإنها كلاب معنوية وقد قال رسول الله ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة" وإنما يتعلم الإنسان بواسطة ملك "[٥٦]. فكأن العلم في تصور الزرنوجي لا يستقيم مع سوء الخلق. ويرى الزرنوجي أن نعلم الطفل أيضا الآداب والسنن ولا نكتفي بالفرائض فقط لأن التهاون في السنن قد يؤدى إلى التفريط في الواجبات، يقول الزرنوجي: " فينبغي لطالب العلم أن لا يتهاون بالآداب والسنن ومن تهاون بالآداب حرم السنن ومن تهاون بالسنن حرم الفرائض ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة " ويروى عن الشافعي قوله[٥٧]:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نــــــور   ونور الله لا يهدى لعاصي

وتتحدث أدبيات التربية الإسلامية عن الوسائل المختلفة التـــي ينبغـــي للمعلم أن يتبعها مع طلابه لكي يتأكد من تقدمهم العلمي والأخلاقي في حـــدود قدرة الطالب ورغبة ولى أمره فهناك الترغيب والترهيب والإيناس والإيحاش والإعراض والإقبال والحمد مرة والتوبيخ مرة أخرى ما كان ذلك وافيا، فإن احتاج المعلم إلى الاستعانة باليد لم يحجم عنه ولـــيكن أول الضـــرب قلـــيلا موجعا كما أشار به الحكماء قبل – بعد الإرهاب الشديد وإعـــداد الشـــفعاء – فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منهـــا خوفه وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفـــل بـــه (٥٨) كما يقول ابن سينا والواقع أن أدبيات التربية الإسلامية تسمح بـــاللجوء إلى العقاب الجسماني (الضرب) بعد استنفاذ الوسائل الأخرى وإن كانت تضع له بعض الحدود والشروط مثل ألا يضرب المعلم وهو غاضب حتى لا يكون الضرب لمجرد التشفي ويتجاوز دوره التربوي وأن يكون الضرب في مكان مأمون من جسم الطفل وأن يستخدم المعلم درة رطبة لينة وأن يكون الضرب من ثلاثة إلى عشرة لا تزيد عن ذلك... الخ[٥٩].

سنن التعليم ومدته:

متى يبدأ الطفل في التعلم؟ حاول بعض الباحثين أن يحدد السنن التـــي بدأت فيها عملية التعليم، فذهب إبراهيم ســـلامة عنـــد تناولـــه للـــتعلم عنـــد الزرنوجي أن الطفل بعد أن يتلقى التعليم في المنزل يذهب إلى الكُتَّـــاب فـــي السابعة من عمره واستشهد على ذلك بقول الرسول ﷺ: " علمـــوا أولادكـــم الصلاة إذا كانوا بني سبع واضربوهم عليهـــا إذا كـــانوا بنـــي عشـــر " [٦٠] وواضح أن الحديث لا يستنتج منه ضرورة أن يبدأ التعليم في السابعة وهناك

شواهد كثيرة من كتب التراجم على أن الطفل كان يبدأ التعليم قبل ذلك بكثير، فهذا ابن عبد الله التستري حفظ القرآن وعمره ست أو سبع سنوات، والإمام الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين[٦١] مما يدل على أنهم بدءوا التعليم قبل ذلك بكثير وابن سينا يذكر عن نفسه أنه بدأ التعليم في السادسة من عمره " فلما بلغت السادسة أسلمت نفسي للتعليم " واعتمد ابن سينا على تجربته الشخصية فنصح بأن يبدأ الطفل التعليم في هذه السن فقال: " وإذا أتى عليه الطفل من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم للمؤدب والمعلم " ورأى أنها سن مناسب فيها تشتد مفاصل الصبي ويستوي لسانه ويتهيأ للتلقين ويعي سمعه.[٦٢]

مما سبق يتضح أنه لم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الطفل في التعليم وإنما كان الأمر متروكا لتقدير آباء الصبيان فإذا وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز والإدراك دفعوا به إلى الكتاب أو المؤدب. يقول أبو بكر بن العربي في ذلك: " وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهو أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب[٦٣]. فالمعيار لم يكن تحديد سنة معينة يبدأ فيها التعليم بل اختلف ذلك باختلاف نضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتمييز. ولقد ظل علم النفس التربوي مدة طويلة يرى أن السادسة هي سن النضج المناسبة لبداية التعلم ولكن تغيرت تلك النظرة ورأينا بلادا مثل انجلترا يبدأ التعليم فيها من الخامسة مما يؤكد على أن الاستعداد للتعليم ليس مرتبطا بسن محدودة بل له عوامل متعددة ترجع إلى الفروق الفردية بين الأطفال في معدل النمو والظروف الثقافية التي يعيش فيها كل طفل.

وإذا كانت التربية الإسلامية لم تحدد سنا لبداية التعليم وتركت ذلك لتقدير الآباء والمعلمين فإنها لم تحدد أيضا عدد السنوات التي لابد أن يقضيها

الطفل في تلك المرحلة. وليس صحيحا ما ذهب إليه الأهواني في أن الثانية عشر كانت هي السن التي ينتهي عندها تعليم الصبي في الكُتَّاب في الغالب. وقد اعتمد في ذلك على نص للقابسي يقول فيه: " إنه ينبغي للمعلم أن يحترس بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يخشى فساده بأن يناهز الاحتلام أو تكون له جرأة ". فقد أخذ من هذا النص أن قلة من الصبيان كان يظل في الكُتَّاب حتى سن الاحتلام الذي يتراوح عند الذكور بين الثالثة عشر والخامسة عشر أما أغلب الصبيان فقد كان ينتهي من حفظ القرآن قبل ذلك. ورأى الأهواني مبنى على أن التعليم يبدأ في السادسة وأن أهم ما كان يعلم في الكُتَّاب هو حفظ القرآن، فإذا بدأ الصبي في تعلمه في سن السادسة مثلا فإنه يحتاج إلى أربع سنوات أو خمس ليتم حفظ القرآن وهو المعروف بالختمة.(٦٤)

ولكن شواهد التربية الإسلامية تدل على خلاف ذلك من عدم تحديد بداية سن التعلم وعدم تحديد نهاية تلك المرحلة الابتدائية فقد كان ذلك يتوقف على استعدادات الطفل وإمكانياته العقلية ويتوقف على ما يريده الطفل أو ولى أمره بعد ذلك من أنواع التعليم ولم يكن هناك عوائق تحول دون الطفل النجيب وبداية التعلم مبكرا أو الانتهاء منه في سن متقدمة، فهذا قتادة يحفظ القرآن كله في سبعة أشهر وهذا عبد الله التستري يحفظه وعمره ست أو سبع سنوات وتاج الدين الكندي يكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام والإمام الشافعي يحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم يحفظ الموطأ ويستوعب مسائل الفقه حتى يقال له وهو ابن خمس عشر سنة أفت يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتى وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من الفتيا أو التفسير ألتفت إلى الشافعي، وقال: " سلوا هذا الغلام "، أما ابن سينا فقد حفظ القرآن وشيئا من الأدب ومن أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة في العاشرة

من عمره، فسواء كانت الدراسة في الكُتَّاب أو على يد المعلم الخاص فقد كان الطفل يمضى في دراسته إلى حيث يحمله استعداده وإمكانياته التعليمية وكـــان يتخرج من الكُتَّاب أو على يد المعلم الخاص حينما كان يكمل ما كان يتوقــع من الطلاب إكماله اعتياديا حسب تقدير المعلم.[٦٥]

معلم الطفل:

اهتم علماء التربية المسلمون بشخصية المعلم ورفعوا من منزلته ورأوا أن وظيفته من أشرف الوظائف ذلك أن أشرف مخلوق علـــى الأرض هـــو الإنسان والمعلم مشتغل بتعليم هذا الإنسان وتهذيبه وإرشاده[٦٦] ومن ثم فـــإن وظيفته هي أشرف المهن وأفضلها على الإطلاق. ومن اشتغل بـــالتعليم فقـــد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما وينبغي أن يكون عقلا ذا دين بصيرا برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف قليـــل التبذل والاسترسال بحضره الصبي غير كز ولا جامد بلا حلوا لبيا ذا مروءة ونظافة ونزاهة[٦٧] ومن سعادة الإنسان أن يتفق له معلم ذكى جيد الطبع حسن الخلق صافى الذهن محب للعلم طالب للحـــق غيـــر متعصـــب لـــرأى مـــن المذاهب.[٦٨]

والمعلم في الإسلام يقوم بوظيفته بدافع إسلامي نبيل وهـــو أن ينشـــر العلوم والمعارف ابتغاء وجه الله وتمكينا للحق حتى يرقى المجتمـــع المســـلم فهو يقصد بتعليمهم - الطلاب - وتهذيبهم وجه الله تعالى ونشر العلم وإحيـــاء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائهـــا، قال رسول الله r: " إن الله تعالى وملائكته وأهل السموات والأرض حتـــى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير[٦٩] والمعلم يرغب طلابه في العلم ويحثهم على طلبه والإقبال عليه في أكثر الأوقات بـــذكر مـــا أعـــد الله

تعالى للعلماء من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء وعلى منابر من نـــور يغبطهم الأنبياء والشهداء أو نحو ذلك مما ورد في فضل المعلم والعلماء مـــن الآيات والآثار والأخبار والأشعار"[٧٠].

والمعلم ينبغي أن يحب لطلابه ما يحب لنفسه كما جاء فـــي الحـــديث ويكره لهم ما يكره لنفسه. وينبغي أن يعتني بمصالح الطالـــب ويعاملـــه بمـــا يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه والصـــبر علـــى جفاء ربما وقع فيه ونقص لا يكاد يخلو الإنسان منه وسوء أدب فـــي بعـــض الأحيان ويبسط عذره بحسب الإمكان ويوقفه مع ذلك على مـــا صـــدر منـــه بنصح وتلطف لا تعنيف وتعسف قاصدا بذلك حسن تربيته وتحســـين خلقـــه وإصلاح شأنه فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة لتصريح العبارة وأن لم يفهم ذلك إلا بصريحها أتى بها وراعى التدرج في التلطـــف[٧١]. والمعلـــم ينبغي أن يكون ذا شفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيـــه فيحـــرص على كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولذلك صار حق المعلم أعظم من حـــق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية، ولولا المعلم الإنسان ما حصل به من جهـــة الأب إلا الهـــلاك الـــدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة[٧٢] وإذا كان الوالـــدان يهبـــان الطفل وجوده الجسماني فإن المعلم هو الذي يهبه وجوده العقلي والروحي.

وعلى المعلم أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما يتيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضـــرورته فإن الله تعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ومن كان في حاجـــة أخيه كان الله في حاجته ومن يسر على معسر يسر الله عليـــه حســـابه يـــوم القيامة ولاسيما إذا كان ذلك إعانة على طلب العلم الـــذي هـــو مـــن أفضـــل

القربات[٧٣]. ولقد طالب المربون المسلمون بأن يسأل المعلم عن طلابه إذا غابوا ويعودهم إذا مرضوا ويتلمس أحوالهم ويتعرف على مشكلاتهم حتى تنشأ علاقة قوية وثيقة بينه وبينهم. ذلك أن إعداد طالب العلم يحمل أمانة العلم هو عمل عظيم ينبغي أن يحرص عليه المعلم وهو لا يستطيع ذلك بدون علاقة إنسانية وطيدة بينه وبين طلابه يقول ابن جماعة، وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائدا عن العادة سأل المعلم عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه وإن لم يكن شيء من ذلك تودد عليه ودعا له وأعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه.[٧٤]

وعلى المعلم ألا يتصدى لمهنة التدريس إلا إذا أتقن ما يعلمه للطلاب وإلا يستحى أن يطلب علما يجهله أو يعترف بقصوره العلمي إذا لم يكن يعلم بل يسعى إلى تكميل نفسه علميا. يقول ابن جماعة: " أن لا ينتصب المعلم للتدريس إذا لم يكن أهلا له ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه "[٧٥] ويقول في موضع آخر: " وأن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصب أو نسبا أو سنابل يكون حريصا على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها "[٧٦] " وإذا سأل ما لا يعلمه قال لا أعلمه أو لا أدرى فمن العلم أن يقول لا أعلم وعن بعضهم لا أدرى نصف العلم"[٧٧]

وعلى المعلم ألا يحقر علما من العلوم التي لا يدرسها للطلاب ذلك لأن كل العلوم مفيدة ومطلوبة لرقى الأفراد والمجتمعات. وفى ذلك يقول الغزالي: " أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث أو

التفسير. فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره.[٧٨]

والمعلم الناجح هو ذلك الذي يراعى قدرة طلابه على الاستيعاب ولا يقدم لهم من حقائق العلم إلا على قدر عقولهم ويتدرج بهم من السهل إلى الأصعب حتى يبرعوا في العلم وأن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر r حيث قال: " نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم "[٧٩]

ويقول ابن خلدون: " أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن"[٨٠] ويقول ابن جماعة: " وينبغي على المعلم أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحتمله ذهنه وبسط لا يضبطه حفظه ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره"[٨١]

وإذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإصابة في جوابه شكره ومن لم يفهمه تلطف في الإعادة له " [٨٢]. وينبغي أن يحرص المعلم على حسن استفادة طلابه واستيعابهم لما درسوه وأن يمدح المجد فيهم إذا عرف أن مدحه إياه لن يورثه الغرور. ويذم الكسول منهم إذا كان الذم لا يورثه النفور وذلك بأن يطالب الطلبة في بعض

الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة يختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره أو دليل ذكره فمن رآه مصيبا في الجواب ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد. ومن رآه مقصرا ولم يخف نفوره عنفه على قصوره وحرضه على علو الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم لاسيما إن كان ممن يزيده التعنيف نشاطا والشكر انبساطا ويعيد ما يقتضى الحال إعادته ليفهمه الطالب فهما راسخا.(٨٣)

وعلى المعلم أن لا يهتم بالنمو المعرفي لدى طلابه فقط بل يعتني أيضا بنموهم الجسمي والبدني يقول الغزالي: " وينبغي أن يؤذن له - الصبي - بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا " (٨٤) ويقول في مكان آخر: " ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل " (٨٥)

وعلى المعلم أن يعتني بالتربية الأخلاقية لطلابه وأن يراقب أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا فمن صدر منه من ذلك ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه أو ما يؤدى إلى فساد مال أو ترك اشتغال أو إساءة أدب في حق الشيخ أو غيره أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة أو حرص على كثرة الكلام أو معاشرة من لا تليق معاشرتهم... الخ(٨٦) تصدى الشيخ لمعالجة ذلك بما يتناسب من تأديب أو زجر أو لوم أو عقاب. وبالجملة فإن المعلم لا ينبغي أن يعلم تلاميذه العلم فقط بل العلم والأخلاق معا فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة

الناس لتكمل لهم فضيلة الحالتين[٨٧]. وعلى المعلم أن يفرغ كاملا لأداء واجبه ولا يشتغل بشيء سوى رعاية طلابه والاهتمام بشئونهم. يقول ابن سحنون: " ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه (أي لا يعلمهم فيه) [٨٨].

ولقد رأى علماء التربية المسلمين أن المعلم لا يجوز له أن يشتغل في أوقات عمله بشيء سوى تعليم طلابه وإلا أصبح أجرة مشوبا بالكسب الحرام فالواجب على المعلم الاجتهاد حتى يوفى ما يجب عليه للصبيان من تعليم ورعاية وفى ذلك يطيب له ما يأخذه على التعليم وليعلم أنه إن أفرط في وفاء ما عليه أنه لا يجب له ما يأخذ من ذلك[٨٩] والتزام المعلم بالمهنة يدخل في العقود التي أمر الله سبحانه بوفائها، ونظره فيمن التزم النظر له من الصبيان رعاية يدخل بها في قول الرسول r: " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته " وليعلم أنه إن قام فيهم بالواجب عليه ونصح لهم ووفاهم كما ينبغي أنه يدخل في قول الرسول r " أيما مملوك أدى حق مواليه وحق ربه فله أجران " [٩٠].

ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضا الله عنها أن رسول الله r قال: " اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به " وقد قال رسول الله r: إن الله يجب الرفق في الأمر كله وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " [٩١] كذلك حذر علماء التربية المسلمون ألا يعدل المعلم بين طلبته الأغنياء والفقراء بسبب ما يملكه الأغنياء من قدرة على بذل العطايا للمعلمين مما قد يؤثر على علاقتهم العلمية بالطلاب. فرووا عن أنس بن مالك قول رسول الله r: " أيما مؤدب ولى

ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم من غنيهم حشر يوم القيامة من الخائنين"[٩٢].

وإزاء هذه الواجبات المطلوبة من المعلم فقد تناولت الأدبيات التربوية ما يجب أن يتمتع به هذا المعلم من الاحترام والتوقير ما هو أهل له. يقول الزرنوجي: " اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله، وتعظيم الأستاذ وتوقيره من توقير المعلم أن لا يمشي أمامه، ولا يجلس أمامه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذن ولا يكثر الكلام عنده ولا يسأل شيئا عند ملاقاته ويراعى الوقت ولا يدق الباب بل يصير حتى يخرج الأستاذ، فالحاصل أن يطلب رضاه ويجتنب سخطه ويمتثل أمره في غير معصية الله تعالى فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[٩٣]

ولذلك أدرك المربون المسلمون مبكرا كيف أن المعلم لا يمكن أن يقوم بدوره إلا إذا نال ما يستحق من عناية واحترام وأن المعلم الذي يفتقد الشعور بالحرية والكرامة الشخصية لا يمكن أن يكون ذا تأثير إيجابي على الطلاب، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، كذلك فإن الطالب الذي يتأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع بالعلم إلا قليلا. ويروون في ذلك[٩٤]:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واقنع بجهلك إن جفوت معلما

وقد نال المعلم في التربية الإسلامية ما يستحق من عناية ورعاية مادية وأدبية بما في ذلك معلم الكُتَّاب أو المؤدب الخصوصي وتحفل أدبيات التربية الإسلامية وكتب التراجم بصور كثيرة من تلك العناية والرعاية والتبجيل والتي وصلت أحيانا إلى حد المبالغة ولكنها تعكس لنا روح العصر ومقدار توقير المعلم في المجتمع الإسلامي. من ذلك ما حكى أن الخليفة هارون

الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه الأدب فرآه بوما يتوضأ ويغسل رجله وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعاتب الأصمعي بقوله: " أنا بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلك"(٩٥)

ويرى بعض الدارسين أن معلم الكُتَّاب لم يتمتع بهذا التقدير والاحترام وإنما كان ذلك من نصيب معلمي المعاهد العليا ويستشهدون على ذلك ببعض ما رواه الجاحظ عن سوء تقدير الناس لبعض معلمي الكتاتيب في عصره ويردون ذلك إلى قلة بضاعة هؤلاء المعلمين في العلم أو ما اشتهر عنهم من جشع وحرص على استغلال الوظيفة(٩٦). بينما نجد باحثا آخر يرى أن معلم الكُتَّاب لم يكن أهلا للاحترام والتقدير نتيجة للتمايز الطبقي الذي شهده المجتمع الإسلامي في العصرين الأموي والعباسي وما ترتب على هذا التمايز الطبقي من طبقية في التعليم بحيث أصبح هناك تعليم للأغنياء وآخر للفقراء وأبناء الطبقات المتوسطة وطبيعي أن يجتذب تعليم الأغنياء أفضل العناصر من المعلمين الذين ينالون كل التقدير والاحترام المادي والأدبي، أما معلمي الفقراء وسواد الشعب (معلمو الكتاتيب) فهم يمثلون أوطأ درجات السلم المهني ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، يقول هذا الباحث: " كان التعليم في البداية واحدا لجميع الأطفال وكان المعلمون في جميع المراتب يتمتعون باحترام عظيم وقد استمر معلمو المعاهد العليا يتمتعون بهذا الاحترام حتى النهاية، غير أن منزلة معلم الكتاتيب هبطت مع مرور الزمن إلى الدرجات السفلى من المراتب الاجتماعية. وكان سبب ذلك ظهور التمايز الطبقي في التعليم في العصر الأموي وفى العصر العباسي بصورة خاصة. إذ لم يعد الآباء المقتدرون ماليا يرسلون أولادهم إلى الكتاتيب بل صاروا يستأجرون لهم المعلمين الخصوصيين. من هنا انقسم المعلمون إلى ثلاث طبقات

اجتماعية متميزة: أولها معلمو الكتاتيب الذين كانوا يقومون بتعليم الطبقات المتوسطة وسواد الشعب وكانوا يمثلون أوطأ درجات السلم المهني ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وثاني هذه الطبقات معلمو أبناء الطبقات العليا في المجتمع وهم الأمراء والوزراء والأغنياء وكان هؤلاء يدعون بالمؤدبين على حين كان أعضاء الطبقة الأولى يسمون المعلمون. أما أبناء الخلفاء وولاة العهد فكان لهم معلموهم الخاصون بهم، وكان هؤلاء من العلماء الأعلام ذوى الاطلاع الواسع في الثقافة العربية الإسلامية وآدابها وكلام الملوك والحكماء وعلوم الأمم السالفة وكانوا بهذا يمثلون ذروة المهنة التعليمية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وقد سموا بحق كبار المؤدبين وكان منهم سيبويه والكسائي والأصمعي.[٩٧]

والواقع أن هذا التفسير الطبقي لمنزلة المعلم ونوعيته وإعداده تفسير لا يستقيم مع الواقع التربوي الإسلامي، وإلا فهل كان الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ) والكميت بن زيد(١٢٦هـ) وعبد الحميد الكاتب (١٣٢هـ) وغيرهم من الأسماء اللامعة في المجتمع الإسلامي والذين كانوا معلمي كتاتيب [٩٨] هل كانت مثل هذه الأسماء تحتل أوطأ السلم المهني ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا؟ وهل هناك أدلة على أن هؤلاء العلماء الأعلام ذوى الاطلاع الواسع في الثقافة العربية الإسلامية وآدابها وكلام الملوك والحكماء وعلوم الأمم السالفة أمثال سيبويه والكسائي والأصمعي مما يذكرهم الكاتب قد اختصوا بالفعل بتعليم أبناء الخلفاء وولاة العهد فقط دون أن يكون لهم بجوار ذلك حلقاتهم العامة التي انتظمت من سماهم الباحث أبناء الطبقات المتوسطة وسواد الشعب؟

الواقع أن الشواهد التعليمية الكثيرة تؤكد خلاف ذلك تماما. فقد نال معلم الكُتَّاب ومعلم الأدب ومعلم الخط ما يستحقونه من الاحترام وظلوا متمتعين بتلك المنزلة في عالمنا الإسلامي إلى وقت قريب ولعلهم لم يعانوا شيئا من الهوان إلا في ظل الاتجاهات العلمانية وموجات الاستعمار والتغريب التي جرفت العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر وما بعدها إذا أصبح احتقار معلم اللغة العربية والقرآن سياسة عامة ليس على مستوى المرحلة الابتدائية فقط بل وعلى جميع المستويات التعليمية.[٩٩]

إدارة التعليم وتنظيمه وتمويله:

لعل أكثر الدراسات التي تناولت إدارة التعليم الإسلامي وتنظيمه وتمويله قد تناولته وهى متأثرة بالنظم المعاصرة ولم تستطع أن تدرك الفارق الكبير بين نظام إداري وسياسي يقوم على القيادات التلقائية الشعبية في الإدارة وتقديم الخدمات (النظام الإسلامي)، ونظام آخر يقوم على القيادات القانونية التي تتدخل السلطات في تنصيبها ومن ثم يكون لها يد في توجيهها وتبديلها (النظم الوضعية) [١٠٠].

إن التعليم كخدمة عامة قد قام بها المسلمون أنفسهم نحو أولادهم وهم الذين أشرفوا عليه تنظيما وإدارة وتمويلا، ولم تتدخل الدولة في ذلك إلا ما ورد من إنشائها للكتاتيب الخاصة بالأيتام وتكليفها رجال الحسبة بمراقبة الكتاتيب للتأكد من أن المعلم لا يدرس إلا لعدد محدود من الصبيان، فإذا كثر التلاميذ أمروه أن يعين مساعدين له يتناسب عددهم مع عدد التلاميذ بحيث يكون لكل فقيه عدد قليل من الصبيان، قال ابن عبدون: " يجب للمؤدب ألا يكثر من الصبيان ويمنعون من ذلك فإنه لن يستطيع أن يعلمهم شيئا على ما ينبغي[١٠١]، وأما ما وراء ذلك فقد ظل التعليم الإسلامي بجميع مراحله شأنا

من شئون الأفراد لا تتدخل الدولة في رسم سياسته أو متابعة برامجه أو الصرف عليه، تلك هي القاعدة العامة. أما الاستثناء فهو وارد أيضا في كتب التربية الإسلامية عندما استخدمت الدولة الفاطمية الأزهر مثلا لنشر مذهبها الشيعي وعندما استخدم صلاح الدين الأيوبي المدارس لنشر المذهب السني[١٠٢] ولكن مع وجود هذه الشواهد التاريخية على تدخل الدولة في التعليم الإسلامي فقد ظل هذا الاتجاه محدود التأثير وظل التعليم الإسلامي بصفة عامة والتعلم الابتدائي بصفة خاصة تعليما شعبيا ينظمه الشعب ويموله بعيدا عن تدخل الدولة.

وإذا كانت الدولة الإسلامية لم تضع النظم التعليمية المحددة ولم تتحكم في إدارة التعليم وطابع الدراسة ومنهاجها وتركت ذلك ليكون شأنا من شئون الأفراد إلا أن ذلك لم يمنعها من تشجيع التعليم بصفة عامة، والعمل على تيسيره وتسهيله، لقد كانت تمده فعلا بالمساعدة والتوجيه القوى الشامل عن طريق تقديم مكافآت للعلماء وتفريغ بعضهم لتثقيف الجماهير في المساجد وفتح مؤسسات تربوية لغير القادرين على التعليم (مكاتب الفقراء والأيتام) وتقديم تسهيلات علمية (المكتبات) وإنشاء مؤسسات متخصصة بفروع معينة من العلوم والمعارف مثل المدارس والبيمارستانات إلى غير ذلك من ضروب تشجيع العلم وتيسيره وتسهيله والتي مارسها الخلفاء والحكام المسلمون عبر العصور، أي أن الدولة الإسلامية كانت تمارس صورا متعددة من تشجيع التعليم وتيسيره ولكنها نادرا ما تدخلت تدخلا مباشرا في إدارة التعليم وتنظيمه. وفارق كبير بين التشجيع والتيسير وبين إحكام الرقابة والسيطرة الإدارية والتنظيمية على التعليم، ولقد اعتمدت الدولة في ذلك على الروح الإسلامية العامة التي تدفع المسلم إلى طلب العلم وتحثه على ذلك من المهد إلى اللحد واعتمدت على الروح الإسلامية الجماعية التي تحث الأفراد على

التعاون فيما بينهم للقيام بالخدمات العامة ورعاية مصالح الآخـــرين فتعـــاليم الإسلام تدفع الناس إلى ضرورة تعليم أولادهم وتدفع المعلمين إلى ضـــرورة نشر علمهم وإذا كان بعض المعلمين قد افتتح كُتَّابا لتعليم الأطفال نظير أجـــر معين فقد وجد أيضا من لا يأخذ الأجر على التعليم أخذا بحديث عبـــادة بـــن الصامت قال: " كان رسول الله يشغل فإذا قدم الرجل مهاجرا على رسول الله دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن فدفع إلى رسول الله رجلا كـــان معـــي فـــي البيت أعشيه عشاء البيت وكنت أقرئه القرآن فانصرف إلى أهلـــه فـــرأى أن عليه حقا فأهدى إلى قوسا لم أر أجود منها عودا ولا أحسن منها عطفا فأتيت الرسول فقلت ما ترى يا رسول الله؟ قال جمرة بين كتفيك تعلقتها أو تقلدتها " (١٠٣)

ولقد ناقشت أدبيات التربية الإسلامية موضوع جواز الأجر على التعليم ورغم أنها أجازته إلا أن الدوافع الإسلامية ظلت تدفع الكثيرين إلـــى تعلـــيم الناس مجانا، وتأبى أن تحول العلم إلى حرفة ولذلك رأينا بعض أعلام الثقافة الإسلامية يحترفون أعمالا أخرى يكتسبون منها ليباشـــروا التعلـــيم (حســـبة) ابتغاء وجع الله وظلت الكثير من المساجد طوال العصور الإسلامية وحتـــى عصرنا الحديث تقدم ألوانا من التعليم الإسلامي الأولى للأطفـــال يقـــوم بهـــا معلمون بدون أجر ابتغاء وجه الله وكلما كان الدافع الإسلامي قويا كلما كثـــر عدد هؤلاء الذين يقدمون التعليم بدون أجر وكثر عدد هؤلاء الذين يفضـــلون كسب قوتهم بالعمل في مجالات التجارة أو الحرف مع ممارسة تعليم النـــاس تطوعا ونصح طلابهم بإتباع ذلك مثلهم.[١٠٤]

أما هؤلاء الذين اتخذوا مكانا لتعليم الأطفال وأخذوا أجرا نظير تفرغهم لهذا العمل فقد كانوا يديرون هذا الكتاب بأنفسهم إذا كان عدد الطلاب محدودا

وقد يشترك معلمان أو أكثر في التعليم إذا كان عدد الطلاب كبيرا ويدفع الآباء بأبنائهم إلى هؤلاء المعلمين نظير أجر يدفعونه إليهم. وقد يدفع هذا الأجر شهريا أو سنويا أو بمقدار تعلم الصبي ويقضى الصبي يوما دراسيا كاملا في الكُتَّاب تحت رعاية معلمه، يبدأ هذا اليوم الدراسي من الصباح الباكر ويستمر حتى الظهر حتى ينصرف الأطفال لأداء الصلاة وتناول طعام الغذاء ثم يرجعون بعد الظهر ويظلون بالكُتَّاب حتى آخر النهار. وجرت العادة أن تعطل الدراسة بالكُتَّاب بعد ظهر الخميس وسحابة يوم الجمعة ثم يعود الطفل إلى مكتبة صباح السبت.[١٠٥]

ولاشك أن الأخذ بنظام اليوم الدراسي الكامل قد أتاح للمعلم الفرصة الكافية للإشراف الشامل على تربية الطفل كما أتاح للأطفال أن يعيشوا حياة جماعية يستفيدون فيها من تجارب غيرهم وينتفعون بها بالتفاعل الاجتماعي الذي يحدث فيما بينهم.[١٠٦]

وكانت عملية التعلم تمضى بطريقة غير جامدة إذ لم يكن من اللازم أن يحفظ الصبي القرآن كله إلا إذا كانت تلك رغبة أبيه ولم يكن من اللازم أن يأخذ كل الأطفال كما معينا من الموضوعات الدراسية ولم يكن من اللازم أن يصل كل الأطفال إلى نفس المستوى التحصيلي في وقت محدد بل روعيت الفروق الفردية، فهناك الأذكياء والموهوبون وهناك المتوسطون ويتشكل المنهج وتطول مدة التعليم أو تقصر وفق القدرة العلمية لكل طفل وقد جمع الكُتَّاب الواحد مستويات تعليمية متعددة وقدم موضوعات دراسية مختلفة وروعي الأطفال العاديون والموهوبون في ذلك كله بإضافة مواد دراسية Enrichment أو تكوين مجموعات خاصة Special Grouping وإتاحة الفرصة للقادرين علميا أن يتقدموا بسرعة في دراستهم Acceleration إلى

غير ذلك من الأساليب التي نحاول تطبيقها في عصرنا الحديث فنصيب بعض النجاح والكثير من الفشل.[١٠٧]

وكانت عملية التقويم عملية مستمرة تتم بصورة فردية في الغالب، فالمعلم يتابع الطفل في قراءته للوحه قراءة نموذجية صحيحة ثم يمتحنه فيما حفظ كل يوم، ويرى أعماله التحريرية فإذا أخطأ الصبي في الكتابة والهجاء أو الحفظ وأهمل أو انصرف إلى اللعب والعبث دون الدرس والعلم أو هرب من الكُتَّاب عاقبه المعلم بالنصح تارة والعزل والتهديد مرة أخرى والضرب تارة ثالثة إن لم تفلح النصائح ولم يجد التهديد وإذا جاز الصبي مرحلة التعلم في الكُتَّاب جاز امتحانا فيما حفظ من القرآن والخط وخلافه وكان إكمال الطفل لحفظ القرآن ويسمى (بالختمة) مناسبة علمية يكرم فيها المعلم والتلميذ وينالان من أسرة الصبي الكثير من الهدايا وكانت عملية التقويم هذه تتم في الغالب بالتعاون بين الأستاذ وأهله، فالمعلم على صلة دائمة بأسرة الصبي وهو يبلغهم عن أحوال طفلهم العلمية والأخلاقية باستمرار ويتشاور معهم فيما يطرأ من مشكلات. ولما كان الآباء يهتمون بنصيب طفلهم من العلم والأخلاق معا فقد شملت عملية التقويم البعدين معا البعد العلمي والبعد الأخلاقي.

وكان تمويل التعليم الابتدائي سواء كان تعليما خاصا في المنازل أو تعليما عاما في الكتاتيب يقوم به الآباء نحو أبنائهم أو يقوم به القادرون نحو أقاربهم الفقراء أو غير أقاربهم من أبناء المسلمين، وأبرز التطبيق العملي لمبادئ الإسلامي صورا من التضامن الشعبي في مجال الخدمات التعليمية، وبرزت مصطلحات مثل أهل القرية وأهل المصر وأهل الحضر وأهل الجماعة – جماعة المسجد – كصور من صور التضامن الشعبي للقيام

بالخدمات العامة ومنها الصحة والتعليم[١٠٨]، ومن هنا لم تكن الدولة محتاجة إلى الصرف على التعليم وتمويله إلا في أضيق الحدود كما سبق أن ذكرنا. وبالرغم من ذلك أو لعله بسبب ذلك انتشرت مؤسسات التعليم الابتدائي في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي بحيث لم توجد مدينة أو قرية من القرى إلا ووجدنا فيها لونا من ألوان هذا التعليم يتناسب وحاجات أفرادها يوفره أهل جماعة القرية لأطفالها ويتولون تنظيمه والإشراف عليه وتمويله.[١٠٩]

تقييم التعليم الابتدائي في عصور الازدهار الإسلامي:

بعد أن عرضنا لهذا التعليم الابتدائي نحب أن نعرض هنا بإيجاز لبعض الآراء التي هاجمت هذا التعليم من حيث تنظيمه وأهدافه ومحتواه، وسنرى أن تلك الهجمات تأخذ الثوب العلمي ظاهريا وتعتمد على بعض معطيات العلوم التربوية الحديثة دون أن تملك الأصالة العلمية التي تستطيع بها أن تتمثل تلك العلوم التربوية، وأن تخضعها لمطالب مجتمعاتنا العربية والإسلامية، كما سنلاحظ أيضا أن بعض هذه المثالب التي أخذها البعض على التعليم الابتدائي الإسلامي إنما ظهرت في أعين هؤلاء الدارسين كمثالب لعدم فهمهم لروح الإسلام وتعاليمه، ولو توفر هذا الفهم لديهم لأدركوا في الغالب أنها ليست مثالب بل مميزات وخصائص للتعليم الإسلامي.

من ذلك مثلا ما يقال من أن الهدف من التعليم الابتدائي الإسلامي إنما كان هدفا دينيا بحتا يتركز في حفظ القرآن وما يتصل به من تعليم القراءة والخط (١١٠)، ولقد تجاهل القائلون بذلك تنوع المنهج في تلك المرحلة واختلافه باختلاف الظروف على نحو ما بينا، أما كل ما يقال حول حفظ القرآن بدون فهم في تلك المرحلة ومخالفة ذلك لقواعد علم النفس الحديث فهو قول يعود في أكثره إلى عدم تقدير المنزلة التي يحتلها القرآن في حياة

الجماعة الإسلامية خصوصا لدى الطبقة المثقفة التي ستقود المجتمع فيما بعد، دع عنك الأفراد العاديين الذين لا يستغنون عن حفظ شيء من القرآن لاستخدامه يوميا في صلواتهم.

كذلك فإن هذا القول يقلل من إدراك أهمية الدوافع الاجتماعية والنفسية التي كانت تدفع الطفل المسلم إلى حفظ القرآن وتجعله يستسيغ هذا المجهود الذهني الجاد، فقد كان المجتمع ينظر نظرة إعزاز وتقدير لمن يحفظ القرآن، يقول ابن حنبل: " كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا " أي عظم بيننا، فماذا عن الحافظ للقرآن الكريم كله، إذ لا شك أن هذا التقدير الاجتماعي قد دفع الكثير من أطفال المسلمين إلى حفظ القرآن الكريم لينالوا احترام المجتمع وتقديره.

إن الطفل يسعى دائما إلى التقدير الاجتماعي ويسعى إلى كسب رضاء الآخرين، وما دام سيجد في حفظ القرآن احتراما وتقديرا فلا عليه أن يفعل ذلك بجوار أن هذا السن هي أكثر الأعمار مناسبة للحفظ وكلما تقدم الطفل في السن كلما قلت ملكة الحفظ بجوار أن حفظه في تلك المرحلة يكون أوضح وأدعى للتذكر ولعله ما يؤكد وجهة النظر هذه ما ذهب إليه بلارد Ballard من أنه إذا استظهرنا قطعة من الشعر فإن المقدار الذي نتذكره منها يزداد بعد بضعة أيام من تاريخ الحفظ بدلا من أن يبلغ أقصاه عقب الحفظ مباشرة، وقد ينسى الإنسان بعض الألفاظ وبعض العبارات التي كان يحفظها عن ظهر قلب ولكنه يستبدل بها عبارات وألفاظا أخرى تبرز من نفسها بعد فترة الاستقرار وهذا التذكر واضح جدا عند صغار الأطفال ولكن يقل كلما تقدم الإنسان في السن فإذا وصلنا إلى مرحلة الرجولة أخذ ينقرض أو يتلاشى.[١١١]

كذلك ينظر بعض الباحثين بعين الازدراء إلى عملية الحفظ هذه ويرون أنها نوع من التدريب على التذكر اللفظي وهى عملية من العمليات العقلية الوضيعة التي لا تقترن بالذكاء ولا قوة الإدراك. وأيدوا وجهة نظرهم هذه بأن كثيرا من البلهاء وضعاف العقول ينعمون بذاكرة قوية، وبعض الأذكياء ذاكرتهم ضعيفة ولكن ازدراء الذاكرة والنظر إليها هذه النظرة القليلة الأهمية فيه بعد عن الحقائق النفسية وتدل نتائج البحث في الأمراض النفسية على أن فقدان الذاكرة يؤدى إلى اضطراب الحياة العقلية وفساد السلوك ومما لا شك فيه أن الذاكرة الجيدة تخدم علماء الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان لأنهم في حاجة إلى استظهار كثير من القوانين الرياضية والمعادلات الكيميائية التي تتألف منها مبادئ المعرفة الصحيحة الضرورية، ولا يستطيع الإنسان إجادة اللغة دون معرفة كثير من الألفاظ وقواعد النحو والصرف، وقد ظن كثير من علماء النفس والتربية أن هناك تعارضا بين الذكاء والذاكرة والحقيقة على خلاف ذلك لأن موهبة الذكاء وحسن التفكير مما يخدم الذاكرة في سرعة التحصيل وجودة الحفظ وسهولة الاسترجاع وفى ذلك يقول وليم جيمس: " إن فن التذكر هو من التفكير"[١١٢].

كذلك هوجمت التربية الإسلامية عموما والتربية في المرحلة الابتدائية خصوصا لأنها لم تعتن بالتربية الفنية لدى الأطفال ومادامت مناهج تلك المرحلة لم تشتمل على الفنون الجميلة التي يشتمل عليها المنهج المعاصر وخصوصا الموسيقى والتصوير، فهذا يدل على انعدام الشعور بأهمية التربية الفنية والجمالية في التربية الإسلامية، وهذا وهم باطل كما يقول الأهواني: " فالفنون الجميلة في الاصطلاح هي الموسيقى والتصوير والنحت والزخرفة والعمارة " وعناية الغربيين اليوم – وهى عناية ورثوها عن اليونان – هي

تعليم الموسيقى والتصوير أما الإسلام فقد استعاض بهذين الفنيين بالنسبة للأطفال فنونا أخرى جميلة هي الخط والشعر والزخرفة العربية.

ولا ينبغي أن يذهب عن بالنا أن القرآن نفسه فيه موسيقى سماوية أسمى من الشعر وبخاصة في السور القصار، ومن أجل ذلك يتغنى الأطفال بالقرآن عند حفظه فطرة وسليقة ويزين القراء التلاوة بالصوت الحسن(١١٣). فإذا كانت التربية الغربية لها فنونا الجميلة الخاصة بها فهل يؤخذ على التربية الإسلامية أن تكون لها أيضا فنونها الجميلة الخاصة بها من لوحات خطية بديعة وزخرفة عربية منمقة وموسيقى قرآنية وشعرية... الخ.

كذلك أخذ على التربية الإسلامية في تلك المرحلة أنها أخذت بأسلوب العقاب الجسماني وصوروا المعلم على أنه إنسان فظ القلب يهوى بدرته على الأطفال بدون دراية بمعطيات علم النفس التي تذهب إلى أن أخطاء الطلاب لا تدل على حاجتهم إلى العقاب بقدر ما تدل على وجود شيء خاطئ في المنهج أو في طرق التدريس أو في الظروف المادية والمعنوية للعملية التعليمية (١١٤). ولقد سبق أن ذكرنا متى يجوز استخدام أسلوب الضرب؟ وشروطه. ونحب أن نؤكد هنا أن أدبيات التربية الإسلامية قد حذرت من الإفراط في اللجوء إلى هذا الأسلوب لما ينتج عنه من أضرار تربوية ونفسية، يقول ابن خلدون: " ومن كان مرباه بالعسف والقهر سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه" (١١٥) أي أن التربية الإسلامية إنما استخدمت الضرب في أضيق حدوده وراعت أن يكون استخدامه مؤثرا من الناحية التربوية، وبلغة علم النفس فإن ضرب العضا تؤلم الصبي فتؤدى إلى امتناعه عما يفعل حتى لا

يقع عليه الضرب مرة ثانية، والإنسان بطبيعته مفطور على الإقبال على ما يسره والابتعاد عما يؤلمه، والذاكرة تلعب دورا هاما في ذلك إذ يستعيد الصبي سبب أوجاعه ويستحضر في ذاكرته الموقف الذي ضرب فيه فيعمل على إبعاد كل ذلك وبهذا يستقيم، أما المبالغة في الضرب فتؤدى إلى البلادة وانعدام الألم الذي به يتم الانصراف عن الأفعال القبيحة والسلوك الذي يراد تغييره وعدم تكراره.[١١٦]

كذلك أخذ على التربية الإسلامية خصوصا في تلك المرحلة أنها تربية جادة صارمة لم تراع حاجات الأطفال إلى اللعب والترويح عن النفس ولم تعرف ألوان الألعاب التربوية والترويحية التي تعرفها مدارسنا في العصر الحديث، والواقع أن أدبيات التربية الإسلامية لم تغفل ضرورة الترويح عن الطفل دفعا للسآمة فابن سينا يحذر من أن يحمل الأطفال على ملازمة الكتاب مرة واحدة حتى لا يتعرضوا للسأم. والغزالي يلفت نظر المعلم إلى ضرورة الاهتمام بلعب الأطفال والترويح عنه فيقول: " وينبغي أن يؤذن له (الصبي) بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا " ويقول في مكان آخر: " ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضية حتى لا يغلب عليه الكسل "[١١٧]

والزرنوجي يحذر الصبي من أن يجهد نفسه جهدا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل بل يستعمل الرفق في ذلك، والرفق أصل عظيم في جميع الأشياء، قال رسول الله r: "إلا أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك عن عبادة الله تعالى، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

" [١١٨]، لذلك فإن الأسبوع الدراسي في الكُتَّاب خمسة أيام ونصف فقط ولم يكن اليوم الدراسي في الكُتَّاب يقضى كله في الدراسة بل لم يخل الأمر من أحاديث يتبادلها الأطفال وفترات راحة ينالونها، فإذا بقى بعد ذلك ظل من الصرامة والجدية فهي صرامة تقتضيها ظروف العصر وقلة التسهيلات العلمية والمادية الميسرة للطلاب في ذلك الوقت وعظم الشعور بالمسئولية التربوية التي أحس بها الآباء والمعلمون نحو تربية الصبيان.

كذلك أخذ على التربية الإسلامية في تلك المرحلة أنها ظلت طوال العصور الإسلامية عملا شعبيا يتم بصورة عشوائية غير منظمة وأن الدولة قد فشلت في تقديم نظام تعليمي عام موحد لجميع الأطفال تشرف على تنظيمه وإدارته وإن الخلافة الإسلامية قد فقدت فرصة تقديم نظام تعليم حكومي في ثلاث مناسبات تاريخية هامة هي:

الأولى: عندما أنشأ عمر بن الخطاب الدواوين ووضع لها نظمها الخاصة وكان في إمكانه أن يضع أيضا نظاما عاما للتعليم ولكنه لم يفعل.

والثانية: عندما أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين ولم يقدم نظاما تعليميا عاما لتربية الكوادر اللازمة لهذا الأمر.

والثالثة: عندما حاول المأمون أن يفرض رأيا فلسفيا في خلق القرآن عن طريق القوة والإرهاب دون أن يلجأ إلى إنشاء نظام تعليمي يربى الأفراد على تلك العقيدة الجديدة.

ولقد سبق أن ناقشنا علاقة الدولة بالتعليم وأظهرنا أن التعليم كان أمرا من أمور الأفراد ولم يكن شأنا من شئون الدولة بالفعل، ولكن ذلك لم يمنع من انتشار هذا النوع من التعليم الابتدائي ولا يعيب نظام التربية الإسلامية أنه كان بعيدا عن سيطرة الدولة وتدخلها في شئونه المالية والإدارية بل ربما

كان هذا من أعظم مميزات هذا النظام، فقد جعلته أكثـــر اتصـــالا بحاجـــات الجماهير كما جعلته محور اهتمام الأفراد والجماعات بجوار ما أتاحـــه ذلـــك من حريات واسعة للطلاب والمعلمين، وها هو التعليم الأمريكي كان ومازال شأنا من شئون الولايات وليس من واجبات الحكومة الفيدرالية ومن ثم فلـــيس للولايات المتحدة نظاما يسير التعليم القومي كتلك النظم التي توجد في كثيـــر من البلاد الأخرى. وليس من اختصاص الحكومة الفيدرالية أن تسير الـــنظم المدرسية أو تتحكم في طابع المدرسة أو مناهجها وإن كان مـــن واجبهـــا أن تشجع التعليم وتعمل على تيسيره وأنها لتمده فعلا بالمساعدة والتوجيه القـــوى الشامل عن طريق مكتب التربية الذي يتخذ كافة الطرق لعون الولايـــة فـــي جهودها وابتكاراتها (١١٩) وهذا ما فعلته الدولة الإسلامية نحو التعليم إذ قدمت له ألوانا متعددة من المساعدة والتشجيع ولكنها لم تحاول أن تســـيطر عليـــه سيطرة كاملة.

ثم يأتي بعد ذلك هذا الشعور السائد بين الدارسين بأن تلـــك المرحلـــة الابتدائية بالذات كانت الغلبة فيها لسيطرة رجال الفقه ذوى الاتجـــاه الـــديني المتشدد مثل الغزالي ونصير الدين الطوسي وابن جماعة وابن سحنون وابـــن حجر الهيثمي والقابسي... الخ، وإن أصحاب هذا الاتجاه الديني المتشدد فـــي التربية قد طبعوا التعليم في تلك المرحلة بطابعهم الديني الـــذي ركـــز علـــى التدين والخلق الديني المحافظ (١٢٠). ورغم غلبة الطابع الـــديني والأخلاقـــي على تلك المرحلة بالفعل كما سبق أن ذكرنا إلا أن هذا الطابع هو الذي أمـــد الطبقة المثقفة المسلمة عبر العصور بشخصيتها الإسلامية المستقلة وجعلها لا تذوب في غيرها من الثقافات وأكسبها القدرة على نقل جميـــع الحضـــارات المختلفة دون أن تذوب في واحدة منها. كما أن هذا الطابع الديني والأخلاقـــي قد حفظ على المثقفين المسلمين حدا أدنى من الثقافة المشـــتركة فيمـــا بيـــنهم

وبذلك لم تفرقهم التخصصات المهنية فكريا وأيديولوجيا فيمـــا بعـــد، كـــذلك جعلتهم أكثر اتصالا بالشعب وثقافته ووجدانه وأمدتهم بأخلاقيات ومثل عاليـــة يفتقدها إنساننا المعاصر الذي يعـــانى مـــن أزمـــة خلقيـــة وروحيـــة تهـــدد حضارته.(١٢١)

كان هذا هو التعليم الابتدائي عند المسلمين بكـــل ظروفـــه وملابســـاته ومناهجه وأهدافه وإدارته والذي تعرض له الطفل المســـلم قبـــل أن يـــدخل المرحلة التالية من مراحل التعليم المتخصص وهو تعليم كما رأينا كان يتـــيح للطفل أن يحصل حظا وافرا من كتاب الله، إن لم يحفظه كله وكان يمكنه من إتقان مهارات القراءة والكتابة والخط والحساب مع العناية بأخلاقه وممارسته للشعائر الإسلامية، وقد يضاف إلى ذلك كله معرفته بالأدب وفنـــون الشـــعر الذي يقال في المناسبات المختلفة بجـــوار الكثيـــر مـــن قصـــص الأنبيـــاء والصالحين وهو بذلك يعتبر تعليما غنيا وكافيا لانتقال الطفل إلـــى المرحلـــة التالية من مراحل التعليم كما يعتبر تعليما كافيا ومناسبا إذا انقطع الطفل عـــن التعليم وتوجه إلى صناعة أو مهنة يزاولها لكسب المعاش.

المراجع والمصادر:

١ - انظر تفاصيل ذلك في الصفحات التالية بعنوان: " تربية الطفل في عصور الازدهار الإسلامي ".

٢ - النووي: رياض الصالحين شرح صبحي الصالح، **منهل الواردين شرح رياض الصالحين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ج٢.

٣ - ابن عبد البر القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، إدارة الطباعة المنبرية، بدون.

٤ - منهل الواردين في شرح رياض الصالحين، مرجع سابق.

٥ - منهل الواردين في شرح رياض الصالحين، المرجع نفسه.

٦ - الشيخ منصور على ناصف: **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٢.

٧ - راجع في ذلك على سبيل المثال:

- ابن الجزار القيرواني:**سياسية الصبيان وتدبيرهم**، نشر وتقديم محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.
- شمس الدين الإنبابي: رسالة في رياض الصبيان وتعلمهم وتأديبهم، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٤٣٢ تعليم.
- حسن عبد العال: أصول تربية الطفل في الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، ١٩٨٠.
- عبد الرحمن النقيب: **الفكر التربوي عن ابن سينا منظور إسلامي معاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٢١ – ١٣٢.

٨ - لمزيد من التأصيل حول تلك المرحلة الأعلى راجع الباحث: **الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٩٢ – ١٦٣.

٩ - راجع تحديد هذين المصطلحين في أحمد حسن عبيد: **فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية**، دراسة مقارنة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩، ص ١٤٠.

١٠ - عبد الرحمن النقيب: ديمقراطية التعليم في عصور الازدهار الإسلامي دروس مستفادة من " **بحوث في التربية الإسلامية** " ج٢، دار الفكر العربي، ١٩٨٤، ص ٦٩ – ٩٨.

١١ - طاش كبرى زاده: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨، ج٢، ص ٣٧٢ – ٢٧٥.

١٢ - نفس المرجع: ج١، ص ٨٤ – ٨٨.

١٣ - نفس المرجع والمكان.

١٤ - ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، لجنة البيان العربي، تحقيق عبد الواحد وافى، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٧٧ – ٤٨٠.

١٥ - طاش كبرى زادة: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٢ – ٢٣.

١٦ - راجع في ذلك:

- أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام أو التعليم عند القابسي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٧.
- سعيد إسماعيل على: **معاهد التعليم الإسلامي**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨.

١٧ - أحمد شلبي: التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها، النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٨٢، ص ٥٣.

١٨ - نفس المرجع السابق: ص ٥٤.

١٩ - نفس المرجع والمكان.

٢٠ - نفس المرجع: ص ٥٥.

٢١ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام،** مرجع سابق، ص ٦٧.

٢٢ - عبد الغنى محمود عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، ص ٩١ – ٩٨.

٢٣ - محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٦٧.

٢٤ - عبد الرحمن النقيب: **فلسفة التربية عند ابن سينا،** مرجع سابق، ص ٢٧.

٢٥ - نفس المرجع السابق: ص ١١٧.

٢٦ - محمد نبيل نوفل: أبو حامد الغزالي فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٧، ص ١٤١.

٢٧ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام،** مرجع سابق، ص ١٣.

٢٨ - ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون،** مرجع سابق، ص ٤٧٨.

٢٩ - نفس المرجع: ص ٤٧٩.

٣٠ - محمد صلاح الدين مجاور: **تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية،** دار القلم، بيروت، ١٩٧٦، ص ٩٥ – ٩٩، حيث ناقش تلك القضية واقترح اختيار آيات معينة للحفظ.

٣١ - القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، مرجع سابق، ص ٤٣ ب.

٣٢ - عبد الرحمن النقيب: **بحوث في التربية الإسلامية** ج١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٨.

٣٣ - عبد الرحمن النقيب: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ١٢٨.

٣٤ - الغزالي: إحياء علوم الدين، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣١٦ هـ، ج٣، ص ٦٢.

٣٥ - القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، مرجع سابق، ص ٤٤ ب.

٣٦ - نفس المرجع السابق، ص ٤٥ ب.

٣٧ - شمس الدين الإنبابي: رسالة في رياض الأطفال وتعليمهم وتأديبهم، مرجع سابق، ص ٢.

٣٨ - أحمد فؤاد الأهواني: **التعليم في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٣٩ - ملكة أبيض: **التربية والثقافة العربية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٩.

٤٠ - محمد جواد رضا: **الفكر التربوي الإسلامي مقدمة في أصوله الاجتماعية والعقلانية**، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٠، ص ٢٦ – ٢٧.

٤١ - عبد الرحمن النقيب: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ٤٠ – ٤٧.

٤٢ - ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

٤٣ - راجع في ذلك:

Bayard Dodge: **Muslim Education in the medieval times**. The Middle East Institute , Washington , DC 1962 , PP. 3 – 5.

٤٤ - السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعـــة حجـــازي، القـــاهرة، ١٩٤١، ص ١٨١.

٤٥ - القابسي: **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمـــين وأحكـــام المعلمـــين والمتعلمين**، مرجع سابق.

٤٦ - نفس المرجع السابق: ص ٦٩ ب.

٤٧ - راجع في ذلك:

A. S. Tritton: Materials of Muslim Education in The Middle Ages London Lazac , CO , L. T. D. 1957 , P. 51.

٤٨ - طاش كبرى زاده: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضـــوعات العلوم**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٧٢ – ٣٧٥.

٤٩ - نفس المرجع السابق: ج١، ص ٨٤ – ٨٨.

٥٠ - نفس المرجع والمكان.

٥١ - ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ص ٤٧٧ – ٤٨٠.

٥٢ - طاش كبرى زاده: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضـــوعات العلوم**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٢ – ٢٣.

٥٣ - نفس المرجع السابق: ص ٢٨٣.

٥٤ - نفس المرجع السابق: ص ٣٩٠.

٥٥ - نفس المرجع السابق: ص ١٤٤ – ١٤٥.

٥٦ - الزرنوجي: **تعليم المتعلم طريق التعلم**، مرجع سابق، ص ٨٧.

٥٧ - نفس المرجع: ص ١٢٨.

٥٨ - عبد الرحمن النقيب: **فلسفة التربية عند ابن سينا**: ص ١٥١ – ١٥٢.

٥٩ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سابق، ص١٥.

٦٠ - نفس المرجع، ص ٨.

٦١ - أحمد شلبي: **التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها وتاريخها**، مرجع سابق، ص ٣٠٣

٦٢ - الباحث: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ١٢٥.

٦٣ - ابن العربي: **أحكام القرآن**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٣١ هـ، ج٢، ص ٢٩

٦٤ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سابق، ص ٥٩ – ٦٠.

٦٥ - محمد جواد رضا: **الفكر التربوي الإسلامي مقدمة في أصوله الاجتماعية والعقلانية**، مرجع سابق، ص ٢٧.

٦٦ - أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج١، ص ١١.

٦٧ - ابن سينا: كتاب السياسة نقلا عن **الفكر التربوي العربي الإسلامي**، وهو مختارات من كتب التراث، جمع الدكتور / محمد ناصر، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧، ص ٢٨٥.

٦٨ - إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، نقلا عن التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها، محمد فوزي العنتيل، مكتبة مصر، ١٩٦٦، ص ٢٧.

٦٩ - ابن جماعة: تذكر السامع والمتكلم نقلا عن **الفكر التربوي العربي الإسلامي**، ص ٦٩٣.

٧٠ - ابن جماعة: نفس المرجع السابق.

٧١ - ابن جماعة: نفس المرجع السابق.

٧٢ - الغزالي: إحياء علوم الدين، نقـــلا عـــن الفكـــر التربـــوي العربـــي الإسلامي، ص ٣٣٣.

٧٣ - ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، نقلا عن الفكر التربوي العربـــي والإسلامي، ص ٤٠١.

٧٤ - ابن جماعة: نفس المرجع السابق.

٧٥ - المرجع السابق: ص ٣٩٤.

٧٦ - المرجع السابق: ص ٣٨٧.

٧٧ - المرجع السابق: ص ٣٩٢.

٧٨ - الغزالي: **إحياء علوم الدين،** نقلا عن المرجع السابق، ص ٣٣٤.

٧٩ - نفس المرجع السابق.

٨٠ - ابن خلدون: المقدمة، نقلا عن المرجع السابق، ص ٤٧٢.

٨١ - ابن جماعة: تذكرة السماع والمتكلم، نقلا عن المرجع الســـابق، ص ٣٩٧ – ٣٩٨.

٨٢ - المرجع السابق.

٨٣ - المرجع السابق.

٨٤ - محمد عطية الإبراشي: **التربية الإسلامية وفلسفتها،** البابي الحلبـــي، ١٩٦٩، ص ٢٧٦ – ٢٧٨.

٨٥ - المرجع السابق.

٨٦ - ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، نقلا عن الفكر التربوي العربـــي الإسلامي، ص ٤٠٠ – ٤٠١.

٨٧ - المرجع السابق.

٨٨ - ابن سحنون: آداب المعلمين، نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٤.
٨٩ - القابسي: المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين، نقلا عن المرجع السابق، ص ٩٤ – ٩٥.
٩٠ - القابسي: نفس المرجع السابق.
٩١ - القابسي: نفس المرجع السابق.
٩٢ - ابن سحنون: **آداب المعلمين**، مرجع سابق، ص ٢٠ – ٢١.
٩٣ - الزرنوجي: **تعليم المتعلم طريق التعلم**، مرجع سابق، ص ٧٨ – ٨٠.
٩٤ - نفس المرجع السابق: ص ٨١ – ٨٢.
٩٥ - نفس المرجع السابق: ص ٨٢.
٩٦ - محمد منير مرسى: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٩٧.
٩٧ - محمد جواد رضا: **الفكر التربوي الإسلامي مقدمة في أصوله الاجتماعية والعقلانية**، مرجع سابق، ص ٢٦.
٩٨ - عبد الله الدايم: **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٤٦ – ١٤٧.
٩٩ - عبد الرحمن النقيب: **بحوث في التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٦٢ – ٦٣.
١٠٠ - مصطفى كمال وصفى: **مصنفة النظم الإسلامية الدستورية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٥١ – ٤٧١ – ٥٢٩ – ٥٤٦.

١٠١ - أحمد شلبي: **التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها تاريخهـا**، مرجـع سابق، ص ٣٠٦.

١٠٢ - نفس المرجع السابق، ص ٣٥٣ – ٣٨٥.

١٠٣ - ملكة أبيض: **التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة العربية خلال القرن الثالث للهجـرة**، مرجـع سـابق، ص ٣٣١ – ٣٤٠.

١٠٤ - عبد الرحمن النقيب: ديمقراطية التعلـيم فـي عصـور الازدهـار الإسلامي، دروس مستفادة، مرجع سابق، ص ٦٩ – ٧٠.

١٠٥ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سـابق، ص ٦٣ – ٦٤.

١٠٦ - عبد الرحمن النقيب: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ١١٨ – ١١٩.

١٠٧ - حسين فوزي النجار: **ثورة التعليم**، النهضـة المصـرية، القـاهرة، ١٩٥٨، ص ٥٨ – ٦٢.

١٠٨ - عبد الرحمن النقيب: ديمقراطية التعلـيم فـي عصـور الازدهـار الإسلامي، دروس مستفادة، مرجع سابق، ص ٦٩ – ٧٠.

١٠٩ - المرجع السابق: ص ٧١.

١١٠ - راجع في ذلك:

Khalil A. Totah: **The Contrbution of the Arabs to Education** , Publications Teachers college , Columbia University , New York , 1926 , PP. 94 – 95.

١١١ - الباحث: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ١٢٦.

١١٢ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٨٨ – ١٨٩.

١١٣ - نفس المرجع السابق، ص ١٨.

١١٤ - الباحث: **فلسفة التربية عند ابن سينا**، مرجع سابق، ص ١٥٢.

١١٥ - أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٥.

١١٦ - راجع قانون الأثر عن ثورنديك ص ٢٠٦ – ٢٠٨، ورأى ليفين في الثواب والعقاب ص ٣٦٩ – ٤٠٠ من كتاب: أحمد زكي صالح: **التعلم أسسه ونظرياته**، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

١١٧ - عبد الرحمن النقيب: **بحوث التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٨٠.

١١٨ - الزرنوجي: **تعليم المتعلم طريق التعلم**، مرجع سابق، ص٩١.

١١٩ - حسين فوزي النجار: **ثورة التعليم**، مرجع سابق، ص ٢٣.

١٢٠ - راجع في ذلك:

- محمد جواد رضا: **الفكر الإسلامي التربوي مقدمة في أصوله الاجتماعية والعقلانية**، مرجع سابق، ص ٥٧ – ٧٧.
- أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**، مرجع سابق، ص ٤٦ – ٧٢.

١٢١ - عبد الرحمن النقيب: أزمة التربية الخلقية في مصر وجهة نظر في **بحوث في التربية الإسلامية**، ج١، مرجع سابق، ص ٥٣ – ٦٧.

أدبيات الطفولة في الفكر الإسلامي

دكتور/ عبد الناصر زكي بسيوني العساسي

مقدمة:

يعتبر المخطوط من أهم الموروثات التي تبين توجهات تـــاريخ الأمـــة، ومن هذا المنطلق يمكن أن نقف على توجهات تربية الطفل المسلم في تـــاريخ الأمة الإسلامية حتى يمكن الاسترشاد بهذه التوجهات في تربية جيل الأطفـــال المعاصر بصورة تـــربط ماضـــيه بحاضره،خصوصـــا وأن هنـــاك بعـــض المخطوطات تعتبر أدبا موجها للطفل، وهي مخطوطات غنيـــة بـــــتوجهاتها التربوية. ولما كان القليل من التربويين هـــم الـــذين يهتمـــون بمثـــل تلـــك المخطوطات، فقد سعت الدراسة الحالية للتعريف بهذا التراث الذي يمكـــن أن يمثل ثروة أدبية للطفل المعاصر، والذي يمكن أن يستلهمه الأدبـــاء وكتـــاب أدب الطفل في كتاباتهم الموجهة للطفل.

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلين التاليين:

١ - ما ملامح تربية الطفل في ضوء بعض المخطوطات المهتمة بالطفل؟

٢ - ما المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة " رسالة في كيفيـــة تعلـــيم الأطفال القرآن العظيم " و" رسالة في رياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم" و" قصة الحجاج بن يوسف مع الغلام " و " قصة الجارية تودد مع بعض العلماء في حضور أمير المؤمنين هارون الرشيد " و" وإنباء الأبناء بأطيب الأنبـــاء " و " آداب الأكل والشرب والعشرة والملبس وعشـــرة النســـاء وآداب تربيـــة الأولاد والخدم" و " الجامع لأحكام الصغار "؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

١ -معرفة ملامح تربية الطفل في ضوء بعض المخطوطات المهتمة بالطفل.

٢ -الوقوف على المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة " رسالة في كيفية تعليم الأطفال القرآن العظيم " و" رسالة في رياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم" و" قصة الحجاج بن يوسف مع الغلام " و " قصة الجارية تودد مع بعض العلماء في حضور أمير المؤمنين هارون الرشيد " و" وإنباء الأبناء بأطيب الأنباء " و " آداب الأكل والشرب والعشرة والملبس وعشرة النساء وآداب تربية الأولاد والخدم" و " الجامع لأحكام الصغار ".

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث الحالي من:

١ -التعرض للمخطوطات التي تعد من أهم مصادر التراث الذي يعكس جذور تربية أطفالنا، وبالتالي يمكن لنا أن نتواصل مع التوجهات العامة الموجودة في هذه المخطوطات لكي نربط طفل الحاضر بماضيه وبالتالي يمكنه الانطلاق إلى المستقل وهو مزود بثقافته الأصيلة.

٢ -تناول المخطوطات التي هي تراث الأمة من منظور تربوي مغاير للمنظورات السائدة، حيث يغيب البعد التربوي في تصنيف المخطوطات الموجودة في مراكز المخطوطات، وبالتالي يمكن أن يكون هذا البحث بداية للمزيد من الأبحاث في هذا التوجه.

منهج البحث:

استخدم البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي وذلك لاستعراض المخطوطات الموجودة في " دار الكتب المصرية " والموجودة في " مكتبة

الإسكندرية " والتي يتضمن عنوانها لفظ " طفــل " " أطفــال " " صـــبي " " صبيان " " غلام " غلمان " " جارية " وغيرها من الألفاظ الدالة على الطفولة، وسوف يتم كتابة عنوان المخطوطة ثم اسم المؤلف إن وجد ثم عدد القطع أو الصفحات والرمز الذي يمكن من خلاله الحصول على المخطوطة إمــا مــن دار الكتب المصرية أو مكتبة الإسكندرية.

<u>مصطلح البحث:</u>

المخطوطات: المقصود بالمخطوطات الكتب والورقات المكتوبة بخط اليد والتي يتم حفظها في مراكز حفظ المخطوطات وذلك لأهميتها كمصـــادر لتراث الأمة.

<u>الحدود الأكاديمية للبحث:</u>

اقتصر البحث الحالي على استعراض المخطوطات الموجودة في كل من " دار الكتب المصرية " و"مكتبة الإسكندرية " باعتبارهمـــا مـــن أغنـــى مراكز حفظ المخطوطات بمصر.

المضامين التربوية الموجودة في المخطوطات المحددة في أهداف البحث الحالي:

لقد تم اختيار عدد سبع مخطوطات تمثل الأولى علم القراءات والثانية السلوكيات والأخلاق والثالثة والرابعــة والخامســة تمثــل التــاريخ والأدب والسادسة تمثل الآداب العامة والسابعة تمثل الفقه، وقد روعي عنـــد اختيـــار هذه المخطوطات أن تكون لها علاقة مباشرة بموضوع العلم الذي تقـــع فيـــه وتكون موجهة بشكل مباشر للأطفال وذلـــك مـــن خـــلال عنوانهـــا، وعنـــد استعراض هذه المخطوطات يتم ذكر ما قالته المخطوطة فقط عن مؤلفها دون

الرجوع لكتب التراجم، لأن هذا ليس مقصود البحث الحالي، ثم تقديم ملخص لهذه المخطوطة، وأخيراً ذكر بعض المضامين التربوية المختصرة المتعلقة بالمخطوطة، وهذا المنهج يخالف منهج تحقيق المخطوطات، وقد تم إتباعه لتقديم لمحة سريعة عن المخطوطات التي اهتمت بأدبيات تربية الطفل والمسلم.

أولاً: المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة" رسالة في كيفية تعليم الأطفال القرآن العظيم"

هذه المخطوطة من المخطوطات المفيدة التي ذكرت في دار الكتب المصرية لمؤلف يسمى المصري، ولم تذكر المخطوطة أي شيء عن هذا المؤلف،ولكنها من المخطوطات التي تتناول أشرف العلوم، وهو علم القراءات المتعلق بكتاب الله، ومن هنا فقد رأى الباحث أن يبدأ باستعراضها لشرف موضوعها.

ملخص مخطوط" رسالة في كيفية تعليم الأطفال القرآن العظيم"

تبدأ الرسالة بالحمد لله والصلاة على رسول الله، ثم بيان عظم شأن القرآن وتعليمه، ثم بين المؤلف أن هذه رسالة ينتفع بها معلم الأطفال القرآن الكريم، وسبب تأليف هذه الرسالة أن بعض أصحاب المؤلف استحسنوا طريقته في تعليم القرآن الكريم وترتيبه لذلك، فجاءت الرسالة استجابة لطلبهم وهي مرتبة على ست مراتب:

المرتبة الأولى:

تسمى مرتبة إتقان الحروف حيث يتم تكرار الحروف على الطفل حتى ترسخ في ذهنه مثل الحجر فيكتب للطفل" أ، ب، ت، ث،" حتى يتقنها، ثم بعد إتقان هذه الأربعة يكتب له " ج، ح، خ " ثم تردد الحروف عليه من أولها إلى أخرها، ثم بعد أن يتقنها يكتب له الأربعة أحرف التالية حتى يتقنها ويكرر عليه الحروف من بدايتها في كل مرة، وهكذا إلى نهاية الحروف، وبعد إتقان الكل تردد عليه الحروف من " أ " حتى " ي " ومن " ي " حتى " أ" حتى يدرجها من الآخر إلى الأول كما يدرجها من الأول إلى الآخر ولا يدئر في حرف من أحرفها، فإذا دئر في حرف أو أكثر فترد عليه حتى لا يدئر في أي حرف، فإذا أتقن ذلك استحق أن ينتقل إلى المرتبة الثانية.

المرتبة الثانية:

تسمى مرتبة إتقان الحركات وكيفيتها أن تقول للغلام " الحركات نصبة وخفضة ورفعة وجزمة وشدة " ثم بعد أن يحفظها في ذهنه، يكتب له خط مستقيم عليه الحركات الأصلية ويبين له الحركات الفرعية المستمدة منها على النحو التالي: " ـَ، ـِ، ـُ، ـْ، ـّ، ـٍ، ـٌ، ـُّ، ـٌّ، ـًّ، ـُّ "

ثم تفهمه أن الأولى من رأس الخط هي النصبة والثانية هي الخفضة والثالثة هي الرفعة والرابعة هي الجزمة والخامسة هي الشدة، فهذه الخمس هي الأصول ثم الباقي هي الفروع لأنه يتفرع على النصبة نصبان وشدة ونصبة وشدة ونصبتين وهكذا البقية، فإنه إذا أتقن الغلام هذه الأحرف كلها وهذه الحركات كلها فقد أتقن جميع أحرف القرآن وحركاته لأن القرآن وألفاظه لا يخرج من هذه الأحرف وهذه الحركات، فإذا أتقن هذه المرتبة استحق أن ينتقل إلى المرتبة الثالثة.

المرتبة الثالثة:

هي مرتبة تركيب الحرف مع الحركة، وكيفيتها أن تكتب للغلام من كل حرف أربعة أحرف كما تكتبها المشايخ نصبة وخفضة ورفعة وجزمة هكذا (اَ، اِ، اُ، اْ، بَ، بِ، بُ، بْ، تَ، تِ، تُ، تْ) وهكذا إلى آخر حروف الهجاء، ثم تقول له ألف نصبة انصب ألف، ألف خفضة اخفض ألف، ألف رفعة ارفع ألف، ألف جزمة اجزم ألف، وهكذا إلى آخر حروف الهجاء، ولا تنتقل من حرف إلى آخر حتى يحفظه بحيث يصير إذا وضعت يدك على أي حرف مع حركته ينطق به حالا كأن تضع يدك على (خَ) فيقول خاء نصبة وهكذا مع باقي الأمثلة، فإذا أتقنها إتقانا كليا فانقله إلى المرتبة الرابعة، ومن علامات إتقان المرتبة الثالثة أن الغلام يدح من أولها إلى أخرها كما يدح من أخرها إلى أولها، ومتى دئر في أي حرف فلا تنقله إلى المرتبة الرابعة حتى يدحها تماما.

المرتبة الرابعة:

مرتبة تركيب الكلمة المعتمد عنها عند المشايخ بالتشكيل، وهي مرتبة عظيمة لأنه يصير الغلام متقنا القراءة، وكيفية تعلمها أن تكتب للفهم (أبجد) بأحرف مقطعة هكذا (أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ)

وفرق بين كلمتين ولا توصل ولا تركب له الأحرف الآن لأنه مبتدئ، ولقد سلكت مع الأولاد هذه الطريقة فبعضهم شكل (أبجد) في مجلس واحد ولله الحمد والمنة وأتقنها بحيث أضع له إصبعي على أي كلمة شئت فيشكلها حالا وينطق بها، ثم بعد إتقان (أبجد) اكتب الحروف التي بعدها مركبة واقرأها ثم بعد تشكيلها انتقل إلى غيرها، ولا تزل تشكل له حتى يصير

الغلام يشكل بسهولة مثل البراق، وفي هذه الحالة فإنه ينتقل إلى المرتبة الخامسة.

المرتبة الخامسة:

هي مرتبة المطالعة وهي مرتبة عظيمة، وكيفية تعلمها أن ترجع إلى ألف نصبة ثم تقول له " ألف ناصبة " فيقول " أنصب " ثم تنتقل إلى ألف خفضة فتقول له " ألف خافضة " فيقول اخفض، إلى آخر حروف الهجاء، وتخالف بين الأحرف ويطلب منه قراءتها خمسين دورا مبتدءا بالألف.

المرتبة السادسة:

وهي مرتبة الدراج وهي المقصودة من جميع ما تقدم وهي تتم بكثرة القراءة وتقول للمتعلم كل يوم فائدة، فمثلا تقول له أحرف مخرجات اللسان ثلاثة الثاء والذال والظاء، فقل له أخرج لسانك في هذه الثلاثة، ثم عرفه حروف المد وهي ثلاثة وهي الألف والواو والياء، ثم بعد إتقانها تعلمه أن الجلالة إذا كان قبلها خفضة تكون مرققة ولا تكون مفخمة مثل الجلالة " اللهم " ثم تعلمه تجويد الكلمة فقل له " أعط الكلمة حقها " وفهمه معناه، أي إن كان في الكلمة مد فمد وإلا فلا تمد، ثم ترتب للأولاد المبتدئين عريفا يقرأهم كل يوم قدرا معلوما قبل الانصراف، ثم بعد هذا كله تعلمهم أقوال الخير كأن تعلمهم الشهادتين وتعلمهم عقيدة الإيمان وهي آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وإياك يا أخي أن تترك المبالغة في النصح لأجل الغرض الفاني كأن يكون أبوه شحيحا لا يدفع دراهم لأن مثل هذا الفضل العظيم لا يترك لأجل الدنيا، وهذا من أعظم القرب فلا يعوض

عنه لأجل شيء، هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين.

<u>المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:</u>

رغم صغر حجم المخطوطة، فإنها واضحة الهدف، حيث حدد مؤلفها الهدف منها من خلال صياغة العنوان، فهي تقع في تخصص طرق التدريس حيث تقدم طريقة تمت تجربتها بواسطة المؤلف لتعليم الأطفال القرآن الكريم، ولقد قسم المؤلف المخطوطة إلى ست مراتب، المرتبة الأولى تحت اسم " إتقان الحروف " حيث يتعلم الطفل فيها الحروف ويكررها ويكتبها حتى ترسخ في ذهنه، ويتم ذلك بتقسيم الحروف إلى مجموعات تتكون المجموعة الأولى من الحروف " أ،ب،ت،ث " والثانية من " ج،ح،خ" وهكذا، وفي نهاية هذه المرحلة يتم عمل اختبار له، ولا ينتقل إلى المرحلة الثانية إلا بع إتقان هذه المرحلة.

أما المرتبة الثانية فتسمى " مرحلة إتقان الحركات " حيث يتعلم الطفل الحركات الأساسية وبعدها الحركات الفرعية، وعليه أن يحفظ هذه الحركات ويعرف كيفية إخراجها، ولا ينتقل للمرحلة التالية إلا بعد اختباره فيها والتأكد من تمكنه منها.

أما المرتبة الثالثة فهي مرتبة تركيب الحرف مع الحركة حيث يتعلم الطفل كيفية نطق الحروف مع الحركات الأصلية والحركات الفرعية، وتم اختباره أيضا بصورة تضمن تمكنه منها حتى يتم نقله للمرحلة التالية.

أما المرتبة الرابعة فهي مرتبة تشكيل الكلمة حيث يقوم الطفل بتجميع الحروف مع الحركات حتى يتثنى له تركيب كلمة وقراءة الكلمة المكتوبة

ومعرفة تشكيل الحروف المختلفة التي تكون الكلمة، ولا ينتقل للمرحلة التالية إلا بعد اختباره والتأكد من نطقه الصحيح للكلمات.

أما المرتبة الخامسة فهي مرتبة المطالعة حيث يتم التأكد من أن الطفل يطبق المراتب السابقة بنجاح، أي إنها مرتبة تجميع أربع مراتب معا.

أما المرتبة السادسة فتسمى مرتبة الدراج حيث يدرج الطفل القراءة ويكثر من كثرة القراءة في المصحف وهي الهدف النهائي المراد الوصول إليه من المراتب السابقة.

من الملاحظ أن المؤلف يتدرج من البسيط إلى المركب، فيبدأ بالحروف ثم الحركات ثم يركب الحروف مع الحركات ثم يكوِن الكلمات، وهو بهذه الطريقة يراعي الطبيعة البسيطة للطفل حيث يفضل الطفل التدرج في التعلم، وهو كذلك يعتمد على الحفظ في تعليم الطفل، والحفظ من الوسائل الأساسية التي قامت عليها التربية في الحضارة الإسلامية، وكذلك تضمنت المخطوطة طريقة للتقويم حيث يتم في نهاية كل مرتبة عملية تقييم يتم في ضوئها نقل الطفل من مرتبة إلى المرتبة التي تليها بعد التأكد من تحقيق المرتبة الحالية لأهدافها، وكذلك تبين المخطوطة مراعاة المؤلف للفروق الفردية بين الأطفال حيث لا يتم المساواة بين جميع الأطفال على أساس المرحلة العمرية، ولكن يتم التمييز بين الأطفال في ضوء قدراتهم على استيعاب ما تحتويه كل مرتبة، وهو بهذا يقدم تربية لا صفية ينتقل الطفل بين مراحلها وفقا لقدراته.

أخيرا يمكننا القول أن هذه واحدة من المخطوطات التربوية التي تبين مدى اهتمام المسلمين بعملية تربية الأطفال ووضع مراتب ومعايير معينة تساعد القائمين في العلوم المختلفة على تحقيق أهدافهم من خلال خبرات السابقين لهم.

ثانيا:المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة" رسالة في رياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم":

هذه المخطوطة من المخطوطات التي تتعرض لقضايا تربية الطفل بشكل مباشر، وقد ذكرت المخطوطة اسم المؤلف وهو" شمس الدين محمد بن محمد الإينابيي " ولم تذكر المخطوطة سنة وفاته، وهذه المخطوطة من المخطوطات التي تضع أقدامنا على بعض ملامح تأديب وتوجيه الطفل وتبين لنا المستوى التربوي الذي كان عليه مؤلف هذه المخطوطة مما يعكس عمق الثقافة التربوية التي كانت موجودة في عصره.

ملخص رسالة في رياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه وأدب نبيه محمد r فأحسن تأديبه وزكى أخلاقه وأوصافه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للإقتداء به من أراد تهذيبه وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخيبه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اعلم إن الطريق في رياض الصبيان من أهم الأمور وأكدها، والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما تنقش فيه ومايل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر على قيّمه ووليه، قال الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا" وإذا كان الأب يصونه عن نار الدنيا فعن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم والتزين، وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام

وتأديبه فيه وأن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخــذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحــدق النظــر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالي بين اللقم وأن لا يلطخ يده ولا ثوبه، ولا يعوده على نفائس الأطعمة والملابس بل يحبب إليه الخشن منهما ويفج عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل مــن يكثــر الأكل بالبهائم ويذم بين يديه الذي يكثر الأكل ويمدح الصبي المتــأدب القليــل الأكل ويحفظه عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهيــة ولــبس الثيــاب الفاخرة وعن مخالطة كل ما يلهيه.

وعلى قيّمه أن يوجهه إلى المكتب فيتعلم القرآن الكريم وأحاديث الأخيــار وحكايات الأبرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين، ويحفظــه عــن الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظه عن مخالطــة الأدبــاء الــذين يزعمون أن ذلك من رقة الطبع فإن ذلك ينبت في قلبه بذرة الفساد.

وينبغي أن يمنع من النوم نهاراً ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشــيء مما يمتلكه والده أو بشيء من مطعمه أو ملابسه أو لوحه أو دواته، بل يعــود التواضع والإكرام لكل من عاشره وليتلطف في الكلام معه، ويمنــع مــن أن يأخذ من الصبيان أو غيرهم شيئا، بل يعلم أن الرفعة فــي الإعطــاء لا فــي الأخذ لأن الأخذ خسة ودناءة إن كان من أولاد المحتشمين، وإن كــان مــن أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكــلاب، وأن لا يتمخط أو يبصق في مجلس غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا تحت رأسه فإن ذلك دليــل الكســل، ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك فعــل أبنــاء اللئــام، ويمنع من الحلف رأسا صادقا كان أم كاذبا حتى لا يعتاد ذلك فــي الصــغر،

ويمنع من أن يبتدئ الكلام ويتعود أن لا يتكلم إلا جوابا بقدر السـؤال وأن لا يهمل كلام من يخاطبه، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بـين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن السب واللعن ومـن مخالطـة مـن يجري على لسانه شيء من ذلك فإنه يسري لا محالة إليه من قرناء السوء.

وينبغي للمعلم أن يمنعه من الصراخ والتشفع بالناس عند الضرب ويقـبح ذلك عنده، وأن لا يلجأه إلى التعلم دائما وإلا كان متسـببا فـي مـوت قلبـه وإبطال ذكائه وتنغيص عيشه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا، وأن يعلمه طاعة والديه ومعلمه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يعلم ترك اللعب بين أيـديهم، وينبغـي أن يعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان، وأن لا يسامح من ترك الطهارة والصلاة ونحوهما، ثم مهما ظهر منه من خلق جميـل وفعـل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين النـاس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك سترة ولا يظهر له أنه اطلع عليه لا سيما إذا بالغ الصبي في إخفاءه وسـتره، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانيا ينبغي أن يعاتبه سرا ويعظم الأمر عنده، ويقول له " إياك أن تعـود بعد ذلك لمثل هذا وأن يُطلع عليك في مثل هذا فتنفضح بين الناس " ولا يكثر العتاب عليه في كل وقت فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح.

فإذا عاد أدبه بما يليق من توبيخه وتأخيره عن الأولاد في النزول مـن المكتب بما يكون جرمه ورطوبته معتدلين عرفاً ونحو ذلـك، ولا يضـرب ضرباً مبرحاً وهو ما عظم ألمه، ولا يضر إلا هو، ولا يرتقي لمرتبـة مـن

مراتب التأديب وهو يرى أن ما دونها كافيا، وعليه أن يتقي الضرب على المهالك والوجه.

وفي رسالة العلامة ابن حجر " فيما يحتاج إليه مؤدب الأطفال من الأحكام " ما ملخصه " لا يجوز للمعلم ضرب الصغير إلا إن أذن له أبوه وإن علا، ومثله الأم أي وإن علت ومَن الصبي في كفالته، أخذاً مما قاله في تعليم أحكام الصلاة والضرب عليها، ولا يجوز الإقدام على الضرب إلا بالتصريح، فليس مجرد الأذن في التعليم إذناً في الضرب لأنه لا يستلزمه، وقد رأينا من يأذن فيه وينهي عن الضرب، فسكوته عنه يحتمل رضاه به وعدمه، ولا يجوز الاعتماد على العادة ونحوها في العقوبات وإنما يُحتاط فيها قدر ما أمكن كما أجمعوا عليه، فإذا وُجد الإذن المعتبر جاز للمعلم الضرب على خلقٍ سيئٍ صدر من الولد وعلى كل ما فيه إصلاحٍ للولد، والظن أنه يرجع في الضرب للإصلاح لتكاسله عن الحفظ وتفريطه فيما علمه إلى ظنه واجتهاده، وأما الضرب لوقوع فحش منه لهربه أو إيذائه لغيره أو نطقه بما لا يليق فلابد من تيقينه أو إخبار من يقبل إخباره بأنه فعل ذلك، ولا ينافي هذا قولهم " لا يجوز للقاضي القضاء بعلمه في حد ولا تعزير " لأن القاضي متهم وليس بمحتاج إلى إصلاح الغير قبل إقامة البينة عليه، بخلاف المعلم فإنه غير متهم ويحتاج إلى الإصلاح، فلو وقف على البينة الشرعية لتعطل عليه الأمر وفات المقصد من التعليم والتربية، فسمح له الاعتماد على علمه أو ظنه المؤكد بكون الولد فعل فعلا مقتضيا التعزير، وقد صرحوا بأن للسيد حد رقيقه اعتماداً على علمه، وفرقوا بينه وبين القاضي بنحو ما ذُكر، ويجوز للمعلم الضرب فيما يتعلق بنفسه كأن يسيء الولد بنحو شتمه أو سرقة ماله، وإذا جاز للمعلم التعزير فله الضرب، ويلزمه أن يكون حسب ما يراه كافيا بالنسبة لجريمة الولد، فلا يجوز له أن يرقى إلى مرتبة وهو يرى ما

دونها كافيا، ولا يجوز له أن يبلغ بالضرب أربعين في الحر وعشرين في غيره بل يلزمه النقص عن ذلك، لقوله r كما ورد في خبر مرسل ": من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين "، أما خبر الصحيحين " لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله تعالى " فهو محمول على ما هو الأولى غالبا، وإلا فقبح الذنب قد يقتضي الزيادة، أو منسوخ لعمل الصحابة بخلافه من غير إنكار، ويشترط أيضا في جواز التعزير للمتعلم أن يظنه زاجراً له وأن لا يكون الضرب مبرحاً، ويظهر من كلامهم ظنه بأنه الشديد الإيذاء بحيث لم يحتمل عادة وإن لم يدم البدن، فإن ظن أنه لا يفيد فيه إلا المبرح فلا يجوز المبرح إجماعاً ولا غيره على الأصح لأنه يقيد العقوبة إنما جازت لنحو الصبي على خلاف الأصل لظن إفادتها زاجراً له وإصلاحاً، فإذا ظن انتفاء فائدتها فلا مقتضى لجوازها.

ثم كيفية ضربه أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد وأن يكون في غير وجه ومقتل وأن يكون بين الضربتين زمن يخف فيه ألم الأول، وأن يرفع الضارب ذراعه ليثقل السوط لا عضده حتى يرى بياض إبطه لئلا يعظم ألمه، ولا يضعه عليه وضعا لا يتألم به، ويجب في حجم السوط أن يكون معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا وأن يكون معتدل الرطوبة، فلا يكون رطبا يشق الجلد لثقله ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته، ولا يتعين لذلك نوع بل يجوز بسوط وهو سيور تُلوى وبعود وخشبه وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد، وما نقله الروياني عن الأصحاب فيه أن يتعين على الزوج في ضرب زوجته أن يقتصر على الضرب بيده أو بمنديل، فالمعلم مثله لأن كل منهما يضرب تعزيراً، بل المعلم أولى لأنه يضرب غير مكلف لم يفعل معصية، والزوج يضرب مكلفة غالبا على معصية، وهذا ليس بمعتمد، بل المعتمد ما في " شرح الإرشاد " من أنه يجوز للزوج الضرب بالسوط

وغيره، فهما سواء في ذلك وإن فرقوا بينهما بأن الأولى للزوج العفو لأنه لحظ نفسه، والأولى لمؤدب الصغير عدمه لأن المصلحة تعود على المضروب، ومن ثم قال r ": لأن يؤدب أحدكم ولده بسوط خير له من يتصدق عنه بصاع " ويقبل قول المعلم في عدم تعديه بالضرب، فلو ادعى الولي الإذن وأنكر المعلم، صدق المعلم لأن المعلم وكيل الولي، والموكل إذا ادعى على وكيله أنه تعدى فيما وكله فيه كان القول قول الوكيل.

فائدتان: الأولى: وقع للترمذي من أصحابنا أنه قد يجوز أن يجمع ضربات التعزير في موضع واحد من البدن بخلافه في الحدود وأن يضرب فيه بسوط فوق سوط الحد وأن يكون الضرب فيه أقوى من الضرب في الحد " انتهى " وهذا في منتهى الغرابة ومن ثم خطأه الروباني في ذلك وقال: هذا مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

الثانية: قال الرافعي من الأصحاب من يخص لفظ التعزير بما يفعله الإمام أو نائبه ويسمي غير ذلك كضرب المعلم للصبي والزوج لزوجته تأديبا لا تعزيرا، ومنهم من يطلق التعزير على الكل، وهذا هو الأشهر، وقد ذكر النووي طرقا لكيفية التعزير فليراجع والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأصهاره والتابعين وسلم تسليما كثيرا متتابعا إلى يوم العرض على مالك المخلوقين وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:

هذه المخطوطة من المخطوطات التي تندرج بشكل مباشر في علم التربية، ذلك لأنها تهتم برياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم، وتبدأ المخطوطة

ببيان مكانة الصبي عند والديه وموقف الدين الإسلامي من تربية هذا الصبي وأنه يدعو الوالدين لوقاية هذا الصبي من مساوئ الدنيا ونار الآخرة.

بعد ذلك تتحدث المخطوطة عن الآداب التي يجب أن يكسبها الوالدين لأطفالهم عند تناولهم للطعام مثل الأكل باليمين والبدء ببسم الله الرحمن الرحيم والمضغ وعدم التسرع في تناول الطعام وعدم التعود على نفائس الطعام فقط وكذلك تجنب الملابس النفيسة وتجنب الصبيان الذين يتعودون ذلك.

بعد ذلك تحدثت المخطوطة عن توجيه الصبيان للمكتب لتعلم القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار، وأن يتم إبعاد الصبيان عن الأشعار التي يذكر فيها العشق وأهله.

بعد ذلك تحدثت عن عادات سلوكية وأخلاقيات مثل أن يُمنع من النوم نهاراً ويُمنع من أن يفتخر على أقرانه بما يملك أو يأكل أو يلبس، وعليه أن يُعود التواضع، ويُمنع من أخذ ما في يد غيره وأن يُعلم أن العزة في العطاء وأن الأخذ خسة ومهانة، وكذلك يُمنع من بعض السلوكيات السيئة مثل التمخط أو البصق في مجلس غيره واستدبار غيره وكثرة الكلام والحلف سواء صادقاً أم كاذباً، ويُمنع من أن يبدأ الكلام ويتعود أن يتكلم جواباً ولا يهمل خطاب غيره، ويُعلم أن يوسع المجلس لمن يكبره، ويمنع من لغو الكلام وفحشه.

بعد ذلك تنتقل المخطوطة لمخاطبة المعلم وتحث المعلم أن يمنعه من الصراخ والتشفع بالناس عند الضرب، وأن لا يمله المعلم بكثرة التعلم لما في ذلك من مضار، وأن يعلمه المعلم احترام والديه ومعلميه ومن هو أكبر منه سناً، وعلى المعلم أن يعلمه كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوفه من

الصفات المذمومة مثل السرقة والخيانة والكذب، وعلى المعلم أن يكافئه على أفعاله المحمودة ويعاقبه على المذمومة بصورة لا تهتـك سـتره ولا يكثـر معاتبته.

بعد ذلك تتحدث المخطوطة عن تأديب الصبي العائد المتكرر إلـى فعـل الخطأ بأن يؤدبه بما يليق بجرمه.

بعد ذلك تتحدث المخطوطة عن رسالة ابن حجر المتعلقة بما يحتاج إليـه مؤدب الأطفال من الأحكام، فتحدثت عن أن الضرب لا يتم إلا بعد الاستئذان من ولي الأمر ويكون هذا الاستئذان صريحاً؛ فلا يجوز الاعتماد على العادة ونحوها في العقوبات، فإذا وجد المعلم الإذن يجوز له أن يضرب على خلـق سيئ وعلى ما فيه إصلاح للولد، ثم فرق بين المعلم والقاضي في الضـرب؛ حيث يجب على القاضي أن لا يأخذ بالظن ويجوز للمعلم أن يأخذ بالظن فـي عملية الضرب لأنه لو استقصى الأمر ليصل للبينة التي تسـتوجب الضـرب لتعطل عليه الأمر وفات المقصد من التربية والتعليم، ويجوز للمعلم الضـرب فيما يتعلق بنفسه وأن يكون حسب ما يراه كافيا لجريمة الولد، والضـرب لا يتجاوز الأربعين في الحر وعشرين في غيره، وأن لا يكون الضرب مبرحـاً وأن يكون الضرب مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد ولا يكون في الوجـه أو مقتل وأن يكون هناك زمن كافي بين الضربتين، وأن يكون متوسطاً، ويجوز بأن يكون الضرب بسوط أو بعود أو خشبه أو طرف ثوب بعد فتله، ثم هناك مقارنة بين ضرب الزوج لزوجته وضرب المعلم للصبي حيث إن الفائدة في الضرب في حالة المعلم تعود على المضروب والعكس في حالة الزوج.

من الملاحظ أن هذه المخطوطة تتدرج مع أسـاليب التربيـة وتبـين أن الفائدة الختامية تتمثل في تنشئة صبي متعود علـى الأخـلاق والسـلوكيات

الحميدة الخاصة بالحاجات الأساسية ولديه المعارف الضرورية التي يحتــاج إليها في البيئة الإسلامية والتي تطبعه اجتماعياً بصورة تجعله متوافقــاً مــع المجتمع الذي يعيش فيه وذلك من خلال غرس القيم المستمدة من المصــادر الإسلامية الأصيلة، وهذا واضح في الأدلة التي اعتمــدتها المخطوطــة مــن قرآن وسنة وآراء فقهية.

ثالثا: مخطوطة: قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع الغلام:

هذه المخطوطة مجهولة المؤلف وهي تدور حــول حــوارات دارت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وغلام حديث السن (أظن أنه محمد الباقر بــن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالــب، رضــي الله عــنهم أجمعين)، حاول الحجاج في هذه الحوارات أن يختبر ثقافة هذا الغــلام فبــدأ بعرض المعلومات المتعلقة بالبلدان ثم المعلومات القرآنية والمعلومات الطبيــة والمعلومات الاجتماعية، فهي تبين الطبيعة الموسوعية للثقافة في تلك الفتــرة ولا سيما أنها كانت في القرن الأول الهجري.

ملخص قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع الغلام:

بسم الله الرحمن الرحيم رُوي عن أبي عبيدة الكرخي رضي الله عنه أنه قال: حضرت ذات يوم مجلس الحجاج وكان الحجاج مقيماً بمدينة الكوفــة وكــان الناس حوله جالسون ولكلامه سامعون وهم من هيبته مطرقون، وكان الناس معه في تعب شديد وكان قد فشا فيهم القتل، وغــالبهم لحجــة مــع العلمــاء والأفاضل والأخيار والسادة ويحتج عليهم بحجج توفي العجز عن رد الجواب فيعجزوا فيضرب أعناقهم، فقتل أشراف وعلماء كثيرين لا يحصي عددهم إلا الله فقتل العباد وأباد البلاد، فبينما الحجاج جالس ذات يوم مع أربــاب دولتــه ونوابه وقومه وحُجَّابه، إذ دخل عليه شاب صحيح البدن حديث السن أشــعث

بعارضين مليح الشمائل والصفات مكشوف الرأس عليه ثياب رثة فقد غيـــر الدهر بشرته وصورته، فلما وقف بين يدي الحجاج قال: السلام عليـــك يـــا حجاج، يا من هو إلى رحمة ربه مُحتاج، إني أتيتك أسألك أو تســـألني إمـــا فضحتك وإما فضحتني، وكان الحجاج متكئاً فجلس وقال: ما اسمك يا صبي؟ قال: عبد الله، قال: من أين أتيت؟ قال: من أبي وأمي، قال: وفـــي أي شـــيء جئت؟ قال: في ثيابي، قال: وعلى أي شيء جئت؟ قال: على الأرض ماشـــياً أطلب رزقي منتظراً أجلي، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنـــا مـــن مدينة مصر القاهرة، قال: أنت من مدينة الفاسقين، قال: ولما جعلتهـــا مدينـــة الفاسقين؟ قال: لأن ترابها ذهب ونساءها لُعب ونيلها عجب وأهلها لا عـــرب ولا عجم وهي لمن غلب وملوكها جُلب، قال: ما أنا مـــنهم، قـــال: فمـــن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنا من الريف، قال: أنت من قوم مساكنهم الخريف وينجزمون[1] بالليف وبدنهم كثيف، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنا من الشام، قال له: أنت من أحسن مكـــان وأغلـــظ ســـكان وأضعف أبدان وأقل أديان وأضعف إيمان يبغضون القريب ويتعبـــون عليـــه أشد معصية، قال: ولما ذلك؟ قال: لأنهم جبارين لا يهود ولا نصارى، قـــال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنا من اليمن، قال: أنـــت من بلد سلطانهم حياد فزودهم وتاجرهم ذبائح جلود يأكلون ممـــا هـــب ودب وينكحون الأولاد المرد، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صـــبي؟ قال: من بلاد الموصل، قال: وأين الموصل وأين طوله وأين عرضه؟ قـــال: طوله شرقي إلى القصر وعرضه من البحر إلى الدواخل، قال: أنـــت مـــن القوم الأشرار اللواط الكفار، قال: ولم جعلتهم كفار؟ قال: لأنهم تغـــالوا فـــي الدنيا وأدخروها وموعدهم النار لأنهم زغلوا[2] الدنيا، صبيهم عارٍ وشـــبابهم جاهل عقله كعقل الحمار، قال: ما أنا منهم، قال:

(١) ينجزمون: يقطعون: الفيروز آبادي: القاموس المحيط: القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، د.ت.: ج ٤، ص ٩١. (٢) زغلوا: صبه دفعاً ومجه: الفيروز آبادي: مرجع سابق: ج٣، ص ٤٠٠.

فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنا من الشرق، قال: أنت من قوم يدعون الشرف والفخر وهم بين الأنام شهرة، كسبهم الفوط[1] وأكلهم القوط[2]، إن رغم[3] الجمل اجتمعوا وإن سكت الجمل افترقوا، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: أنا من الغرب، قال: أنت من قوم الحضر فيهم البخل وسوء الخلق، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ قال: من مكة المشرفة بلد العلم والوحي الذي نزل على جدي المصطفي، قال الحجاج لبعض أصحابه وأكابره ونزلائه: إن الشاب مثل ما يقول، ما قدر عليَّ الشاب ساعة واحدة، ثم قال الحجاج: يا صبي، أنت من أشر مكان معدن الجهل أرسل الله تعالى فيهم نبيه فأذوه وكذبوه وهاجر من عندهم إلى قوم حبوه وآووه ونصروه، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أي البلاد أنت يا صبي؟ فلقد أكثرت في جدالك وقلبي يحدثني بقتلك، فقال الصبي: لو علمت أنك قاتلي ما عبدت غيرك، فقال الحجاج: ويلك، وما يمنعني من قتلك؟ قال: يمنعك الذي يحول بين المرء وقلبه وهو لا يخلف الميعاد، فقال الحجاج: هو الذي يعينني على قتلك، فقال: حاشا لله أن يعينك على قتلي إنما يقويك شيطانك، وأنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الذي بين يديك يا حجاج، قال: فمن أين أنت يا صبي؟ قال: من طيبة، قال: وما طيبة؟ قال: يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أنت من القوم الذين اتفقوا مع المجوس على أنهم ينقبوا ضريح رسول الله ويسرقوا أكفانه، قال: ما أنا منهم، قال: فمن أين أنت يا صبي؟ قال: أنا من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهذا معدن التنزيل والتحريم

والتحليل، أهل الإيمان والإحسان، صاحب الحسب والنسب والآباء والأجداد، وأنا من بني غالب من سلالة الإمام علي بن أبي طالب الفارس المقدام الأسد الضرغام، فهل لك يا حجاج نسب كنسبي وحسب كحسبي، وكل حسب ونسب ينقطع إلا حسبنا ونسبنا لا ينقطع إلى يوم القيامة، فاغتم الحجاج من كلامه وأمر بقتله، فقامت إليه أكابر دولته ومدوا إليه أعناقهم وقالوا: سألناك بالله أن تعفو عن هذا الغلام ن فقال لهم: لا تتعبوا بالشفاعة فيه، لا بد من قتله ولو ناداني مَلك من السماء وقال لي لا تقتله، فقال: تحشم يا حجاج، فمن أنت حتى يناديك مَلك من السماء، لا أنت نبي ولا رسول، قال: أقتلك بحجة من كلامك، قال: وما ذاك يا حجاج؟ قال: أخبرني عما يجب عليك في كل يوم وليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: وفي كل سنة؟ قال: صيام شهر رمضان، قال: وفي عمرك؟ قال: الحج إلى بيت الله الحرام، قال: أخبرني عما يقرب العبد إلى الله تعالى؟ قال: ستة أشياء، قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج إلى بيت الله الحرام، الجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الفقراء، قال الحجاج: يا صبي، أنت تعرف الله عز وجل؟ قال: نعم، قال: وكيف عرفته؟ قال: بمعرفة القلب وهو عندي حاضر لا يغيب، قال الحجاج: أنا أتقرب إلى الله تعالى بقتلك لأنك قتلت الحسن والحسين أولاد بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم " فقال: صدق الله العظيم، وقال في كتابه أيضا " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " رغم أنف الحجاج، اسمي محمد الباقر ولد الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خوف ولا فزع، وأما حسبي ونسبي فإنه ينبئ عني وعن أبي، ولكن أعلمك به يا حجاج، نحن من

شقة الرضوان والدر والعقبان ومن عين ماء السلسبيل والجود (١) الفوط: ثياب تُجلب من السند: المرجع السابق: ج٢، ص٣٩٢.

(٢) القوط:القطيع من الغنم: المرجع السابق: ج٢، ص ٣٩٦.

(٣) رغم: غضب: المرجع السابق: ٤، ص ١٢٣.

والتفضيل، أهل الشرف والحسب والجود والنسب والمعرفة والأدب بيت النبوة أهل الكرم والفتوة، إن تكلمنا فنحن المفاخر وإن انتسبنا فنحن الفاضلون وإلى كل فضل وعلم سابقون ونحن من الذين أنزل الله عليهم التنزيل والتفضيل، فمن له يا حجاج نسباً كنسبنا وحسباً كحسبنا، قال الحجاج: ما النجاة من الهلاك؟ قال: الثقة بالله والعمل بما أمر الله والكف عما نهى الله عنه، قال الحجاج: أخبرني عن أول ما يجب على العبد؟ قال: معرفة ربه قبل كل شيء، قال الحجاج: ما تقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سبطاي، ولم يقل أبنائي؟ قال: أما سمعت يا حجاج قوله تعالى " فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " قال الحجاج: صدق الله العظيم وصدقت أنت يا صبي، فأنت أزيد مني حجة يا صبي، قال الحجاج: أي شيء فيك طويل وأي شيء فيك قصير؟ قال: الطويل أملي والقصير أجلي، قال: اخبرني عن أفضل العرب؟ قال: قريش، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم منهم، قال: فمن أشجع العرب؟ قال: بني طئ لأن حاتم الطائي منهم، قال: فمن أبخل العرب وأبشعها وأخبثها وأقذرها وأقلها خير؟ قال: بني ثقيف لأنك يا حجاج منهم ومسيلمة الكذاب منهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: يظهر في ثقيف بتير وكذاب أشر، والبتير أنت يا حجاج والكذاب الأشر مسيلمة الكذاب، فاغتم الحجاج من كلامه وأمر بقتله، فقامت إليه أكابر دولته ومدوا إليه أعناقهم

وقالوا له: هذه رأسنا دون رأس هذا الصبي، فعفا عنه، ثم قال: أخبرني عن الجدي الذي في السماء أهو ذكر أم أنثى؟ قال: ارفع لي ذيله حتى أقول لك ما هو، فضحك الحجاج من كلامه، وقال: اخبرني كيف تركت الماشية وراءك؟ قال: ماعز وضأن، فقال: كيف تركت الجمال ذات القرون؟ قال: في البادية يرعون ورق الأحجار، قال: يا لئيم الذهن، وهل للأحجار ورق؟ قال: يا أثيم، وهل للجمال قرون، قال الحجاج: كأنك عاشق، قال: نعم وفي بحر العشق غارق، قال: وما تعتقد؟ قال: اعتقد ربي الذي أرجوه أن يفرج كربتي ويخلصني اليوم منك يا حجاج، قال: أين ربك منك؟ قال: بالمرصاد وهو أقرب إليَّ من حبل الوريد، فقال الحجاج: أنت تعرف ربك؟ قال: نعم، قال: فبما عرفته؟ قال: بكتابه المنزل على نبيه المرسل، قال الحجاج: كأنك تحفظ القرآن؟ قال: القرآن هارب مني حتى ما أحفظه، قال: أستحكمته؟ قال: أنزله الله كتاباً محكماً على نبيه المرسل، قال: أستظهرته؟ قال: معاذ الله أن أنبذه وراء ظهري، قال: وكيف تقرأه؟ قال: علمته وعلمت ما فيه، قال: اخبرني بآية فيه أعظم وآية فيه أقصر وآية فيه أحكم وآية فيه أعدل وآية فيه أرجا وآية فيها تسع آيات وآية صدقوا فيها اليهود والنصارى وآية كذبوا فيها اليهود والنصارى وآية كذبوا فيها أولاد الأنبياء وآية قالها الله لنفسه وآية فيها قول الملائكة وآية فيها قول الأنبياء وآية فيها قول أهل النار وآية فيها قول أهل الجنة وآية فيها قول إبليس اللعين؟ قال: الجواب بعون الله تعالى يا حجاج، أعظم آية في القرآن آية الكرسي وأقصر آية في القرآن [مُدْهَامَّتَانِ] وأحكم آية قوله تعالى [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] (الزلزلة: ٧ -٨) فمن يعمل مثقال ذرية خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" وأعدل آية في القرآن قوله تعالى [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى] (النحل: ٩٠) وأخوف آية قوله تعالى [أَيَطْمَعُ

كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ] (المعارج: ٣٨) وأرجا آية قوله تعالى [لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (الزمر: ٥٣) وأوثق آية قوله تعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة:٧) والآية التي فيها تسع آيات قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤) والآية التي صدقوا فيها اليهود والنصارى قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) (البقرة:١١٣) والآية التي كذبوا فيها أبناء الأنبياء قوله تعالى (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) (يوسف:١٨) وهم إخوة يوسف عليه السلام، والآية التي كذبوا فيها اليهود والنصارى قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ) (التوبة:٣٠) كذبوا لعنهم الله، والآية التي قالها الله لنفسه قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦) والآية التي فيها قول الملائكة قوله تعالى (قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة:٣٢) والآية التي قالت فيها الأنبياء قوله تعالى (وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (إبراهيم:١١) والآية التي فيها قول أهل الجنة قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر:٣٤) والآية التي فيها قول أهل النار قوله تعالى (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) (المؤمنون:١٠٧) فيجيبهم الله عز وجل بعد خمسمائة عام (قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) (المؤمنون: ١٠٨) والآية التي فيها قول إبليس اللعين قوله تعالى (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِينَ) (ص:٨٢ - ٨٣) قال الحجاج: أحسنت في جواباتك كلها، أخبرني عن أي شيء أبعد إليك؟ قال: الدنيا من الآخرة، قال: أخبرني عن أي شيء أقرب إليك؟ قال: الموت، قال: أخبرني عن أي شيء أنيس الجسد؟ قال: ما دامت الروح فيه، قال: وأي شيء أوحش للجسد؟ قال: إذا خرجت الروح منه، قال الحجاج: أخبرني أين موضع النظر؟ قال: في العينين، قال: اخبرني أين موضع السمع؟ قال: في الأذنين، قال: أخبرني أين موضع العقل؟ قال: في الدماغ، قال: أين موضع الحشمة؟ قال: العينين، قال: أين موضع الحياء؟ قال: في الوجه، قال: أين موضع شم الرائحة؟ قال: في الأنف، قال: أين موضع الحب؟ قال: في اللسان، قال: أين موضع الرحمة؟ قال: في الكبد، قال: أين موضع الغضب؟ قال: في الكليتين، قال: أين موضع الحلاوة؟ قال: في الريق، قال: أين موضع الضحك؟ قال: في الطحال، قال: أين موضع الفرح؟ قال: في الكتف، قال: أين موضع الضعف؟ قال: في الساقين، قال: أين موضع اللهو؟ قال: في النفس، قال: أين موضع الشجاعة؟ قال: في القلب، قال الحجاج: تؤتي الحكمة من تشاء، ما رأيت صبياً آتاه الله الذكاء والحفظ والعلم والعقل وقوة القلب والمعرفة والأدب إلا أنت يا فتى، فقال: أنا من أهل ذلك رغماً عن أنفك يا حجاج، قال الحجاج: فما كمال الدين؟ قال: الثقة بالله، قال: فما الوسيلة إلى الله؟ قال: التوكل على الله، قال: فما الرضا؟ قال الفرح بالقضا لما مضي، قال: فما خير الأشياء في الدنيا؟ قال: العمل الصالح والمال الحلال، قال: وما خير من المال؟ قال: الجاه، قال: فأي العلوم أفضل؟ قال: علم الذات والصفات وبعده علم الشريعة، والطبيعة مقدمة على الشريعة، قال: فما الحلم؟ قال ملهمة الغيظ وكظم الغضب، قال: فما المَلاحة؟ قال: حب السائل وبذل النايل[1]، قال: فما الشجاعة؟ قال: شدة البأس ومبارزة الأجناس، قال: فمن الشحيح؟ قال: الذي يرى القليل إسرافاً وما أنفقه أتلفه،

قال: فمن الجبار؟ قال: الآيس من القوت والفار من الموت، قال: فما المحبة الصادقة؟ قال: عند الشدة والرخا، قال: فأي الملوك أصلح في الدنيا وأحسن عاقبة في الآخرة؟ قال: الذي يحلم عند الغضب ويعفو عند المقدرة، الذي يعدل بالسوية وإذا نطق صدق وإذا وعد وفَّ وحقق، قال الحجاج: هل من عندك من كل شيء يا صبي؟ قال: نعم، قال: صف لي صفة الإنسان ومنهاجه؟ قال: اعلم يا حجاج، إن أعجب ما في ابن آدم قلبه، قال: وكيف؟ قال: إن صلح له الرضا أزال الطمع، وإن أصابه الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه الإياس قتله الأسف واحرص به الغضب واشتد به الوجد، فإذا استقر به الفزع تبين الشدة، وإذا أتاه الخوف أشغله الحقد وإذا شبع أبينته العزة وإذا أصابته مصيبة قتله الجذع وإذا أصابته فاقة وُكل به البلاء وإن أصابه الجوع أخذته الصفرة وإذا أفرط في الشبع أخذته البطنة وإذا مرض يوماً تبين الصحة، قال الحجاج: أخبرني عن أحسن النخل؟ قال: خيره ما غلظ جناه ودنى ارتقاه وصفر في جرسه نواه وأخذت حلاوته باللهاة، قال: فما تقول في العنب؟ قال: خيره ما كبر عنقوده، قال: فما تقول في الأرض؟ قال: واسعة الطول والعرض، قال: فما تقول في المطر؟ قال: خيره ما مُلئت منه الآبار وسالت منه الأودية (١) النايل: العطاء: المرجع السابق: ج٤، ص ٦٢.

والأنهار، فقال الحجاج: يؤتي الحكمة من يشاء، قال: على رغم أنفك يا حجاج، فقال الحجاج: أخبرني عن اثنين لا ثالث لهما وعن اثنين متباغضين وعن اثنين متحابين؟ قال: فأما الاثنين اللذين لا ثالث لهما فالشمس والقمر، والاثنين المتباغضين فالحياة والموت، والاثنين المتحابين فالخير والنعمة، فقال الحجاج: أحسنت، فقد أخذت حظك من كل فن، فأخبرني عن شجرة لها أثنى عشرة غصن وفي كل غصن ثلاثون ورقة وفي كل غصن أربع زهرات وفي كل الأغصان شيء أبيض وشيء أسود؟ قال: يا حجاج،

ليست هذه صفة شجرة، هذه صفة السنة أثنى عشرة شهر بكل شهر ثلاثـون يوماً وأما الأربع زهرات فالأربع جمع التي في الشهر وأما الأبيض والأسود فهو الليل والنهار، فقال الحجاج: أخبرني عن ما يقول الضفدع في عياطـه، والديك في صياحه، وما يقول الفاخت [١]في ترجيعه، وما يقول الناموس فـي زميره، وما يقول الطاووس في كلامه، وما يقول الجمل في نهيقه، وما يقول الكلب في نبيحه، وما يقول الثور في جعيره، وما يقول الفرس في صـهيله، وما يقول الهدهد في صياحه، وما يقول اليمام في تغريده، وما يقول الغـراب الأعور في زعيقه، وما يقول الفأر في تنبيحه، وما يقول الغراب النوحي في صياحه؟ فقال: يقول الضفدع " سبحان الملك المعبود في لجج البحار والبرار والعقار " ويقول الديك " اذكروا الله يا غافلين " ويقول الفاخت في ترجيعـه " سبحان من لا يذوق الموت وكل نفس ذائقة المـوت " ويقـول الطـاووس " سبحان الله العظيم عند شدة غضبه " ويقول الحمـار فـي نهيقـه " لعـن الله المداين والمُكاس [٢] " ويقول الكلب في نبيحه " ويل لأهل النار من غضـب الجبار " ويقول الثور في نعيره " حسبي الله وكفى " ويقول الفرس في صهيله " سبحان حافظي أنا وفارسي إذا التقت الجنود بـالجنود واشـتغلت الرجـال بالرجال وتلاقت الفرسان بالفرسان " ويقول الفأر " سبحان الملك الجبار الذي جعل الفأر فساداً في الغيط والدار " ويقول الهدهد " شر الناس عند الله الغدار " ويقول اليمام في تغريده " سبحان الملك الشكور الواحد الغفـور " ويقـول الغراب النوحي في صياحه " سبحان الواحد الأحد الفـرد الصـمد " ويقـول الغراب الأعور " سبحان من يَذل ويقهر" ويقول الناموس في زميره " سبحان الله حقاً حقاً لولا لطفه لكنا نشقى، انظر يا ابن آدم شرقاً وغرباً ما ترى فيهـا أحداً يبقى " ويقول الفاخت في ترجيعه " ليت الخلـق لـم يُخلقـوا " ويقـول الطاووس " كما تدين تُدان " ويقول الجراد " استغفر الله " ويقول الطير " كـل

حي ميت وكل جديد بال " ويقول الخطيفة [٣]" قدموا خيراً تجدوه عنـــد الله " ويقول الحمام " سبحان ربي الأعلى ملئ سمواته وأرضه " ويقول الســـمان " سبحان المذكور بكل لسان " ويقول العصفر " لعن الله شارب الخمر والميسر وكل مسكر " والحداية تقول " كل شيء هالك إلا وجهه " وتقول الفويســـقة [٤] " سبحان المنجي من المهالك " وتقول المصاحبة " سبحان من يقدر ويعفـــي " ويقول الذباب " سبحان المنجي من العذاب " وتقول الهوام " ســـبحان البـــاقي على الدوام " ويقول القطقاط " من سكت سلم وويل لمن كانت الدنيا أكبر همه " وتسبيح الجاموس " سبحان ربي القدوس " ويقول الباز " سبحان الله وبحمده " ويقول الزرزور " سبحان من يبعث من في القبور " ويقول البلبل " إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا السلام " والكركي[٥] يقول " اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق " ويقول النسر " ابن آدم، عش ما شئت أخره الموت " ويقـــول العقاب " البعد عن الناس أنس وراحة " ويقول الجمل " سبحان من يَذل ويقهر " وتسبيح الأغنام " ربي الملك العلام " (١) طائر:المرجع السابق. ج ١، ص ١٥٩.

(٢) المُكس: النقص والظلم: المرجع السابق: ج٢، ص ٢٦١.

(٣) طائر أسود: المرجع السابق: ج٣، ص ١٣٩.

(٤) الفأرة: المرجع السابق: ج٣، ص ٢٨٥.

(٥) طائر: المرجع سابق: ج٣، ص٣٢٧.

ويقول القنبير[١] " لعن الله من يبغض آل محمد " ويقول الخـــاطف [٢] " الحمد لله رب العالمين " ويقول القمرية [٣] " اعمل ما شئت فإنك تُجازى به " وتسبيح الوز " سبحان من يعز ويذل " وتسبيح النعام " سبحان من لا يغفـــل ولا ينام " وتسبيح النحل " سبحان ربي الهادي " وتسبيح النمل " سبحان ربي

العظيم " فقال الحجاج: أخبرني عن أحسن المأكول؟ قال: خيره ما حفظ في الصناديق، قال: أخبرني عن أخبث المأكولات؟ قال: لحم خنزير في جوف شريف، قال: اخبرني يا غلام عن أخبث الطعام في أخبث الأوعية حامله رجل من أخبث الرجال؟ قال: يا حجاج، أخبث الطعام لحم خنزير فهو نجس وصارت الوعاء نجسة فهو أخبث الطعام في أنجس الأوعية حامله رجل ابن زنا فهو أخبث الرجال، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليبادر بالغذاء ولا يمسي بالعشاء ولا تستك أسنانك بعود المصطكي [٤] فإنه يورث الضرر في الأسنان ولا بعود الطرف [٥] فإنه يورث الفالج، وإياك إذا أكلت الطعام أن تشرب الماء بعده فإنه يورث السوسة في الأسنان، ولا تجلس في الظلام ولا تأكل على ظهر طيف ولا في جوف الغربال والمنخل، ولا تجلس على عتبة الباب ولا تقف عليها فإن ذلك كله يورث الفقر، ومن فطر على الملح شفاه الله من سبعين داء من البلاء، ومن فطر على ثلاث تمرات على الريق قتل كل دود في بطنه، ولا تجامع العجوز فإنها تأخذ منك ولا تعطيك، ولا تجامع على جنبك الأيمن فإنه يحدث منه مرض ولا تجامع على جانبك الأيسر فإنه يحدث منه ارتعاش في البدن، والحجامة في الحمام تورث ضعف البدن، ولا تجامع وأنت شبعان ولا وأنت جوعان ولا وأنت تعبان ولا ليلة العيد ولا أول ليلة تقدم من السفر فإنه يورث قلة الخير، أما ليلة العيد فإنه يورث الجنون في المولود ولا تجامع أول ليلة في الشهر ولا تحت شجرة مثمرة فإنه يورث الهم والارتعاش، ولا تأكل وأنت جنباً فإنه يورث النسيان، وعليك بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة فإنه يحد البصر، والنظر في المصحف يورث الرزق، والنظر إلى وجه الوالدين عبادة، ومن قلم أظافره بأسنانه أورثه البرص في بدنه، والأيمان الكاذبة تخرب الديار العامرة، واكل السمك القديد والشرب عقب الجماع يورث القرع، واكل اللحم الضاني يورث القوة ولحم

البقر داء وسمنه شفاء وجلده حذاء، والرائحة الطيبة تقوي الهمة للنكاح، وشرب الماء على الريق يضعف القلب، والسواك يذهب البلغم، والكحل بالأثمد يعني الأسود يجلي البصر، والكسرة المقمرة [٦] هي المرهم الأكبر، وأما النظر إلى الوجه المليح فهو عبادة إذا كان في حل، والعمل الصالح طريقه إلى الجنة، فقال الحجاج: أحسنت في جوابك، أخبرني عن من مات ولا خاف؟ قال: من مات ولا خاف فهو أيوب المبتلى أوهبه الله الجنة، قال: أخبرني عن أسماء الخمر؟ قال:أعرفهم، وما أرسلني الله إليك إلا نقمة حتى لا تكاد تنكر على العلماء ولا تقتلهم بحجة ولا بغيرها، فهات ما عندك من السؤالات وخذ مني الجوابات، قال: اخبرني عن الخمر وأسمائها؟ قال: أسماؤها كثيرة عند شرابها، وقد سمعت عن أسمائها الصهباء والسلافة والخمر والميسر والقرقف والمشعشع والداح والمداح والحر والمفرح والقداح وبنت الكروم وبنت الذباب والعرقي والنبيذ، وإنما سُميت خمراً لأنها تخامر العقول، فضحك الحجاج، فأراد أن يتفل الصبي، فقال له الحجاج: لا تتفل إلا في خراب، فالتفت الصبي في القصر فوجده كله مفروش بالفرش والمخدات من الألوان نفيسة مزركشة بالذهب، ونظر إلى الحجاج فوجده اعور، فتفل في عينه، فقال له: ما حملك على (١) دجاجة: الفيروز آبادي: مرجع سابق: ج٢، ص ١٢٦.

(٢) خاطف ظله: طائر إذا رأى ظله في الماء اقبل إليه ليخطفه:المرجع السابق: ج٣، ص ١٣٩.

(٣) ضرب من الحمام:المرجع السابق: ج٢، ص ١٢٥.

(٤) علك رومي أبيضه نافع للمعدة والمقعدة والأمعاء والكبد والسعال المزمن واللثة:المرجع السابق: ج٣،ص ٣٢٩.

(٥) شجر وهي أربعة أنواع منها الأثل:المرجع السابق: ج٣، ص ١٧٢.

(٦) حريف طيب الطعم: المرجع السابق: ج٢، ص ١٢٦.

ذلك؟ قال: قلت لا تتفل إلا في خراب فما وجدت خراباً إلا عينك، فاغتم الحجاج من كلامه وأمر بقتله، فقامت إليه أكابر دولته ووزرائه وقالوا له: سألناك بالله أن تهب لنا هذا الغلام، فعفى عنه وجلس يسأله، فقال: اخبرني عن أي النساء أحسن؟ قال: ذات الدلال الكامل والجمال الفاضل التي صفرت رأسها وطال عنقها واسودت عيناها واتسع صدرها وطال شعرها وصفرت أذناها وصغر أنفها وضاق فمها ورفع سنها وصغر نهدها وضاق فرجها، فقال الحجاج: ما تقول في بنت العشرة شيئاُ؟ قال: نزهة للناظرين، قال: فما تقول في بنت العشرين؟ قال: ملاعبة اللاعبين، قال: فما تقول في بنت الثلاثين؟ قال: نزهة للمتقين، قال: فما تقول في بنت الأربعين؟ قال: ذات شحم ولحم ولبن، قال: فما تقول في بنت الخمسين؟ قال: ذات مال وبنين، قال: فما تقول في بنت الستين؟ قال: آية للناظرين، قال: فما تقول في بنت السبعين؟ قال: عجوز في الغابرين، قال: فما تقول في بنت الثمانين؟ قال: ما بقيت تصلح لدنيا ولا دين، قال: فما تقول في بنت التسعين؟ قال:أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال: فما تقول في بنت المائة؟ قال: لا تسأل عن أصحاب الجحيم، قال الحجاج: أحسنت في جواباتك كلها، أخبرني عن أول من نطق بالشعر؟ قال: أبونا آدم، حين قتل قابيلُ هابيلَ بكى آدم بكاءً شديداً وقال:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

قتل قابيلُ هابيلَ أخاه فوا أسفاه على الوجه المليح

تغير كل ذي طعم ولون وفارق حسنه الوجه الصبيح

فأجابه إبليس لعنه الله مكايدة له: كيف رأيت يا آدم مكايدي ومكري وحيلي حتى أخرجتك من الجنة، ثم جعل يقول شعراً:

على البلاد وسكانها تنوح   في الفردوس طاب لكم القبيح

فما رأيت مكايدي ومكري   وفاتك ذا العيش المليح

قال الحجاج: حسبك يا صبي، فلقد عجزتي في بحور علمك، ثم التفت إلى بعض وزرائه وقال: أتني بجارية وألف دينار وفرس وطبق فيه ألف دينار، فغاب ساعة ثم أحضرهم بين يديه، فقال الحجاج: أي منها شئت فخذه، فهل أنا ولد حلال أم ولد زنا؟ قال له: إن كنت ولد حلال فهب لي ما وعدتني، فقال الحجاج: خذ الجميع لا طرح الله لك فيهم بركة، فقال: هاتهم، ولا تقبل ما أديت ولا جمع الله شملي عليك مرةً أخرى، وارتحل عنه.

المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:

هذه المخطوطة مجهولة المؤلف ويمكن اعتبارها من القصص الخيالي الذي يتعرض لمواقف يتمنى الأفراد أنها تحدث عند تحدي طاغية من الطغاة، وهي محاورة بين غلام والحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتهر بطغيانه في الحضارة الإسلامية.

وقد عرضت المخطوطة الحوارات التي دارت بين الحجاج ومحمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب آل بيت النبوة رضي الله عنهم أجمعين، وكان محمد الباقر غلاماً صغيراً، وقد بدأت الحوارات بوصف محمد الباقر ثم قيام الحجاج بسؤاله عن موطنه وقام الحجاج بتوجيه النقد إلى هذه البلدان وتحقير أهلها فبدأ بمصر القاهرة ثم الريف ثم الشام ثم اليمن ثم الموصل ثم الشرق ثم الغرب ثم مكة المشرفة ثم

يثرب، ثم انتسب الغلام إلى بيت النبوة وتفاخر بحسبه ونسبه على الحجاج، ثم سأله عن ما يجب على العبد في اليوم والسنة والعمر وما يقرب العبد إلى الله وعن معرفة الله عز وجل ن وسأله الحجاج عن النجاة من الهلاك وأول ما يجب على العبد وعن نسب الحسن والحسين وعن أي شيء في الإنسان طويل وأي شيء في الإنسان قصير وعن أفضل العرب وأشجع العرب وأبخل وأخبث وأقذر العرب وغيرها من الأسئلة العامة، ثم سأله عن القرآن وحفظه واستحكامه واستظهاره وكيفية قراءته وعن أعظم آية وأقصر آية وأحكم آية وأرجا آية وآية فيها تسع آيات وآية صدقوا فيها اليهود والنصارى وآية كذبوا فيها اليهود والنصارى وآية كذبوا فيها أولاد الأنبياء وآية قالها الله لنفسه وآية فيها قول الملائكة وآية فيها قول الأنبياء وآية فيها قول أهل النار وآية فيها قول أهل الجنة وآية فيها قول إبليس اللعين،ثم سأله الحجاج عن أبعد شيء وعن موضع النظر والسمع والعقل والحشمة والحياء والضعف واللهو والشجاعة، ثم سأله عن كمال الدين والوسيلة إلى الله والرضا وخير الأشياء في الدنيا وخير المال وأفضل العلوم والحلم والمَلاحة وعن الشحيح والجبار وأحسن الملوك، ثم سأله الحجاج عن صفة الإنسان ومنهاجه وعن أحسن النخل والعنب والأرض والمطر، ثم سأله عن أسئلة عامة مثل سؤاله عن اثنين لا ثالث لهما وعن شجرة لها أثنى عشر غصناً، ثم سأله عن تسبيح الطيور والحيوانات، ثم سأله عن أخبث المأكولات وبعض النواحي الطبية وعن مجامعة النساء،وانتهت المخطوطة بتقديم الحجاج هدايا للغلام.

تقدم هذه المخطوطة نموذجاً للصغار يمكن أن يحتذوا به حيث يتمتع هذا الغلام بعدد من الصفات مثل الشجاعة والأدب والقدرة على المحاورة وكذلك يتمتع هذا الغلام بقدر كبير من المعلومات التي تبين إلمامه بعدد كبير من العلوم الإسلامية وأهمها القرآن الكريم، وهذه المخطوطة نموذج لنوع

الثقافة التي كانت سائدة في تلك الفترة والتي هي في جميعها ثقافة إسلامية تتمركز حول القرآن الكريم والسنة المطهرة والمعلومات المتعلقة بالبيئة العربية واللغة العربية وهي بهذا يُعد نموذجاً من النماذج التي ينبغي أن يلم بها الأطفال في تلك الفترة التي كانت فترة مبكرة في تاريخ الأمة الإسلامية.

رابعا: مخطوطة " قصة الجارية"تودد"مع العلماء في حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد":

هذه المخطوطة من المخطوطات التي تجمع تنوع من المعارف التي كانت سائدة في عصر أمير المؤمنين هارون الرشيد، وتبين مدى اهتمام أمير المؤمنين بالمستوى الثقافي للجواري اللائي كان يشتريها، وبالتالي فإن ما عرضته المخطوطة من معارف يبين المستوى الذي كان يطلب من الأطفال الوصول إليه باعتبار هذه الجارية نموذجا لمن هم في عمرها، والمخطوطة لمؤلف يسمى " محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الأندلسي، أبو بكر المتوفى عام ٥٠٧ هـ، أي أنه من علماء القرن الخامس الهجري الذي يمثل قمة الازدهار للحضارة الإسلامية، وسواء أكانت القصة خيالية أم واقعية، فإنها تعكس رغبة مؤلفها في وصول الجواري إلى هذا المستوى الثقافي باعتبار الجارية تودد نموذجا يحتذي به من هم في عمرها.

ملخص مخطوطة " قصة الجارية (تودد) مع العلماء في حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد"

هذه قصة جارية طلبت من مولاها بعد وفاة والده ولم يترك له شيئا سواها أن يبيعها لأمير المؤمنين هارون الرشيد ويطلب منه عشرة آلاف دينار ثمنا لها، فأخذها إلى دار الخلافة وعرضها وطلب هذا الثمن، فقال له الخليفة: يا غلام أنائم أنت أم يقظان، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، جاريتي

أوفر من ذلك وأرفع فاعتبرها واستنطقها تجدها أربح من ذلك والمال دونها، فالتفت الخليفة إليها وقال لها: يا جارية، ما تحسنين من العلــوم؟ قالــت: يــا مولاي، قرأت كتاب الله وتعلمت الفرائض والســنن وتعلمــت علــم النجــوم والأدب ونظرت في علم الرياضة والهندسة والمنطق والبيان وتعلمت كل فن من الفنون، فإن غلبت ورفعت اقتنيت، وإن توانيت وتقطرت هتكت وقتلــت، وطالعت الكتب والأشعار والأدب والبيان، ونطقت بالشعر ونظرت في علوم ما نظرها أحد غيري لا من قبلي ولا من بعدي، فلما سمع الخليفــة كلامهــا على صغر سنها وفطانة لسانها، أرسل الخليفة إلى عــالم علمــاء البصــرة إبراهيم النظام وأرسل إلى دار العلماء وأرباب الأقلام حتى حضروا إلى دار الخليفة، فبدأت بالفقيه الذي اختبرها في أمور دينها ودنياها، فســألها الأســئلة التالية:

سؤال: أنت قرأت كتاب الله؟

الجواب: وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه.

سؤال: أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة وما ربك وما دينك وما نبيك وما طريقك وما منهاجك وما إمامك؟

الجواب: الله ربي ومحمد نبي والقرآن إمامي والكعبة قبلتي والإســلام ديني والخير طريقي والسنة منهاجي.

سؤال: أخبريني بما عرفت الله وعبدتيه؟

الجواب: عرفت ربي بالعقل.

سؤال: وما العقل؟

الجواب: العقل عقلان، عقل موهوب وعقل مكسوب، فالعقل الموهوب هو الذي خلقه الله تعالى، والعقل المكسوب هو الذي يكسبه المرء بتأدبه.

سؤال: أين يكون مستقر العقل؟

الجواب: يقذفه الله تعالى في القلب فيصعده فوق الدماغ حتى يستقر.

سؤال: أخبريني بما عرفت النبي ؟

الجواب: بقراءة كتاب الله عز وجل وقراءة الحكم والآيات والدلالات والبراهين والمعجزات.

سؤال: أخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة؟

الجواب: أما الفرائض الواجبة، بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، أما السنن القائمة فهي الليل والنهار والشمس والقمر وهما يدوران بابن آدم ويقربان الأجل.

سؤال: أخبريني ما شرائع الإيمان؟

الجواب: الصلاة والزكاة والصوم الحج والجهاد واجتناب المعاصي.

سؤال: فبأي نية تقومي إلى الصلاة؟

الجواب:بنية العبادة.

سؤال: كم فرض الله عليك قبل قيامك للصلاة؟

الجواب: النية.

الجواب: مبتدأها الطهارة وتحريمها تكبيرة الإحرام.

سؤال: وما هي النية؟

الجواب: الطهارة وستر العورة واجتناب البقعة النجسة والتوجه إلى القبلة والقيام بالنية وتكبيرة الإحرام.

سؤال: بماذا تخرجي من بيتك إلى الصلاة؟

الجواب: بنية العبادة.

سؤال: وبأي نية تدخلين المسجد؟

الجواب: بنية الخدمة.

سؤال: بماذا تستقبلي القبلة؟

الجواب: بثلاث فرائض وسنة.

سؤال: ما مبتدأ الصلاة وما تحريمها؟

سؤال: فماذا يحكم على من تركها؟

الجواب: روي في الخبر الواضح أنه من ترك الصلاة عامدا متعمدا من غير عذرة لا حظ له في الإسلام.

سؤال: والصلاة ما هي؟

الجواب: الصلاة صلة بين العبد وربه، وفيها عشر خصال: تنور القلب وتنور الوجه وترضي الرحمن وتغضب الشيطان وتكثر الرزق وهي من المفروضات الواجبات المكتوبات وهي عماد الدين.

سؤال: وما مفتاح الصلاة؟

الجواب: مفتاح الصلاة الوضوء.

سؤال: فما مفتاح الوضوء؟

الجواب: التسمية.

سؤال: ما مفتاح التسمية؟

الجواب: اليقين.

سؤال: وما مفتاح اليقين؟

الجواب: الرجاء.

سؤال: فما مفتاح الرجاء؟

الجواب: الاعتراف لله بالوحدانية والإقرار له بالربوبية.

سؤال: أخبريني عن فروض الوضوء؟

الجواب: النية عند غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب، وأعماله عشرة خصال التسمية وغسل الكفين قبل إدخالهما الإناء والمضمضة والاستنشاق واستتباع الرأس بالمسح ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع الرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والغسل ثلاثا ثلاثا، فإذا فرغ الإنسان من الوضوء قال: " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، ثم يدخل الصلاة قبل أن يدخل عنده الشك في الفعل في وضوءه، وقد قال عليه السلام: " من هو على وضوء فإنه يقي بها نفسه "

سؤال: أخبريني إذا استيقظت من نومك فماذا أنت فاعلة؟

الجواب: غسل يدي ثلاثا، فإذا أردت الخروج للخلاء فلا تستقبل الشمس ولا القمر ولا القبلة ولا تستدبرها، ولا يبال في ثقب ولا تحت الأشجار المثمرة ولا في قارعة الطريق ولا في الظل ولا على جانبي النهر ولا في الماء الراكد، وإذا قعد يعتمد على رجله اليسرى وينصب اليمين، ولا يتكلم على البول والغائط فإن ذلك يورث المقت من الله، ولا ينشر ذكره بيمينه ويتنحنح ويستنجي بالماء والحجر.

سؤال:ما مداخل الصلاة؟

الجواب:ستر العورة، واختيار مكان الطاهرة وتكبيرة الإحرام واستقبال القبلة والركوع والطمأنينة والسجود والطمأنينة.

سؤال: أخبريني عن فروض الجمعة؟

الجواب:هي كغيرها من الصلاة، وزيادة مستحبة مثل الغسل والرائحة الطيبة والسواك.

سؤال: أخبريني عن فروض التيمم وسننه؟

الجواب: فروض التيمم عدم الماء ودخول وقت الصلاة فالنية والصعيد الطيب وضربة الوجه وضربة اليدين إلى المرافق، وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى.

سؤال: أخبريني على ماذا تجب الزكاة؟

الجواب: تجب الزكاة على تسعة أصناف؛ الذهب والفضة والبقر والضأن والماعز والحنطة والشعير والحمص والأراك والزبيب والزيتون والتمر، وكذلك زكاة الفطر في الأوقات المعروفة.

سؤال: أخبريني عن ماذا تجب زكاة الذهب؟

الجواب: لا زكاة في ما دون العشرين وما زاد فبحسابه، فإذا بلغت عشرين مثقالا حتى مائة فبحسابه.

سؤال: في كم تجوز الزكاة وتجب؟

الجواب: ليس في ما دون المأتيين زكاة، فإذا بلغت مأتيين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه.

سؤال: في كم تجب الزكاة في الإبل؟

الجواب: في كل خمسة إلى خمسة وعشرين فيها بنت خافق.

سؤال:فأخبريني عن الضأن؟

الجواب: إذا بلغت أربعين تخرج شاه.

سؤال: أخبريني عن فروض الصوم وسننه؟

الجواب: العقل والبلوغ والإسلام ورؤية الهلال والنية والصحة والإقامة لا لمسافر، وأن تكون المرأة طاهرة لا حائض، وأما سننه فهي سرعة الإفطار على تمر أو ماء وترك الملاعنة والسب والشتم وتأخير السحور.

سؤال: فأخبريني عن شيء لا يفسد الصوم؟

الجواب: لا الدهان ولا غبار الطريق ولا ابتلاع الريق ولا نظر الرجل إلى زوجته ولا إلى غيرها ولا خروج المني بالاحتلام ولا الحجامة، وهذا كله لا يفسد الصوم.

سؤال: أخبريني عن صلاة العيدين؟

الجواب: ركعتان وهما سنة بغير آذان ولا إقامة وهما سبع تكبيرات قبل أن يقرأ وفي الثانية خمس تكبيرات ويركع ويسجد ويسلم.

سؤال: أخبريني عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر؟

الجواب: ركعتان بغير آذان ولا إقامة في كل ركعة قيامان وسجودان ويقعد ويتشهد ويسلم.

سؤال: أخبريني عن صلاة الاستسقاء؟

الجواب: ركعتان بغير آذان ولا إقامة ويخطب الإمام ويحول رداءه ويدعو ويتشهد ويسلم.

سؤال: أخبريني عن صلاة الوتر؟

الجواب:أقلها واحدة وأكثرها إحدى عشرة، وأما الضحى فأقله اثنتان وأكثره اثنتا عشرة.

سؤال: أخبريني عن شروط الحج؟

الجواب: البلوغ والعقل والقوة والإسلام والاستطاعة في الحج، والعمرة مرة واحدة قبل الموت.

سؤال: أخبريني عن فروض الحج؟

الجواب: الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي.

سؤال: فما فروض الإحرام؟

الجواب: ترك اللباس واجتناب الطيب وحلق الرأس وتقليم الأظافر وعدم قتل الصيد والامتناع عن الجماع.

سؤال: فما سنن الحج؟

الجواب: التلبية.

سؤال: فما الجهاد وما فروضه؟

الجواب: أما فروضه فخروج الكافرين على المسلمين ووجود الإمـــام والعدد والثبات عند لقاء العدو، وأما سننه فالتحريض على القتـــال لقـــول الله تعالى " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال "

سؤال: أخبريني عن فروض البيع وسننه؟

الجواب: أما فروض البيع فهو التسليم والقبول وأن يكون مملوكا ينتفع به وقادرا على تسليمه وترك الغيل وترك الأيمان الحانث، وأما سننه فالإقالة والخيار قبل التفرقة لقوله، r": البيعان بالخيار ما لم يفترقا "

سؤال: أخبريني عن شيء ينهى بيعه بعضه ببعض؟

الجواب: حفظت ذلك في حديث صحيح عن نافع عن رسول الله r ": انه نهي عن بيع الرطب بالتمر والتين الرطب بالتين اليابس والقديـــد بـــاللحم والزبد بالسمن " وكلها من جنس واحد مأكول رطب ويابس فلا يجوز بيعـــه ببعضه بعض.

قال الفقيه: قولها صحيح وإنها زكيه، فقالوا: سلها في اللغة، فسألها:

سؤال: أخبريني عن الوضوء وتفسيره في اللغة؟

الجواب:الوضوء في اللغة النظافة.

سؤال: فما الصلاة؟

الجواب: الدعاء.

سؤال: فما الصوم؟

الجواب: الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح.

سؤال: فما الزكاة؟

الجواب: الزيادة.

سؤال: فما الحج؟

الجواب: قالت القصد.

سؤال: فما الجهاد؟

الجواب: دفع العدو.

فسكت الفقيه وانقطعت الحجة وقام على قدميه وقال: اشهدوا علـــى أيهـــا الحاضرون أن هذه الجارية أعلم مني بالفقه. فقالت الجارية: أريد أن أســـألك عن شيء أريدك أن تأتيني به سريعا إن كنت عارفا؛ ما سهام الـــدين؟ قـــال: هي عشرة؛ الشهادة وهي الملة والصلاة وهي الفطرة والزكاة وهي الطهـــارة والرابع الصوم والخامس الحج والسادس الجهاد والسابع الأمـــر بـــالمعروف والثامن النهي عن المنكر والتاسع الجماعة والعاشر طلب العلم. قالـــت: فمـــا أركان الإسلام؟ قال: هي أربعة؛ صحة العقل وصدق القصـــد وحفـــظ الجـــد والوفاء بالعهد. قالت: فما فروعها؟ فسكت عن جوابها ولـــم يجـــب بشـــيء، فقالت الجارية: أيها الفقيه، انزع ثيابك وأنا أفسرها لك، فقال الخليفة: يا تودد، فسريها له وأنا أنزع قمائصه من عليه، فقالت: هي اثنا وعشـــرون؛ التمســـك بكتاب الله، والإقتداء برسول الله ، وكف الأذى، وأكل الحـــلال، واجتنـــاب الحرام، ورد المظالم إلى أهلها، والتوبة يتبعها خمسة، حب الجليـــل وإتبـــاع التنزيل وصدقة المسكين والقول السديد والتأهب للرحيل، ويتبعه خمسة فقـــه في الدين وقوة البدن والقصد عن الموكل والقوة عند الضعف والصبر عنـــد

المصيبة، ويتبعها خمسة معرفة الله ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومعرفة اللعين إبليس وإخلاص لله تعالى، فلما سمع الخليفة جوابها أمر الفقيه بخلع ثيابه والانصراف.

ثم قام إليها رجل آخر فسألها الأسئلة التالية:

سؤال: ما صحة التسليم؟

الجواب: الثمن المعلوم والكيل المعلوم والجنس المعلوم والأجل المعلوم.

سؤال: فما فروض الشفعة؟

الجواب: الشراكة والانتفاع والمطالبة.

سؤال: فما فروض النكاح وسننه؟

الجواب: الولي والشاهدان والمهر وقول الولي"زوجتك فلانة " وقول الزوج " قبلت النكاح ".

سؤال: فما فروض العدة والطلاق؟

الجواب: الطلاق وانقضاء أيام العدة.

سؤال: فما فروض الأكل وسننه؟

الجواب:فروض الأكل التسمية ومعرفة أن الله تعالى رازقه وطاعمه والشكر لله على ذلك، أما سننه فغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بثلاث أصابع مما يليك، وتصغير اللقمة وتقل النظر إلى جليسك.

سؤال: وما فرائض القلب؟

الجواب: ثلاثة وأضداده ثلاثة؛ أولها اعتقاد الإيمان ومجانبة الكفر، اعتقاد الإيمان والسنة ومجانبة البدعة والثالث اعتقاد الطاعة ومجانبة المعصية، وينقسم الإيمان على أربعة أقسام القلب والعقل واللسان والجوارح، ففرحة القلب النعيم وفرحة العقل اليقين وفرحة اللسان بكثرة الرجاء وفرحة الجوارح العمل بالطاعة.

سؤال: أخبريني عن الإيمان؟

الجواب: يعتبر على تسعة أقسام؛ إيمان بالله وإيمان لله وإيمان بالعبودية وإيمان بالخصوصية وإيمان بالقضاء وإيمان بالقدر وإيمان بالناسخ وإيمان بالمنسوخ وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره على حلوه ومره من الله سبحانه وتعالى.

سؤال: أخبريني عن ثلاثة مع ثلاثة؟

الجواب: نعم، ثلاثة تذهب ثلاثة؛ الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة، والاستخفاف بالملوك يذهب الدنيا، والاستخفاف بحوائج الناس يذهب المروءة.

سؤال: يا جارية، ما أولك؟

الجواب: أولي نطفة وأخري جيفة.

سؤال: أخبريني عن مفاتيح السماوات وكم لها باب؟

الجواب: قال الله تبارك وتعالى " وفتحت السماء فكانت أبوابا " والسماء لا يعلمها إلا الذي خلقها، وما من أحد من ولد آدم إلا وله بابان في السماء؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه حتى تصعد روحه.

سؤال: أخبريني عن شيء وعن نصف شيء وعن لا شيء؟

الجواب: الشيء هو المؤمن، والنصف شيء هو المنافق، ولا شيء هو الكافر.

سؤال: أخبريني عن القلوب؟

الجواب: قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير؛ فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب التائب الخائف والقلب النذير هو قلب محمد r والقلب المنير هو قلب من تبعه، وقد قال العلماء " القلوب ثلاثة؛ قلب معلق بالدنيا وقلب معلق بالآخرة وقلب معلق بالمولى عز وجل " وقيل القلوب ثلاثة؛ قلب متقلب وهو الكافر وقلب جدول وهو المنافق وقلب تائب وهو المؤمن، وقيل القلوب ثلاثة؛ قلب مسروج بالنور وقلب مجروح من خرق الهجران وقلب خائف من الخذلان، ثم قالت: يا أمير المؤمنين، مرادي أسأله مسألتين، فإن لم يأت بهما وإلا أخذت ثيابه وينصرف بسلام، قال: اسألي عما شئت؟ قالت: ما تقول في الإيمان؟ قال: الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح، قال عليه السلام: " لا يكمل إسلام المرء حتى يكمل خمس خصال؛ التوكل على الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والصبر على بلاء الله، ثم قالت: أخبرني عن فرض الفرض، وعن فرض في ابتداء كل فرض، وعن فرض يحتاج إليه كل فرض؟ فسكت ولم يبد كلام، فأمرها الخليفة أن تفسر له ذلك وأن ينزع قماشه ويعطيها إياه، ففعل ذلك، فقالت: يا فقيه، إن معرفة فرض الفرض فهو معرفة الله تعالى، وأما فرض في ابتداء كل فرض فهو شهادة أن لا إله إلا اله وأن محمدا رسول الله، وأما الفرض الذي يحتاج إليه كل فرض فهو القضاء، وأما الفرض الذي هو مستقر كل فرض فهو غسل الجنابة، وأما السنة التي هي داخلة في الفرض فهو تخليل

الأصابع وأما السنة التي يتم بها الفرض فهو الإختتان، فعند ذلك قام الفقيه على قدميه وقال: أشهدكم أيها الحاضرون أن هذه الجارية أعلم مني بالفقه وغيره، ثم إنه نزع ما عليه من الثياب وانصرف مقهورا، ثم إن الجارية تودد التفت للحاضرين وقالت: أيكم الفقيه المقرئ العالم بالقراءة والنحو واللغة؟ فقام إليها المقرئ وجلس بين يديها، وسألها الأسئلة التالية:

سؤال: هل قرأتي كتاب الله وأحكمتي ما فيه ناسخه منسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكية ومدنيه وتفسيره ومعرفته على الروايات والأصول في القرآن؟

الجواب: نعم.

سؤال: أخبريني عن سور القرآن وكم أعشاره وكم آياته وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه نبي مذكور وكم فيه سورة مكية وكم فيه سورة مدنية؟

الجواب:أما سور القرآن مائة سورة وأربع عشرة سورة فالمكي منها تسعون سورة والمدني منها أربع وعشرون سورة، وأعشاره ستمائة عشرة وإحدى عشرون عشرة، وأما آياته فست آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، وأما كلماته فتسعمائة وتسعة ألف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة، وأما حروفه فثلاث مائة ألف حرف وثلاثة آلاف حرف وستمائة وسبعون حرف، وللقارئ بكل حرف عشر حسنات، وأما السجدات فأربع عشرة سجدة، وأما الأنبياء فثلاثة وثلاثون نبيا، قال: ما أسماؤهم؟ قالت: آدم وشيس وإدريس ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط أحد عشر وهم أخو يوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان وذا الكفل وذا النون وإلياس ولقمان والعزير وطالوت ويحيى وزكريا وأيوب

وموسى وهارون ويوشع وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، وأما الأطيـــار فهم تسعة، قال: ما أسماؤهم؟ قالت: البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد وطير أبابيل وطير عيسى عليه السلام.

سؤال: أي سورة في القرآن أعظم؟

الجواب: سورة البقرة.

سؤال: وأي آية أعظم؟

الجواب: آية الكرسي وهي خمسون كلمة مع كل كلمة بركة.

سؤال: فأي آية تسع آيات؟

الجواب: قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَـــاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤).

سؤال: أي قراءة تقرئين؟

الجواب: على قراءة أهل الحق وهي قراءة أهل الجنة.

سؤال: فأي آية كذبوا فيها الأنبياء؟سؤال: فأي آية صدقوا فيها اليهود؟

الجواب: قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَـــتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) (البقرة:١١٣).

سؤال: فأي آية قال الله لنفسه خاصة؟

الجواب: قول الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِـــنَّ وَالْـــإِنسَ إِلَّـــا لِيَعْبُـــدُونِ) (الذاريات:٥٦).

سؤال: فبأي آية قال فيها للأنبياء؟

الجواب: قوله تعالى (وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (إبراهيم:١١).

سؤال: فما تقولين في (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ؟

الجواب: قال رب العزة بعزته أن من تغذى عليها دخل في إذن الله من مرضه، وقل لما خلق الله العرش فنظر إليه وكتب عليه (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، وقيل بسم الله كثير بركتها يطول شرحها، وروي عن رسول الله r أنه قال: " يؤتى برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يوجد له حسنة، فيؤمر به إلى النار، فيقول: إلهي، ما أنصفتني ! فيقول الله عز وجل: فلما ذلك؟ فيقول: إنك سميت نفسك الرحمن الرحيم، وتريد تؤذيني بالنار، فيقول الله جل جلاله: يا عبدي أنا كما قلت الرحمن الرحيم، امضوا بعبدي إلى الجنة وأنا الرحمن الرحيم " فلما سمع المقرئ كلام تودد في (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قعد إلى الأرض وقال في نفسه إن هذا لعجب عجيب، ثم قال أتحيل عليها بالقرآن لأغلبها فسألها:

سؤال: القرآن نزل جملة واحدة، أم متفرقة آياته؟

الجواب: أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه بالنهي والوعد والوعيد والأخبار والأمثلة عشرين سنة متفرقات على حسب الوقائع.

سؤال: أخبريني عن أول سورة نزلت على محمد r؟

الجواب: في قول ابن عباس " سورة الفلق " وفي قول جابر " سورة المدثر " وقيل سورة العلق، ثم أنزلت السور والآيات بعد ذلك، وآخر آية نزلت عليه آية الربا، وقيل (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (النصر:١).

سؤال: أخبريني عن الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ؟r؟

الجواب: هم أربعة؛ أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان.

فلما رآها تجري فيه وتمر مر السحاب ولم تتوقف وتحسب حساب، فقام قائما على قدميه وقال: أشهدكم أيها الحاضرون أن هذه الجارية أعرف مني بالقراءة وغيرها، فقالت الجارية: أسألك مسألة واحدة فإن أتيت بجوابها فلا تنزع قميصك، فقال لها: سالي عما بدا لكي، قالت: ما تقول في آية فيها ست عشرة ميما وآية فيها مائة وأربعون عينا وحزب ليس فيه جلالة؟ فجعل المقرئ يخلع ثيابه ثمنا لها، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن الآية التي فيها ست عشرة ميما في سورة هود قوله تعالى (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (هود:٤٨) والآية التي فيها مائة وأربعون عينا في سورة الأعراف قوله تعالى (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا) (الأعراف: ١٥٥) وأما الحزب الذي ليس فيه جلالة ففي سورة القمر والرحمن والواقعة، فانصرف المقرئ خجلا.

أما حكايتها مع الطبيب فتقدم إليها وسألها الأسئلة التالية:

سؤال: يا جارية، كم تنقسم الطبيعة على أقسام؟

الجواب: على قسمين؛ طبيعة العقل وطبيعة اليابسة، وذلك العلم علمان؛ علم الأديان وعلم الأبدان؛ فعلم الأديان حلال وعلم الأبدان حلال وحرام وضلال وصلاح وطلاق ونكاح فذلك العلم النافع.

سؤال: أخبرني عن الإنسان؛ كم في جسمه عروق وكم عظمه؟

الجواب: إن أول خلق فهو آدم، فقال لها: لما سمي آدم؟ قالت: لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل من سبعة أقاليم الأرض؛ فرأسه من تربة الكعبة وصدره من تربة المدينة وبطنه من تربة نجد ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب، وخلق فيه سبعة أبواب عيناه وأذناه ومنخراه وفمه وقبله ودبره؛ فالعين حاسة النظر والأذن حاسة السمع والمنخر حاسة الشم والفم حاسة الأكل والدبر حاسة الراحة والدبر حاسة التبرز، وخلق الله اللسان ينطق بضمير الإنسان، وخلق الله آدم مركب من أربعة عناصر؛ ماء وهواء ونار وتراب، فجعل الصفر طبع النار وهي حارة يابسة والسود طبع التراب وهي باردة يابسة والبلغم طبع الماء وهو مائي رطب والدم طبع الهوى وهو حار رطب، وخلق الله في الإنسان ثلاثة مائة وسبعين عرقا وسبع مائة وتسع وتسعين عظمة وثلاثة أرواح؛ حيوانية ونفسانية وطبيعية، وهي تعكس اليقين والفطنة والعفاف، وبها أخلاط رقيقة وغليظة، وكل هذا يدور حول مخ وعظم، والمخ يمد العظم والعظم يمسك اللحم واللحم يمسك الجلد والجلد يمسك الشعر، وفي الجلد سبع رياح سامعة وباهجة ورافعة ونافقة وماضية وعاقلة، وفي بني آدم سبعة رءوس؛ رأسه ورأس أنفه ورأس حنكه ورأس كتفه ورأس أحليله ورأس إصبعه ورأس مرفقه، وفي رأسه أربع مياه؛ مالح وعذب ومر ومنتن، فالمالح في العينين والعذب في الفم والمر في الأذن والمنتن في منخره، وخلق الله القلب في الجانب الأيمن من الصدر وخلق المعدة أمام القلب، وجعل له كليتين إحداهما فوق الطحال والأخرى تحت الطحال، وفي ابن آدم ثلاثة عروق، واحد مقدم الرأس وهو للتخيل، وواحد في وسط الرأس وهو للتذكر، وواحد في مؤخر الرأس وهو للتفكير، ويوجد سبع عظام للوجنات، وفي الأنف عظمتان، واليدين مركبة من ثماني وخمسين

عظمة، وفي كل يد تسع وعشرون عظمة، وفي كل يد خمسة أصابع وفي كل إصبع ثلاث عظام، والكف عشر عظام، واثنان في الزند، والإبهام عظمتـــان في اليد كالقفل على الدكان، أما الأسنان فهي اثنان وثلاثون سنه؛ عشر فـــوق ومثله أسفل وأربع أنياب وأربع زوائد وأربع قوافل، وخلق الله أضلاع الرجل أربعة وعشرين ضلعا؛ اثنا عشر في الجانب الأيمن واثنا عشر في الجانـــب الأيسر، وخلق الله في الفخذين عظمتين وفي الركبة عظمـــة واحـــدة وفـــي الوركين عظمتين ثم سكب فيها العروق، وجعل أصل العروق الوريـــد وهـــو بيت الدم الذي يتفجر منه الدم إلى الجسد وهي عروق متفرقة لا يعلم عـــددها إلا الذي خلقها.

سؤال: أخبريني عن الدلالات التي تستدل بها على الأمراض الظـــاهرة والباطنة؟

الجواب: إذا كان الطبيب فاهم، ينظر في أحوال البـــدن ويمـــر علـــى اليدين، وينتقل إلى العذوبة والحرارة واليبوسة والبرودة، فقد يوجد في الجسد ميل زائد يستدل به على أمراض باطنة، وينظر في العينـــين وينظـــر إلـــى الظهر.

سؤال: أخبريني عن استدلال الوجع؟

الجواب: يتقصى إذا كان في الجانب الأيمن فيدل أنه فـــي الكبـــد، وإذا كان في الجانب الأيسر فيدل على أنه في الطحال، وإذا كان في البطن يـــدل على أنه في الكليتين.

سؤال: فبما يصل الأذى إلى الرأس؟

الجواب: إدخال الطعام على الطعام، وهذا الذي أفنى الأمم، فمن أراد البقاء ولا بقاء فليبكر بالغداء ولا يتمسى بالعشاء ويقل من مجامعة النساء ويجعل الإنسان بطنه ثلاثا؛ ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للتنفس.

سؤال: أخبريني عن شرب الدواء؟

الجواب: إذا كان البدن معافى، فليس له حاجة للدواء، وإذا كان البدن متعبا، فينبغي أن يشرب الدواء في أوانه.

سؤال: أخبريني عن شراب إذا شربه الإنسان جد به؟

الجواب: يكون أهنأ وامرأ ويكون له رائحة طيبة زكيه ويكون أنفعه بعد أكل الطعام بساعة.

سؤال: فما تقولين في الحمام؟

الجواب: لا يدخله شبعان ولا سكران ولا قائم بالليل وأنت عريان ولا تدخل الحمام حتى ينهضم الطعام.

سؤال: ومتى يكون دخوله؟

الجواب: إذا ارتفع النهار وتهدت نيرانه وسكن دخانه، قال النبي r: " نعم البيت الحمام، ينظف البدن ويسكن النار ".

سؤال: فأي الطعام أفضل؟

الجواب: ما صنعته النساء وقل فيه العناء وأكل بالهناء وأفضل الطعام الثريد.

سؤال: فأي النوع أفضل؟

الجواب: اللحم، لقوله عليه الصلاة والسلام: " أفضل الأدم اللحم " والكاتب يقول " لذة الدنيا ثلاث؛ أكل اللحم ونوم اللحم على اللحم وإدخال اللحم في اللحم يصير الرجل عظيم والمرأة صبية " ويتجنب الإنسان أكل لحم البقر لأنه أذى لا فائدة فيه.

سؤال: أخبريني عن الفاكهة؟

الجواب: كلها في أوانها واتركها في غير أوانها.

سؤال: فما تقولين في شرب الماء؟

الجواب:لا تشربه غبا واشربه مزا ولا تشربه بعد خروجك من الحمام ولا بعد الجماع ولا بعد الطعام ولا بعد استيقاظك من النوم.

سؤال: فما تقولين في الحجامة؟

الجواب: ذلك لمن كان متعبا من الدم ليس به نفضات، فمن أراد الحجامة فليحتجم في نقصان الشهر في يوم صحي لا غيم فيه ولا أمطار، ولا شيء أنفع من حجامة الرأس إلى العينين لتصفية الذهن، وتكون على الريق فإنها تزيد في العقل والحفظ، وإذا احتجم فلا يأكل على أثره مالح فإنه يورث الجرب وتكره الحجامة يوم السبت والأربعاء.

سؤال: فاخبريني عن المجامعة؟ فلما سمعت بذلك أطرقت إلى الأرض وسكتت إجلالا لأمير المؤمنين، فلما رآها الخليفة قال لها: عجزتي أم خجلتي؟ قالت: يا أمير المؤمنين، جوابي على طرف لساني، فقال لها: جاوبيه.

الجواب: النكاح فيه فضائل كثيرة وأمور عديدة؛ يخفق البدن الممطى بالشجون ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة وينشط القلب ويقطع الوحشة،

والإكثار في النكاح أيام الصيف أكثر ضررا وفي أيام الشتاء والربيع أقل ضررا، وأحسن المجامعة إذا كان الخوف حنيا والرحم دفيا فإنها أقل ضررا، ومنافع الجماع يزيل الهم ويزيل العشق ويزيل الوسواس ويسكن الغضب وينبع من التزوج، هذا إذا كان طبعه الحرارة، أما إذا كان طبعه البرودة واليبوسة، فالإكثار منه يضعف البدن ويضعف البصر ويتولد منه وجع الساقين والرأس والظهر، وإياكم ثم إياكم ومجامعة العجوز؛ قال الإمام علي:" أربعة تضعفن البدن؛ دخول الحمام مع الشبع، وأكل المالح، والمجامعة على الشبع، ومجامعة العجوز فإنها تأخذ منك قوتك وتسقم بدنك فالعجوز سم قاتل نفسها موت عاجل " قال عظيم: " إياك ثم إياك تتزوج عجوز ولو كان معها كنز من مال " وأطيب الجماع إذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة البدن بارزة النهد حسنة الوجه كريمة الجد فهذه تزيدك قوة، ووقت الجماع بعد الغذاء وإذا كان في الليل يكون بعد هضم الطعام.

سؤال: أخبريني عن أفضل الفواكه؟

الجواب: الرمان والأترج والبقول الهندية.

سؤال: فما أفضل الرياحين؟

الجواب: الورد والبنفسج.

سؤال: أخبريني عن قرار مني الرجل؟

الجواب: يخرج من عرق يقال له الأحليل يختلف عن سائر العروق ويجمع من ثلاثة وستين عرقا حتى يدخل البيضة اليسرى دما عتيقا أحمرا فينطبخ فيخرج ماء غليظ أبيض رائحته مثل رائحة الطلع.

سؤال: أخبريني عن طير يمني ويحيض؟

الجواب: الوطواط.

سؤال: أخبريني عن شيء إذا غرق عاش وإذا شم الهواء مات؟

الجواب: هو السمك.

سؤال: فأخبريني عن أسد يبيض؟

الجواب: الثعبان.

سؤال:أخبريني عن ولد هو أشد من أبيه؟

الجواب: الحديد.

فعجز الطبيب من كثرة سؤاله، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنه سأل مسائل كثيرة وأنا أسأله مسألة واحدة، قال: اسألي ما بدا لك، قالت: ما تقول في شيء مشيه في الأرض استدارة قليل القيمة والقدر ضيق الصدر واغر غير آنف ولوف غير مفارق يجامع بلا ذكر يفارق زوجته ليلا ويجامعها نهارا؟ فسكت الطبيب، فقالت له: تكلم وإلا انزع ثيابك، فقال: أشهدوا على أيها الحاضرون أن هذه الجارية أعلم مني في الطب ولا طاقة لي عليها، ثم إنه نزع ثيابه وخرج هاربا خجلان منكس الرأس عادم الحواس، فقال لها الخليفة: فسريها لنا يا تودد، قالت: هي الذر والعروة.

أما حكايتها مع المنجم، فقالت: أيكم المنجم؟ فقام رجل وجلس بين يديها، فلما رأته ضحكت، فسألها الأسئلة الآتية:

سؤال: أخبريني عن الشمس طلوعها وغروبها؟

الجواب: إن الشمس تطلع من عيون وتغرب في عيون، فعيون المشارق مائة وثمانون وعيون المغارب مائة وثمانون.

سؤال: فإذا جاء النهار، أين يكون الليل، وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟

الجواب: لا يعلم ذلك إلا هو، قال تعالى (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) (الحج: ٦١).

سؤال: يا جارية، هل ينزل في بواطن النهر مطر؟ فأطرقت برأسها إلى الأرض ثم تفكرت طويلا حتى ظن الخليفة أنها عجزت عن رد الجواب، فقال لها المنجم: ولم لا تتكلمي؟ فقالت: لا أتكلم إلا أن أعانني أمير المؤمنين عليك؟ فقال لها الخليفة: وكيف ذلك يا تودد؟ قالت تعطيني شيئا أضرب به عنقه لأنه زنديق، فضحك الخليفة ومن كان بالمجلس، ثم قالت: يا منجم خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ثم قرأت (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:٣٤) فقال لها: أحسنتي، والله ما قصدت إلا استمحانك، فقالت له: اعلم أن الله العلي القدير جعل الأمطار علامات ودلالات وإلى الناس فيها تجارب، ولكن أريد أن أسألك: النجم، كم هو جزء؟ فسكت، قالت: انزع ثيابك، فنزع عمامته، فقالت: هم ثلاثة أجزاء؛ جزء منهم معلق بأركان العرش ضوءه إلى السماء السابعة، وجزء معلق بالسماء الدنيا مثل القناديل ضوءه لسكان الأرض فيرمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع، قال تعالى (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) (الملك:٥) والجزء الثالث معلق في الهواء ضوءه في البحار وما فيها والأرض وما فيها، فعندها قام المنجم وقال: أشهدكم أيها الحاضرون أنها أعلم مني، وانصرف عنها في الحال.

أما الفيلسوف فقد سألها الأسئلة التالية:

سؤال: أخبريني عن الدهر وحده وأيامه وآجاله؟

الجواب: إن الزمان هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار وإنما في مقادير تجري فيها ساعات الشمس والقمر في الأفلاك كما أخبر الله سبحانه وتعالى حيث قال (وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس: ٣٧ - ٣٨).

سؤال: أخبريني عن ابن آدم كيف يصل إليه الكفر؟

الجواب: إن الكفر يجري في ابن آدم كما يجري الدم في العروق يحيك يسب الدهر ويسب الدنيا، وقال النبي r ": لا تسبوا الدهر لأن الله هو الدهر " ولا يسب أحدكم الأرض لأنها أمكم، قال تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " ولا يسب أحدكم الدنيا لأنه لا يعان من سبها، ولا يسب أحدكم الساعة لأنها آية لا ريب فيها.

سؤال: أخبريني عن خمسة أشياء أكلوا وشربوا ولم يخرجوا من ظهر ولا بطن؟

الجواب: هم آدم وشمعون وناقة صالح وكبش إسماعيل والطائر الذي رآه أبو بكر في الغار.

سؤال: فأخبريني عن خمسة في الجنة لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة؟

الجواب: ذئب يعقوب وكلب أصحاب الكهف وحمار العزير وناقة صالح ودلدل النبي r.

سؤال:أخبريني عن رجل صلى صلاة لا في الأرض ولا في السماء؟

الجواب: هو سليمان بن داود على بساطه وهو على الريح.

سؤال: أخبريني عن رجل صلى صلاة الصبح فنظر إلى أمته فحرمت عليه فلما صلى الظهر حلت له فلما كان العصر حرمت عليه فلما كان المغرب حلت له فلما كان العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له؟

الجواب: ذلك رجل كان عند الصبح نظر إلى أمته حرمت عليه فلما كان الظهر اشتراها حلت له فلما كان العصر اعتقها حرمت عليه فلما كان المغرب تزوجها حلت له فلما كان العشاء طلقها حرمت عليه فلما كان الصبح راجعها حلت له.

سؤال: أخبريني عن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها مرة أخرى إلى يوم القيامة؟

الجواب: البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق له فغرق فيه فرعون.

سؤال: أخبريني عن أول ذيل سحب على وجه الأرض؟

الجواب: ذيل هاجر لما سحبته حياء من سارة فصارت سنه في العرب.

سؤال: أخبريني عن شيء يتنفس بلا رئة؟

الجواب: قوله تعالى (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير:١٨).

فتجرد الفيلسوف من ثيابه وخرج هاربا مقهورا مغلوبا مضحوكا عليه.

وأما حكايتها مع إبراهيم النظام، فإنها التفتت إليهم، وقالت: أيكم المتكلم في كل فن وخبر؟ فقال لها إبراهيم: أنا، فقالت له: أنت ابن النظام؟ فقال لها: لا تحسبيني مثل غيري، وسألها الأسئلة التالية:

سؤال: أخبريني عن خمسة أشياء خلقهم الله قبل الخلق؟

الجواب: الماء والتراب والنور والنار والظلمة.

سؤال: أخبريني عن شيء خلقه الله بيد قدرته؟

الجواب: والعرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن قد خلقهم الله بيد قدرته، وسائر المخلوقات قال لهم كونوا فكانوا.

سؤال: أخبريني عن أبيك في الإسلام؟

الجواب: محمد r.

سؤال: فمن أبو محمد؟

الجواب: إبراهيم خليل الله.

سؤال: فما دليلك في الإسلام؟

الجواب: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

سؤال: فما أولك وما أخرك؟

الجواب: أولي نطفة وأخري جيفة، أولي من تراب وأخري من تراب.

سؤال: أخبريني عن شيء أوله عود وأخره روح؟

الجواب: هي عصا موسى حين ألقاها في الوادي فإذا هي حية تسعى.

سؤال: فاخبريني عن أنثى من ذكر وذكر من أنثى؟

الجواب: حوى من آدم وعيسى من مريم.

سؤال:فاخبريني عن المفتوح والمغلوق؟

الجواب: المفتوح هو السُنة والمغلوق هو الفرض.

سؤال:أخبريني عن آدم وأول خلقه؟

الجواب:خلق آدم من طين والطين من زبد البحر والزبد مـــن البحـــر والبحر من الظلمة والظلمة من النور والنور من الحوت والحوت من الآيـــة والآية من السورة والسورة من ياقوتة والياقوتة من الماء والماء مـــن قدرتـــه والقدرة من قوله له كن فيكون.

سؤال:أخبريني عن أبواب جهنم؟

الجواب: سبعة وهي في بيت شعر "

جهنم ولظى والحطمة كغيرها بئر السعير.·. وكل هول في سقر وبعد ذلك جحيم وهاوية

سؤال: أخبريني عن الصراط، ما هو وما طوله وما عرضه؟

الجواب: طوله ثلاثة آلاف عام؛ ألف هبوطـــه وألـــف ســـوره وألـــف استواءه، وهو أحد من السيف وأدق من الشعرة.

سؤال: كم لنبينا محمد r من شفاعة؟

الجواب: ثلاث شفاعات.

سؤال: ما أحلا من العسل وما أحد من السيف وما أسرع مـــن الســـهم وما لذة ساعة وما سرور ثلاثة أيام وما طيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الذي يكره وما سجن القلب وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحيـــاة وما الداء الذي لا يداوى وما العار الذي لا ينجلي وما الدابة التـــي لا تـــأوي العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وفيها من خلق سبعة جبابرة؟

الجواب:أم الذي هو أحلى من العسل فحب الأولاد البارين بآبائهم، وأما الذي أحد من السيف فهو اللسان، وأما الذي هو أسـرع مـن السـهم فعـين الحاسد، وأما لذة ساعة فالجماع، وأما لذة ثلاثة أيام فهو النظر إلـى النسـاء، وأما الريح الطيبة فهو ريح البحارة، وأما فرحة جمعة فهو التـرويح، وأمـا الحق الذي يكره فهو الموت، وأما سجن القلب فهو الولد السوء، وأما فرحـة القلب فهو المرأة المطيعة لزوجها وقيل اللحم لما ينزل على القلب فإنه يقـوي البدن، وأما كيد النفس فهو العبد العاصي، وأما موت الحياة فهو الفقر، وأمـا الداء الذي لا يداوى فهو سوء الخلق، وأما العار الذي لا ينجلي فهـو البنـت السوء، وأما الدابة التي لا تأوي العمران وتسكن الخراب وفيها خلـق سـبعة جبابرة فهي الجراد رأسها كرأس الفرس وعنقها كعنق ثور وجناحها كجنـاح نسر ورجلها كرجل حمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقرب وفرقها فـرق غزلان.

فتعجب أمير المؤمنين من حدتها وفهمها ثم إنه قـال لابـن النظـام: "انزع ثيابك "، ثم قال الخليفة لوزيره: أعط مولاهـا عشـرين ألـف دينـار وحلتين.

وهذه قصتها بالتمام والكمال.

<u>المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:</u>

هذه قصة دارت بين جارية وعدد من العلماء واحتـوت علـى قـدر عظيم من المعارف التي تبين حاجة الأطفال في تلك الفتـرة إليهـا؛ سـواء الذكور أو الإناث، وذلك من خلال امتلاك هذه الجارية لهذه المعارف، فقد تم اختبار هذه الجارية بواسطة فقهيين ومقرئ وطبيب وفيلسوف ومنجم وعـالم ملم وهو إبراهيم النظام.

ولقد سألها الفقيه الأول عن كتاب الله ناسخه ومنسوخه وعن الفرائض الواجبة والسنن والقائمة وعن ربها ودينها ونبيها وطريقها ومنهاجها وإمامها، وعن الطريقة التي عرفت بها الله سبحانه وتعالى، وعن العقل ومستقره، وعن الطريقة التي عرفت بها النبي ، وعن شرائع الإيمان وعن نية الصلاة والطهارة واستقبال القبلة ومبتدأ الصلاة وتحريمها والحكم على من ترك الصلاة وخصال الصلاة ومفتاح الصلاة ومفتاح الوضوء وفروض الوضوء، وعن ما تفعله عند الاستيقاظ من النوم والدخول إلى الخلاء، وعن مداخل الصلاة وفروض الجمعة وفروض التيمم وسننه، وعن على ماذا تجب الزكاة وزكاة الذهب وزكاة الإبل والضأن، وعن فروض الصوم وسننه وعن ما يفسد الصوم، وعن صلاة العيدين وصلاة كسوف الشمس وخسوف القمر وصلاة الاستسقاء وصلاة الوتر، وعن شروط الحج وفروضه وسننه، وعن الجهاد وفروضه، وعن فروض البيع وسننه وعن بيع ينهى بيع بعضه ببعض، ولقد أجابت عن كل ذلك بلا تردد مما يدل على تمكنها من هذه الأمور الفقهية وقد أقر لها الفقيه بذلك.

ثم بعد ذلك سألها في الجوانب اللغوية، فسألها عن التفسير اللغوي لكلمة الوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد.

ثم سألت الفقيه بعد ذلك عن سهام الدين وأركان الإسلام وفروع هذه الأركان، فأجاب عن سهام الدين وأركان الإسلام ولم يجب عن فروع الأركان وأجابت هي، فنزع ثيابه وترك المجلس.

ثم قام إليها الفقيه الآخر وسألها عن صحة التسليم وفروض الشفعة وفروض النكاح وسننه وفروض العدة والطلاق وفروض الأكل وسننه، وعن فرائض القلب وعن الإيمان، وعن ثلاثة تذهب ثلاثة، وعن أولها، وعن

مفاتيح السماوات وأبوابها، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء، وعن القلوب، فأجابت ذلك كله وشهد لها الفقيه بحجتها.

ثم إنها سألت هذا الفقيه عن الإيمان وعن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج إليه كل فرض، فأجاب عن الإيمـــان ولم يجب عن الباقي فخلع ملابسه وأنصرف، ثم أجابت عن ما لم يجب عنه.

أما المقرئ فقد سألها عن سور القرآن وأعشاره وعدد آياته وحروفه وعدد سجداته وعدد الأنبياء المذكورين فيه وعدد السور المكية وعدد الســـور المدنية، وعن أعظم سورة في القرآن وأعظم آية والآية التي فيها تسع آيـــات وعن القراءة التي تقرأ بها، وعن الآية التي كذب فيها الأنبياء والآيـــة التـــي صدق فيها اليهود والآية التي قال الله فيها لنفسه خاصة والآية التي قال فيهـــا للأنبياء وتفسيرها لبسم الله الرحمن الرحيم، وعن نزول القرآن جملة أم مفرقا وعن أول سورة نزلت وعن الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد رســـول الله ﷺ، فأجابت عن ذلك كله وشهد المقرئ بحجتها.

ثم إنها سألت المقرئ عن آية فيها ست عشرة ميما وآية فيها مائـــة وأربعون عينا وحزب ليس فيه جلالة، فلم يجب المقرئ، فنزع ثيابه وتـــرك المجلس وأجابت هي عن ما سألته.

أما الطبيب فقد سألها عن أقسام الطبيعة وعن الإنسان وعدد عروقـــه وعدد عظامه، وعن الدلالات التي يستدل بهـــا علـــى الأمـــراض الظـــاهرة والباطنة، وعن استدلال الوجع، وعن سبب وصول الأذى إلى الرأس، وعـــن شرب الدواء وعن شراب خير للإنسان، وعن الحمام ومتـــى دخولـــه، وأي الطعام أفضل وأي نوع أفضل وعن الفاكهة وعـــن شـــرب المـــاء، وعـــن الحجامة، وعن المجامعة، وعن أفضل الفواكه وأفضل الرياحين، وعن قرار

مني الرجل، وعن طير يمني ويحيض، وعن شيء إذا غرق عاش وإذا شم الهواء مات، وعن أسد يبيض، وعن ولد هو أشد من أبيه، فأجابت في كل ذلك وشهد لها الطبيب بالحجة، وسألته عن شيء يجامع بدون ذكر ويجامع نهارا ويفارق ليلا وهو ضئيل القيمة، فلم يستطع أن يجيب فنزع ثيابه وترك المجلس وأجابت هي.

أما المنجم فقد سألها عن طلوع وغروب الشمس وعن الليل والنهار وعن مصدر المطر، فأجابت كل ذلك وأقر لها بالحجة، فسألته عن أجزاء النجم، فلم يجب فنزع ثيابه وترك المجلس وأجابت هي.

أما الفيلسوف فقد سألها عن الدهر وأيامه وآجاله، وعن ابن آدم كيف يصل إليه الكفر، وعن خمسة أشياء أكلوا وشربوا ولم يخرجوا من بطن ولا من ظهر، وعن خمسة أشياء في الجنة لا من الجن ولا من الإنس، وعن رجل صلى صلاة لا في الأرض ولا في السماء، وعن رجل حرمت أمت الصبح وأحلت له الظهر وحرمت العصر وحلت المغرب وحرمت العشاء وحلت الصبح، وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولن تطلع عليها إلى يوم القيامة، وعن أول ذيل سحب على وجه الأرض، وعن شيء يتنفس بلا رئة، فأجابت عن ذلك كله فتجرد الفيلسوف من ثيابه وترك المجلس.

أما إبراهيم النظام فقد سألها عن خمسة أشياء خلقها الله قبل أن يخلق الخلق،وعن شيء خلقه الله بيد قدرته، وعن أبيها في الإسلام، وعن أبي النبي r، وعن دليلها في الإسلام، وعن أولها وآخرها، وعن شيء أوله عود وآخره روح، وعن أنثى من ذكر وذكر من أنثى، وعن المفتوح والمغلوق، وعن آدم وأول خلقه، وعن أبواب جهنم، وعن الصراط وعن شفاعة النبي r وعن ما أحلا من العسل وما أحد من السيف وما أسرع من السهم وما لذة

ساعة وما سرور ثلاثة أيام وما طيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الـذي يكره وما سجن القلب وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحيـاة ومـا الداء الذي لا يداوى وما العار الذي لا ينجلي ومـا الدابـة التـي لا تـأوي العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وفيها من خلـق سـبعة جبـابرة، فأجابت عن ذلك كله وأقر لها إبراهيم النظام بحجتها.

هذه الحوارات المختلفة؛ وإن كانت خيالية؛ إلا أنها تعد نموذجا لمـن هم في سن هذه الجارية بحيث تحث هؤلاء الأطفـال علـى السـعي والجـد لتحصيل مثل هذه المعارف، ولاسيما أن هذه جارية أنثى وليست حرة، وهـذا في ذاته أكبر دليل على عدم تفريق الحضارة الإسلامية بين الـذكر والأنثـى وبين الحر والعبد في تحصيل العلم، وهنا يكون المحك الوحيد لتحصيل العلم هو القدرات والميول التي يتمتع بها الفـرد بصـرف النظـر عـن جميـع الاعتبارات الأخرى، وهذا رد عملي على افتراءات الغرب المتعلقـة بظلـم الحضارة الإسلامية للمرأة وأن نظام الرق في الإسلام يسلب الإنسان حقوقـه الأساسية، فإن كان الوضع كذلك، فلماذا تمكنت جارية مثل تودد من تحصيل هذا القدر من العلوم وهذا التنوع الفريد منها، ومن هنا يمكن اعتبار مثل هذه المخطوطات ردا قويا ضد حملاتهم التشويهية، وهـذه العلـوم والمعـارف المختلفة يدور معظمها في فلك القرآن الكـريم والحـديث الشـريف والفقـه والسيرة وكذلك العلوم الطبيعية التي تتناول جسم الإنسان وأمراضه وكـذلك علوم الفلك والفلسفة وغيرها من المعارف التـي قامـت عليهـا الحضـارة الإسلامية، وكذلك تعتبر هذه المخطوطة من النماذج الدالة على اهتمام الخلفاء بالعلم وأن مجالسهم لم تكن مجرد مجالس لهو ولعب وإنما كانت مجالس علم ومناظرة يتم فيها تبادل العلوم المختلفة ويتم فيها المبارزة بين أصحاب العلـم الواحد، وهذا يعطي توجه لأولي الأمر القائمين علـى أمـر المسـلمين فـي

العصر الحاضر بأن يخلو مجالسهم من كل لهو ولعب وأن يتوجهوا التوجـــه الصحيح نحو العلوم الإسلامية الصحيحة لأنها هي الوســـيلة الوحيـــدة التـــي نهضت بالمسلمين في الماضي وهي الوحيدة التي يمكن أن تنهض بالمســـلمين في الوقت الحاضر.

<u>خامسا: المضامين التربوية في مخطوطة إنباء الأبناء بأطيب الأنباء</u>

هذه المخطوطة لمحمد بن عبد الله الألوسي، شهاب الدين أبو الثنـــاء المولود عام ١٢١٧ - المتوفى عام١٢٧٥ هـــ فهو من علماء القـــرن الثالـــث عشر الهجري، وفي هذا القرن كانت الأمة الإسلامية تعـــاني ضـــعفاً شـــديداً وكانت بغداد ليست عاصمة الخلافة الإسلامية حيث كانت الخلافة العثمانيـــة، ولقد عكست هذه المخطوطة بعض مساوئ الأخلاق الموجودة فـــي المجتمـــع الإسلامي، وتضمنت قيماً مفيدة يُحتاج إليها في تلك الفترة.

<u>ملخص مخطوطة: إنباء الأبناء بأطيب الأنباء</u>

بسم الله الرحمن الرحيم

يا بني

إنـــــي أرى داعـــي	المـــــــوت لا يـــقلع
وأرى مـــن مـــضى	لا يــــــــرجـــــــع
ومـــــن بـــقـــــــي	فإلـــــيه يـــــنـــــزع
في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصـــائر
لما رأيـــت مـــوارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تسعى الأكابر والأصاغر

أيـــقنت لا محالة أني حيث صار القوم صـــائر

وإني موصيكم بوصايا فاحفظها، وفي كل وقت بعين التدبر لاحظوها.

يا بني

عليكم بتقوى الله في السر والجهر فإن التقوى وايم الله مَلاك الأمر والتقوى هي الكهف الأوفى والسبب الأقوى وأن التقوى خير الزاد والمعول عليها بعد رحمة الله تعالى في الميعاد.

قال الحطيئة العيني

ولست أرى السعادة جمع المال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خـــير زاد وزخـــرا وعند الله للتـــقي مزيد

وما لا بـــد أن يـــأتـــي قريـــب ولكن الذي يمضي بعيد

يا بني

إن مداولة العلم تبطئ ولا تخطئ، وفضل العلم أشهر مـــن أن يُنبـــه عليه وأظهر من أن يُشار إليه، ولا تنقص من مقدار العارفين بقدره فلا يسلب الدرة النفيسة ثوب النفاسة، وقد كان الله تعالى القديم كنزاً مخفياً لا عارف به عز وجل سواه فهل نقص من جلاله شيئاً، لا والله لا والله، فالله قبـــل العـــالم وبعده لم يتفاوت جلاله وعلاه،وهذا ما قال بعض العارفين وبينوا سبحانه مـــا عليه كان.

يا بني

وليكن انشغالكم بالفقه والحديث والتفسير وسائر علوم الدين أكثر من انشغالكم بفلسفة المتفلسفين، ولا أقول الاشتغال بالفلسفة محض تحقير وللســـفه

لما أن فيها اليوم نفعاً في الديانات وإنما الأعمال بالنيات.

عليكم في باب العقائد بعقيدة السلف فإنها أسلم، بل من أنصف يعلم أنها أيضا أعلم وأحكم لأنها أبعد عن العقول على الله عز وجل بما لا يعلم.

يا بني

عليكم في المجالس بقلة الكلام ولا تملوا على المجالس أكثر مما يفيد المرام، فالغلط تحت اللفظ والعشار في الإكثار، ورب جاهل فضل بسكوته على فاضل.

يا بني

عليكم بحسن الظن بالسادة الصوفية وإياكم والوقيعة فيهم فهي والله روية، واحفظوا أسماعكم عن استماع كلماتهم التي تخالف ظواهرُها الشريعةَ فليس لفهم مرادهم منها سوى السلوك كما سلكوا ذريعة، وما هو وراء العقل كيف يُوصل إليه براق الفضل، ولا ينقص ذلك من أحدكم شيئاً إذا سُئل عن شيء من ذلك لا أدري، وما لي في السلوك في مضايق لا يسري فيها نسيم الفكر ولا يجري.

يا بني

عليكم بالتمسك بعرى الشريعة فإنها الوسيلة للسعادة العظمى والذريعة، واعلموا أن ليس بين حكم الشريعة والطريقة مخالفة بقدر شعرة أو شعيرة في الحقيقة.

يا بني

لا تتعرضوا على مجذوب ودعوه وما عليه ووكلوا أمره إلى علام الغيوب، واحملوا ما يظهر على يده من الخوارق على المعونة، وكم لله تعالى من أسرار هي عن أفهامنا مكنونة.

يا بني

عليكم بزيارة قبور المسلمين لاسيما قبور الصالحين، لكن لا تنادوا صاحب قبر بجلب خير أو دفع ضر فإن ذلك لم يثبت في الشرع وغير الله تعالى لا يملك شيئاً من الضر والنفع، نعم، لا بأس أن تسألوا الله تعالى العلي بحرمة صاحب القبر الولي.

يا بني

إياكم والغلو في الدين والإطراء الذي لم يرد في شريعة سيد المرسلين

فخر أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدايع

يا بني

من رأيتموه يطير في الهواء أو يمشي على وجه الماء وقد خالف شيئاً من الشريعة الغراء فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، فإياكم وإياه واشتغلوا عنه بتقوى الله.

يا بني

بعض الناس ثياب عليهم من جلود الشاة، فلا تُخدعوا بهماوات كالهلوك كلماته ولا أنت كالصعلوك عريكته وولع الذبول بقامته فتناطحت

تفاحة كتفه ورمانة هامته وربما لصق ذقنه بصدره وأصاح بسمعه نحو ســـره وحمل سبحته من ذوات الأذناب وجعلها شبكة وأعمل فيها سبابته تفر حباتهـــا كما تفر الحبَ الديكةُ، فليس مقيداً يمشي بقيدٍ، فوأبي لقد رأيـــت مـــن هـــؤلاء المتماوتين من هو ألزم أمره وأحذر منه بألف ألف مرة وقد جربتهم فرأيـــت منهم خبائث.

يا بني

جودوا بالمال في موضع الحق وانجلوا بالأمر على جميع الخلق، فإن أحمد جود المر الإنفاق في وجه البر وأكرم بخل المرء الضين بمكتوم السر.

يا بني

لا تواخوا امرءا حتى تعاشروه وتبتلوا أســـراره وتعرفـــوا مـــوارده ومصادره، فإذا استطعتم العشرة ورضيتم الخبرة فواخوه على إقالة العشـــرة والمواساة في العسرة.

يا بني

إياكم وصحبة الأشرار فإنها لعمر أبيكم عار.

يا بني

إذا أحببتم فلا تفرطوا وإذا أبغضتم فلا تفرطوا، فإنه كان يقال

أحبب حبـــــيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبـــك يوماً ما

يا بني

إياكم وكثرة المزاح فإن منه ما هو كطعن الرماح وإنه لينفر الرفيق ويوغر صدر الصديق، ولعمري إن ضرر المزاح كثير ولا ينبئك به مثل خبير.

يا بني

عليكم بحسن الوفاق ولا يكن لسوق النفاق بينكم نفاق، فالاختلاف وخيم وضرر الافتراق عظيم، ومتى افترقتم ضحكت عليكم الأعداء وبكت رحمة بكم الأصدقاء ومتى كنتم يداً واحدةً أبقيتم قلوب أعدائكم إلى الموت واجدة،وفي الحديث يد الله مع الجماعة، فعليكم بما يقتضيه وأحسنوا سماعه.

يا بني

ليوقر صغرُكم كبيرَكم وليدار كبيرُكم صغيرَكم.

أخاك أخاك أن ما أخاً له كساع إلى الهيجاء بغير سلاح

يا بني

إن مخالفتكم في هذا أمري تحزنني ولو كنت في روضة قبري فالله تعالى في أبيكم من نزاع واختلاف يعبث فيكم.

يا بني

إني تركت لكم اللهَ عز وجل فاضرعوا إليه سبحانه في كل ما نزل ولا تستكينوا من قلة المال ولا تظهروا لأحد سوء الحال.

يا بني

لا ترفعوا بالرد قدر السفيه، وإذا شفاهكم بغياً بما فيه فذاك كلب

فألقموه حجر السكوت ودعوه ينبح حتى يموت، ورب كلب يستكثر في حقــه قول أخساء لما أنه ربما يورثه عجباً ويزيده أنساً فلا تسمعوا بهذه الكلمة على الكلاب ولا تجعلوها لكل عادٍ عاد بدل الجواب، وكونوا كما قال جدكم أميــر المؤمنين يعسوب الدين علي كرم الله تعالى وجهه:

وذي سفه يواجهني بحيل	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهته فأزيد حلمـــا	كعودٍ زاده الإحراق طيبا

يا بني

لا تتكلموا في أحد بما يوجب الاستغفار أو يحوج يوماً من الأيام إلى الاعتذار، واعلموا أن مقالة السوء تسرع إلى أهلها إسراع السيل ينصب فــي الخدود وتنقض إليهم بأجنحة نقلتها كالطير ينقض إلى مألوف الوكــور، فــلا يشجعنكم على قولها ظن أنها لا تصل إلى أهلها فذاك من قلــة الفهــم وحــل حزام الحزم، فاحفظوا ألسنتكم واجعلوا ذلك طبيعة فيكم.

يا بني

قد رأيت أهل الزوراء لا يجتمعون على حق ولو أضــحى كشــمس الضحى في الظهور، بل يكونون طائفتين في كل حادثة، فــإن أنــتم أمنــتم المكروه فالواجب أن تكونوا مع الطائفة المحقة، ولا تكونــوا طائفــة ثالثــة، وانحازوا عن الطائفتين بمعزل وابعدوا عنهما بألف ألف منزل، فذلك في هذه الأيام أبعد عن الوقوع في مهاوي الملام.

يا بني

إن العراق قد خلقت ثيابه بل انتن لحمه وشحمه وإهابه فغــدا جيفــة يشق نشق ريحها المرائر ويصعد إلى أقصى الجــو فيصــدع رأس النســر

الطائر، وقد تصدر فيه حب سفيه واستولى عليه من يأبى أن يلوكه القلم لنتنه بشدقيه.

وحيث إنكم لا تستطيعون فيما أظن الهجرة ولا تطيقون ترك الأوطان وإن كانت مرة بالمرة، فعليكم بقلة اختلاط وكثرة الاحتياط فلعلكم تُحفظون من الأمر الأَمر وتسلمون من أن ينطحكم ذو قرنين ليس بإسكندر.

يا بني

عليكم بالقناعة، ولا يكشفن أحدُ منكم للئيم قِناعه.

يا بني

ستكون، والأمر لله، أمور تقشعر منها اليدين وتهزل من جدها جلود المؤمنين، فأنكروا ذلك بقلوبكم وليكظم كل منكم على فيهِ فإن للبيت رباً ورب البيت يحميه.

يا بني

بغداد تقول بملء فيها إنه بدا لي أن أجعل زمام أمري في كل وقت من يدني ديني فلا تستغربوا علو سافل وارتفاع جاهل في أخلاق الزمان ملوك، وللباطل جولة ويزول.

يا بني

إن في سوقية بغداد المحترفين من هو أحسن بكثير من بعض عدو من أعدائها وقد غدوا عن سبيل الرشد منحرفين، فإذا اضطررتم إلى مجالسة أحدٍ فاختاروه من أولئك السوقية وإن خيرا من أعيان السوء كلاب السوقية.

يا بني

أحذر الحذر من الوقيعة في الأمراء والتشنيع عليهم فيما هم فيه من البيعة، واعلموا أن تهيب السلطان فرض وان مداراته حزم وتدبير ومكاشفته غرور وتقرير، وأجهل الناس من كان على السلطان مدللا ولحاشيته يصنع التفريج.

يا بني

إن معظم من يقدموا ليعظموا المتردد على السراي أكثر من تعظيمهم المتردد إلى الكعبة، ويطيعون من عصى ربه في طاعة الوزير أكثر من طاعتهم من أطاع في عصيانهم ربه، ويكاد يقول لسان حالهم إن قبلتنا السراي والهنا جل ثناء الوزير، فإن استطعتم أن تترددوا أحيانا إلى الوزير فلا بأس ولكن عليكم بالمشي وقلة الكلام وقصر الجلوس وعدم معارضة أحد من الجلساء.

يا بني

لا تكونوا عبيد الخميصة فالمرء بخصيصته لا بخميصته فهو مخبون تحت طي لسانه لا طيلسانه والفتى بأصغريه لا ببرديه وبأدبه لا بثيابه.

يا بني

ليكن الوقار حبيبكم، فلا تجيبوا من لا يسألكم ولا تسألوا من لا يحب أن يحيكم.

يا بني

إني رأيت كثيرا من أهل بغداد قد طُبعوا على الغدر والفساد، فتراهم يحسنون للإنسان فعلا حتى إذا خف فعله عادوا عليه نقداً وجعلوا يطعنون فيه في علانهم وإسرارهم وإن كان قد خرب داره لتعمير دارهم، فاحذروا أن

يستخفكم بعض هؤلاء.

يا بني

كونوا على حذر من الخلق ولا تغتروا بكل برق، فـرب ذي كـلام كالعشق له فعل كالأسل.

يا بني

عليكم بالمداراة لكن لمن تنفع مداراته وتجدي موافقته ومجاراته، ففي الناس أقوام أراذل لا تنفع مداراتهم بحال من الأحوال.

يا بني

عليكم بحسن الخلق مع جميع الخلق، فمن لانت كلمته وجبت محبتـه، ومن لم يلن للناس جانبه نفرت عنه أقاربه وأجانبه، وعضوا بالنواجـذ علـى مكارم الأخلاق وإياكم ثم إياكم من الولوج في نفق النفاق.

يا بني

حلوا جيد عملكم بحفظ جيد الشعر وانثروا علـى رأسـه درر النثـر وأكحلوا عينه بمرود النظر في التواريخ المنيفة وحفظ الحكايـات الصـحيحة اللطيفة.

يا بني

لا أرى العجلة أمراً محموداً فأسرع النار التهاباً أسرعها خموداً.

يا بني

عليكم بصلة الأرحام وإكرام الأخوال والأعمام، واعلموا أن العشيرة للمرء جناحه الذي به يطير وأصله الذي إليه يصير وبهم يصول ولهم يطول،

نعم، لا ينبغي أن ترغبوا عن الفضيلة.

يا بني

والله إن حبي الطبيعي لكم على السوية والحب الكسبي يزداد وينقص على حسب تفاوتكم في الأخلاق المرضية، وأحب ما تكونون لدي إذا رأيـــتكم متضامنين وفي خدمة الله تعالى ثم في خدمتي مصطفين.

يا بني

الله الله في إخوانكم وعدو من في عداء بناتكم.

يا بني

الله الله في أمكم فلعمري لقد كانت تسر لسروركم وتغتم لغمكم وهـــي على علاتها عزيزة عندي ولها في سري من الشفقة عليها أكثر مما في أيدي.

يا بني

تقاصدوا لي بالزيارة والدعاء واذكروني بالصدقة على ذوي الأرحام والفقراء، فقد انقطع صالح عملي إلا منكم، فلا يرد لي كاتب اليمـــين حـــديثاً حسناً إلا عنكم، فبالله تعالى لا تغفلوا عني وأنا بين أطباق التراب فعيني على الله تعالى ثم عليكم أيها الأبناء الأنجاب.

يا بني

على استبقاء الوصايا أقوى وجامع ذلك فيما أرى التقوى فـــالتقوى التقـــوى وليأت أحدكم منها بما يقوى وتقوا بالله تعالى، وإياكم أن تعتمدوا علـــى أمـــر مخلوق وفقكم الله تعالى لما يحب ويرضى وحفظكم جميعاً من سوء القضـــايا وأسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

تمت هذه الوصية الشريفة على يد ابن المرحوم الألوسي.

المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:

هذه المخطوطة عبارة عن وصية كتبها الألوسي لأبنائه ليعملوا بهــا بعد وفاته وقد كتبها عنه ابنه، وتضمنت هذه الوصية عددا من النصائح التــي يحتاج إليها الأبناء في كل العصور، ولا سيما عصور الضعف التــي كانــت تعيشها الأمة الإسلامية حيث كانت بغداد تعيش عصر الظلام والظلــم، ولقــد بدأت المخطوطة بالحديث عن الموت، ثم الأمر بتقوى الله، ثم مداولة العلــم، والأمر بالاشتغال بالفقه والحديث والتفسير وسائر علــوم الــدين والاشــتغال بعقيدة السلف، ثم النصح بقلة الكلام، وبحسن الظن بالســادة الصــوفية، ثــم التمسك بعرى الشريعة، وعدم التعرض لمجذوب، والأمر بزيــارة القبــور، وعدم الغلو في الدين، وعدم الانخداع بالمظهر، والأمر بجــود بالمــال فــي موضع الحق، وعدم مؤاخاة امرئ غلا بعد المعاشرة وعدم صحبة الأشــرار وعدم الإفراط في البغض والحب، والإقلال من كثرة المزاح، والأمر بحســن الوفاق، والأمر بتوقير الصغير للكبير ومــداراة الكبيــر للصــغير، وعــدم مخالفتهم لرأي أبيهم، والتضرع إلى الله، وعدم الرفع من قدر السفيه، وعــدم التكلم في أحد بما يستوجب الاستغفار أو يحوج إلى الاعتذار، وعدم الالتجــاء لأهل الزور، ثم وصف الرجل العراق ووضعه الضعيف في تلــك الفتــرة، والأمر بالقناعة، والحذر من الوقيعة في الأمراء والتشنيع علــيهم ومخالطــة المترددين على السراي، والنهي عن أن يكونوا عبيد الملــبس، ثــم أمــرهم بالوقار، ثم حذرهم من الكلام البراق، وانصحهم بالمداراة مع تجنــب النفــاق وأخيراً أمرهم بصلة الأرحام وزيارة قبره والدعاء له.

من الملاحظ تضمن هذه الوصية على قدر كبير من الأشعار حيث يلجأ إليــه

الألوسي باعتباره من القوالب اللغوية التي توصل المقصود حيث يخاطب الشعر الوجدان بشكل أكثر تأثيرا من النثر.

سادسا: المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة آداب الأكل والشرب والعشرة والملبس وعشرة النساء وآداب وتربية الأولاد والخدم:

هذه المخطوطة لمحمد بن عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري من علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وتتكون هذه المخطوطة من ثمانية مقاصد، المقصد الأول في آداب الأكل الشرعية والطبية وفيه بابان الباب الأول في الآداب الشرعية والباب الثاني في الآداب الطبية، المقصد الثاني في آداب الشرب الشرعية والطبية وفيه بابان الأول في آدابه الشرعية والثاني في آدابه الطبية، المقصد الثالث في آداب اللباس، المقصد الرابع في آداب الجماع وفيه بابان الأول في آدابه الشرعية والثاني في آدابه الطبية، المقصد الخامس في آداب النوم وفيه بابان الأول في آدابه الشرعية والثاني في أدابه الطبية، المقصد السادس في آداب الحمام وفيه بابان الأول في أدابه الشرعية والثاني في أدابه الطبية، المقصد السابع في أداب معاشرة الزوجة ومتعلقات ذلك، المقصد الثامن في أداب تربية الأولاد وفيه بابان الأول في أدابه الشرعية والثاني في أدابه الطبية، وقد تم تقديم تلخيص آداب الأكل والشرب من المقصد الأول والثاني وآداب تربية الأولاد والخدم من المقصد الثامن لسوء الحالة الفنية الموجود عليها الميكروفيلم الخاص بالمخطوطة، حيث لم أتمكن من قراءة المقاصد الأخرى فاكتفيت بهذين المقصدين حيث إنهما يفيان بالغرض.

ملخص المخطوطة:

مقدمة:

اعلم أن تناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قيام البدن في حياته، وبأخذه سنة الله تعالى في خلقه، وذلك لأن القالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة، وقد ورد أن أرض الجنة نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعته الحيوانية يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الآخرة ويستعان بهما على تعمير الآخرة وباجتماعيهما صلحا لعمارة الداريين، وقد ركب الله الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله خلاصة الأراضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيه من حيوان ونبات قواما لبدنه، قال تعالى (خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) (البقرة:٢٩) فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة وذو الرطوبة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعله قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للإنسان يستعين بهما على أمر معاشه ومكانة لقوام بدنه الذي هو مركب الروح، والطعام يصل إلى المعدة وفيه طبائع أربعة، فإذا أراد الله تعالى اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طبائع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة البرودة وذو الرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويوهن الاعوجاج، وإذا أراد إفناء القالب وتخريب بيته أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول وقلبت الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم القلب والبدن ذلك تقدير العزيز العليم، قال وهب " وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام أني خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء، من رطب ويابس وبارد وساخن، وذلك أني خلقه من تراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس

وبرودته من قبل الروح، وخلقت في هذا الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هي ملاك الجسد بإذني وهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم، ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء والحرارة في المرة الصفراء والرطوبة في الدم والبرودة في البلغم، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي بها ملاكه وقوامه وكانت كل واحدة منها لا تتبعض كملت صحته واعتدلت فيه، فإن زادت واحدة منهن عليهن هزتهن وغلبتهن ودخل عليه السقم من ناحيتها حتى يضعفن عن طاقتهن.

واعلم أن الأفوز في الطعام أن يكون حلالا وكل ما كان من الشرع هو رحمة من الله تعالى ولولا رخصة الشرع لعظم الأمر واشتد الخطب وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب من الحلال ونهى عن أكل الباطل من الأمر الحرام، فقال تعالى (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) (البقرة:١٨٨) لأن الأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين، قال المصطفى r: كسب الحلال فريضة، وقال: طلب الحلال واجب على كل مسلم، رواه البيهقي وأبو يعلي، وعن عائشة قالت: دخل على رسول الله r فرأى كسرة ملقاة فأخذها ومسحها وقال: أحسني جوار نعم الله، فقبلها، فالحذر الحذر من إهمال الطعام ولاسيما الخبز، قال r: أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء وأخرجه من بركات الأرض، رواه الترمذي وغيره، وقال: أكرموا الخبز فإنه أكرم من أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله رواه الطبراني، وقال: أكرموا الخبز فإنه من بركات السماء والأرض، من أكل مما يسقط من الشجرة غفر له، رواه الترمذي، وهنا يجب علينا أن ننظر إلى الخبز ببعض الإجلال والتعظيم والاحترام فإنه من فيض الله تعالى إذ به حياة الأشياء وعموم وجوده حصول الروح والارتياح، وزعم

أن المراد بإكرام الله وحفظه لما فيه من الرضا بالموجود في الرزق دون التعمق في التنعم وطلب المزيد.

وقد جاء في الأمر بالاعتدال في أكل الخبز عدة أحاديث في أكثرها أن لا يوطأ ولا يوهن وفيه أن أعظم الحالات أن يأكله على أن يتقوى به على طاعة الله فيكون بأكله فاعلا للطاعات فيثاب عليه ولا يقصد التلذذ وقضاء الشهوة، وقد يأكل الفرد بنيات متعددة فيثاب عليها ثوابا متعددا قال تعالى (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢) وتلك بالنية بعاداته وحسن معتقده فتقوى العادات وتتم العبادات ولهذا قال المصطفى r: في بضع أحدكم صدقة، فقيل له: أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكن عليه وزر، فكذلك إن وضعها في حلال.

وللأكل سبع مراتب، أن يأكل ما يحصل به الحياة فقط، الثانية أن يزيد عليه ما قدرا يمكنه من صلاة الفروض دون النافلة ولا يمكنه من الصوم المكتوب، الثالثة أن يأكل ما يحصل له به قوة على صوم النفل أو صلاته من قيام وهو مستحب، الرابعة أن يأكل ما يقيم صلبه للكسب والعمل هذا المقصد الشرعي، الخامسة أن يأكل ثلث بطنه والراحة فيه، السادسة أن يزيد على ذلك وهو مكروه وبه يحصل الثقل والنوم، السابعة أن يأكل زيادة على ذلك إلى أن يتضرر وهو حرام، قال الغزالي: والأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا ألم الجوع فإن مقصود الأكل بقاء الحياة والقوة على العبادة، وثقل الطعام مانع عن ذلك، وألم الجوع يشغل القلب ويمنع العبادة؛ وقد ورد أن رسول الله r ما عاب طعاما قط، كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه، وينبغي أن ننظر إلى الزكي من الطعام؛ قال تعالى (فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) (الكهف:١٩) وينهى عن أكل طعام

الظالمين والفاسقين، فعن عمران بن حصين: نهى رسول الله r عــن أكــل طعام الفاسقين.

المقصد الأول في آداب الأكل:

وفيه بابان؛ الأول في آدابه الشرعية وفيه فروع، الأول فيمــا لابــد للأكل من رعايته وهي ثلاثة أقسام، قسم قبل الأكل وقسم معه وقســم عقبــه، الأول ما تقدم وهو أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة علــى الأرض وهذا أقرب إلى التواضع من وضعه على الخزان ونحوه؛ وكان r إذا أتــى طعاما وضعه على الأرض؛ رواه ابن المبارك وقال: لأنه أقرب للتواضــع، فإن لم يكن فليكن على السفرة فإنه يذكر الآخرة، فيذكر مــن الســفرة ســفر الآخرة، وقد روى الترمذي وغيره عن أنس: ما أكــل رســول الله r علــى جواده ولا في سكرجة، وقيل له: على ما كانوا يأكلون؟ قــال: علــى هــذه السفرة، والخزان مرتفع يهيأ عليه الطعام، والأكل على السفرة لــيس بدعــة ولكنه جائز، والثاني غسيل اليد قبل الأكل ثــلاث، ويحبــب الوضــوء قبــل الطعام، الجلوس على الطعام يفضل أن يجلس باليمنى علــى اليســرى، فقــد روى أبو داود: لا آكل متكئا، رواه أبو داود وابن ماجة، لأنه نوع من التكبر، والله لا يحب المتكبرين، وورد بسند حسن، أهديت للمصطفى شاة فجلس على ركبتيه يأكل، فقيل له: ما هذه؟ قال: إن الله تعالى جعلني عبــدا كريمــا ولــم يجعلني جبارا عنيدا،القسم الثاني في آداب تناول الطعام أن نبدأ بالتسمية وهي للجماعة سنة كفاية وللفرد سنة عليه، قال، نقول مع اللقمة الأولــى بســم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم، قال الحــافظ ابن حجر: لم أجد دليلا يخص بالتسمية يقتضى به، فإن تسمية كل واحد فيــه خاصة، واستحب بعضهم أن يقول بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء وأن

يبدأ بالملح ويختم به ويأكل بيمينه ويأكل بثلاث أصابع، ويفضل أكل الفاكهة ثم اللحم، ويفضل أكل لقمة أو لقمتين أو ثلاث من الخبز على اللحم، ويسن الأكل من أسفل القصعة ومما يليه وليس مما يلي غيره، ومن وسط الطعام في غير الفاكهة، ويأكل دائرة الرغيف ولا يكسر الخبز إلا إذا أكل ولا يقطعن اللحم بالسكين للنهي، ولا يوضع على الخبز ما يؤكل به، ويفضل مضغ اللقمة وترك مدة لأخرى قبل بلعها، ولا يجمع فاكهة ونواها في طبق، وأن يضع النوى على ظهر كفه اليسرى , ولا يقول: دع النوى في القصعة، بل يجعل مع الفضلات لئلا يلتبس على غيره فيأكله، ولا بأس بمواكلة العمى، ويقول إذا ما أكل مع أجذم بسم الله ثقية بالله وتوكلا عليه، وإذا استطاب من الأكل ما سقط على الأرض يأخذه ويميط ما به من أذى ويأكله ولا يدعه للشيطان؛ هكذا أمرنا المصطفى r؛ فإذا تنجست أطعمها لنحو هرة ولا يمسح يده بمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعام البركة. القسم الثالث ما يستحب بعد الفراغ من الطعام، يسن بعد الطعام الحلو وأن يحمد الله جهرا؛ أكمله " الحمد لله حمدا طيبا مباركا ".

الفصل الثاني: فيما يزيد الاجتماع والمشاركة في الأكل:

فيه أمور الأول أن لا يبدأ بالأكل ومعه من يستحق التقديم لسن أو زيادة فضل إلا إذا كان هو المتبوع؛ فحين إذن ينبغي ألا يطول عليهم الانتظار إذا اجتمعوا للأكل، الثاني ألا يسكتوا على الطعام بل يتكلمون ويتحدثون، الثالث أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يأكل زيادة عليه فإنه حرام إلا أن يظن رضاه، بل ينبغي إيثاره، وألا يجوع رفيقه، الرابع ألا ينظر لأصحابه ولا يراقب أكلهم بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا ينبغي الأكل قبل أخوته إذا كانوا يأتون الأكل بعده، الخامس ألا يفعل ما يستقذره غيره.

الفصل الثالث: في آداب تقديم الطعام إلى الأخوان:

إن تقديم الطعام إلى الإخوان فضل عظيم: قال جعفر بن محمــد: إذا قعدتم مع الإخوان على مائدة فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم، قــال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك، قــال المصطفى r: لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضــوعة بين يديه حتى ترفع، وفي الخبر: لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانــه، وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده، وقال علــي: لأن اجمع إخواني على صاع من طعام أحب اليّ من أن أعتق رقبة، وكــان الصحب يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وفي الخبر يقول الله عز وجل للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم، جعت فلم تطعمني، فيقول: كيــف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المســلم فلــم تطعمــه، فلــو أطعمته كنت أطعمتني، وقال عليه السلام: إذا جاءكم الزاير فأكرموه.

آداب الطعام مع الجماعة:

أما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في الخروج.

أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا بوقــت طعــامهم فيدخل وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه، قال تعالى (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَــاهُ) (الأحــزاب: ٥٣) يعني منتظرين حينه ونضجه، وفي الخبر: من مشي إلى طعام لم يدعى إليــه مشي فاسقا وأكل حراما، ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صـــادفهم على الطعام ألا يأكل ما لم يؤذن له، فإذا قيل له تفضل، نظر فإذا علــم أنهــم يقولون له عن محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولون حيــاء منــه فــلا

ينبغي له أن يأكل بل عليه أن يتعلل، أما إذا كان جائعا فقصد بعض إخوانــه فلا بأس به وقد قصد رسول الله r وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيــثم بــن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا، كان محمــد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فيدخل الحسن فيرى ذلك فيسر ويقول: هكذا كنا، وروي أن الحسن كان قائما يأكــل الطعام فقال هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع، تأكل متاع الرجل وبغير إذنه، فقال: يا لكع؛ اتل علي آية الطعام، فتلاها إلى قوله " فصديقكم " فقــال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ فقال: هو من استراحت إليه النفس واطمــئن إليــه القلب، وفي المناهي حكي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الأكــل فــي الســوق دناءة، وأسنده قال المصطفي r وهو غريب، فقد نقل عن ابن عمر أنه قال: أكلنا على عهد النبي r ونحن نمشي ونشرب ونحن قيــام، وهــذا يختلــف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص، فمتى لا يليق ذلك حمل على قلة المــروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة.

الباب الثاني: في آداب الأكل الطبية المتلقاه عن علماء الطب:

اعلم أن الغذاء قوام البدن وأقله ما صح في اليوم والليلة مرة وأكثــره مرتان وأعدله ثلاث مرات في يومين ولكن التعبان ومن اعتاد الكد والتعــب أولى بالتخفيف، وأحسنه ألذه إذا صح جوهره، وينبغي ألا يملأ جوفه فيثقــل ويضيق نفسه، بل يقوم عن الطعام ونفسه تشــتهيه، وكثــرة الأكــل تــدرك أمراضا صعبة جسمانية وروحانية، وإذا امتلأت المعدة انسدت أبواب الحكمة ومالت الطبيعة للأمور الشنيعة المخالفة للشريعة، وطبائع النفس الناطقة داعية إلى ما يرضي الخالق من العمل الصالح وتجنب الشهوات وطبــائع الجســم داعية إلى الإكثار منها، فمتى غلبت طبائع الجسم بعقلهــا إرادتهــا وبلوغهــا

أملها كثر ظلمها وعظمت كثافتها وفاضت على طبائع النفس حتى استغرقتها فمنعها ذلك عن الاتصال بالعقل لتقتبس منه ما تفرق به بين الحق والباطل، ومتى أمسكت الطبائع الجسمانية عن الشهوات تمكنت طبائع النفس بنيلها إرادتها فعظمت قوتها وكثر نورها وفاضت على طبائع الجسم حتى استنقذتها ولم تزل متصلة بعنصرها، وضعف الطبيعة إنما يكون بتقليل الغذاء، فإذا قلل بغير إفراط مع العمل الصالح قويت النفس على الطبيعة واتصلت بالعالم الكبير، وهذا طب روحاني، ثم إن كثرة الطعام كما تكون سببا في الأمراض فقلة الأكل للغاية تكون سببا لسقوط القوة وأدى ذلك إلى سرعة الهرم فلا يؤكل طعام إلا عن شهوة صادقة ولا يدافع بالأكل إذا هاجت الشهوة إلا إن كانت كاذبة، وعلاماته إذا وقع سقطت، وليكن الطعام في الشتاء حارا وفي الصيف باردا، قال الشافعي: الأكل على أربعة أنحاء؛ الأكل بإصبع من المقت وبإصبعين من الكبر وبثلاثة من السنة وبأربعة وخمسة من الشره، وأربعة يقوين البدن؛ أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان، وأربعة توهن البدن؛ كثرة الجماع وكثرة الهم وشرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة، وأربعة تقوي البصر؛ الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف الملابس، وأربعة توهن البصر؛ النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود مستدبرا القبلة، وأربعة تزيد في الجماع؛ أكل العصافير وأكل الأطرفيل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير، والنوم على أربعة أنحاء؛ النوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض، ونمو على اليمين وهو نوم العلماء ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين، وأربعة تزيد في العقل؛ ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء،

وأربعة هن من العبادة؛ ألا تخطو خطوة إلا على وضـــوء وكثـــرة الســـجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القراءة.

المقصد الثاني: في آداب الشرب:

وفيه بابان؛ الأول في الآداب الشرعية، يكره الشرب متكئا أو منبطحا ويسن التنفس في الإناء، فقد روى الترمذي وغيره أن المصـــطفى r كـــان يتنفس في الإناء ثلاثا إذا شرب.

الباب الثاني: في آدابه الطبية،:

اعلم أن أفضل المشروب على الإطلاق الماء لأنـــه ركـــن أصـــلي للمركبات وبه قوامها وفيه من التلطف والتدليل ما ليس في غيره وعليه حفظ الرطوبة ومنع الحرارة وفيه تذوب الأغذية، وقيل إنه يغذي البدن وهذا باطل، وأفضله على الإطلاق ماء المطر في الصيف للطف البخار فيه ولأن الحرارة الأرضية ضعيفة ولا تصعد الغليظ، وقال آخرون إن مطر الشتاء أصح مـــاء لخلو الجو من الأدخنة بخلاف الصيف، وشرطه أن يؤخذ قبل مكثـــه، ويليـــه ماء النهر المكشوف الجاري من البعد والعلو إلى المشرق والشمال في طـــين حر ثم في حجر صلد البارد في الصيف الحار في الشـــتاء النقـــي الأحجـــار الخفيف الوزن، وقد جمع هذه الشروط نيل مصر فهو أجودها مطلقا.

المقصد الثامن:

في القيام بحقوق الناس وصحبة الأهل والأقـــارب والجيـــران وآداب معاشرة الخلان وغيرهم من الناس على اختلاف طبقاتهم فـــي كـــل زمـــان ومكان، قال حجة الإسلام: القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم ركن من أركان الدين؛ إذ الدين معناه السفر إلى الله تعالى، ومن أكان السفر حســـن

الصحبة في منازلهم وفي السفر والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر سير السفينة براكبها، واعلم أن الإنسان في الدنيا يكون وحده مع خواصه من أهل أو قريب أو جار، ويكون مع عموم الناس، فهذه ثلاثة أحوال، فعليه حسن الصحبة معهم وأداء الحقوق في جميع هذه الأحوال، وقد ينحصر الغرض من هذا المقصد في ثلاثة فصول، الأول أن يكون وحده ليعلم أنه بنفسه عالم صغير وأن باطنه يشتمل على أصناف من الخلق مختلفي الطباع والأخلاق،فإن لم يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك، وأصناف جنود الباطل كثيرة وما يعلم جنود ربك إلا هو، ففي الأصناف شهوة تجذبه بها إلى نفسه وغضبة يدفع بها عن نفسه الضرر ويحصل بتدبيره الأمور ويرعى بها الرعية فهو باعتبار غضبه كلبا وباعتبار شهوته بهيمة كالفرس وباعتبار قلبه ملك وهو يأمر بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم ليقتنص بمعونتهم سعادة الدنيا، فإن روض الفرس وأدب الكلب ونحاهما للملك ظفر بمطلوبه، وإن سخر العقل في استنباط الحيل لتحصيل ما يتعطاه الكلب بغضبه وجاهه والفرس بحرصه وجشعه أوفى على الطلب فضلا عن إدراك مقصود الطلب وسار منكوسا معكوسا فاجرا ظالما لأن الظلم وضع الشيء في غير محله، ولو رأي شخصا حصل في طاعته ملكا وكلبا وخنزيرا فلم يزل يضطرب الملك إلى أن يسخر من الخنزير والكلب بغيته فهو يكون ظالما مستوجبا للمقت ولو كشف الإنسان بحاله عند منامه أو عند فنائه لم ينعم في الاستغراق بالله لرأي كل من أطاع شهوته وغضبه ساجدا لكلب وخنزير إذ لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه وكذا يرى نفسه بعد الموت، لأن المعاني في عالم الآخرة تستتبع الصور ولا يتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازي معناه، فيحشر المتكبر قدر الذر يطأه من أقبل وأدبر، والمتواضع عزيزا، وأما هذا العلم فعالم التلبيس، فقد يوضع معنى الكلب والخنزير في صورة إنسان فلا

تغتر به فإن ذلك يتكشف، فعليك أن تحسن صحبة رفاقـك الثلاثـة فتكسـر الشهوة بصورة الغضب وتقتل من عشق الغضب بـداعي الشـهوة وتسـلط إحداهما على الآخر فإنه نافع ضار في تقويتها حتى تنقـاد للعقـل والشـرع فيستعملها العقل بحيث يشفع بهما كما يستعمل الصائد الفرس والكلب.

الفصل الثاني: في صحبة الإنسان أهله وخواصه مثل أهلـه وعيالـه ونحو قريب ومملوك وجار:

أما الصحبة للأهل والعيال فقد قال المصطفى r: خيـركم خيـركم لأهله، رواه الطبراني، وقال: خيركم خيركم لنسـائه، رواه النسـائي وابـن ماجة، وقال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا، رواه البيهقي، وكـان المصـطفى r رحيمـا بالعيال، رواه الطيالسي، وكان من أضـحك النـاس وأطيـبهم نفسـا، رواه الطبراني، وكان من أفكه الناس، رواه ابن عساكر، وحسن الصحبة مع الأهل والعيال بالشفقة عليهم ومداراتهم وتأديبهم وحثهم على الطاعة (قُوا أَنفُسَـكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحريم:٦) ومع الزوجات قال الله تعالى (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: ٢٢٩) والإنفاق عليهم بغير إسراف ولا تقصير، قال المصطفى r: ليس منا من وسع الله عليه فقطر على عياله، أما الصحبة المقربة فقد قال المصطفى r: الرحم شحمة من الرحمن، قال الله تعالى: مـن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته، رواه البخـاري، وقـال: الـرحم معلقـة بالعرش تقول: من وصلني وصلته ومـن قطعنـي قطعـه الله، رواه مسـلم وغيره، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: أنا الرحمن وهذه الـرحم وقـد شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومـن قطعهـا قطعتـه، قـال المصطفى r: إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الـرحم

فقالت: هذا مقام العائذ بك، فقال: أما ترضين أن أصل من وصـــلك وأقطـــع من قطعك، قالت: بلا يارب، رواه الشيخان عن أبي هريرة، وقال المصطفى ‌r: صلة الرحم تزيد في العمر، رواه القضاعي، وقال: صلة الرحم وحســن الخلق وحسن الجوار يعمرن الدار ويزدن في الأعمار، رواه أحمد ن وقـــال: اتقوا الله وصلوا أرحامكم، رواه ابن عساكر عن ابن مسعود.

أما المملوك فقد قال المصطفى ‌r: اتقوا الله فيمـــا ملكـــت أيمـــانكم وأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمـــل مـــا لا يطيقون، وقال: إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحـــت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لبسه ولا يكلفه ما يغلبه، فـــإن كلفـــه مـــا يغلبه فليعينه عليه، رواه الشيخان، وقال: اتقوا الله فيما ملكت أيمـــانكم، رواه البخاري، وعن على قال: لا تضربوا إيمـــاء الله، رواه النســـائي، وقـــال: لا تضربوا الرقيق فلا تدرون متى توفقون، رواه الطبراني، وقال: لا تضـــربوا إيماءكم على كسر آنيتكم فإن لها آجال كآجال الناس، رواه أبو نعـــيم، وكـــان آخر كلامه: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، رواه ابـــن ماجـــة، ومر بأبي مسعود وهو يضرب مملوكا فقال: الله اقدر عليك منك علـــى هـــذا الغلام، فأعتقه، رواه أحمد وغيره ن وما ضرب، صلى الله عليه وسلم، عبـــدا ولا أمة ولا خادما قط، ومع ذلك قال: علق السوط حيث يراه الخادم، إشـــارة إلى أن التأديب لابد منه، وسئل المصطفى ‌r: كم يعفى عـــن المملـــوك فـــي اليوم والليلة؟ قال: سبعين مرة، فجملة حق المملوك أن يشركه فـــي طعامـــه وكسوته ولا يكلفه على الدوام ما لا يطيقه ويعفو عن ذلته ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات الدين.

أما الصحبة مع الجار فقد قال المصطفى ‌r: مازال جبريل يوصيني

بالجار حتى ظننت أنه يورثه، ومازال يوصني بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلا مؤقتا، رواه البيهقي، وقال: أول خصمان يوم القيامة جاران، رواه أحمد، وقال: إذا رميت كلب جارك فقد أذيته، وقيل له: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي الجيران، قال: هي في النار، وقال: أتدرون ما حق الجار على جاره؛ إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن أعوذ عوذته وإن أصابه خيرا هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بنيانك فوق بنيانه فتسد عليه الريح ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها، رواه الطبراني، وقال: ليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه أي دواهيه، رواه الحاكم، وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، رواه البخاري.

الفصل الثالث: في صحبة عموم الناس:

اعلم أن أصول الدين كما قال الغزالي اتخاذ الإخوان، فقد قال، صلى الله عليه وسلم: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة، رواه البخاري عن أنس، والمراد الأخوان الأخيار بقرينة ذكر الشفاعة، أما غيرهم فلا يندب معاشرتهم بل يتعين اجتنابهم ومفارقتهم، فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على الطيب حملته طيبا وإذا مرت على النتن حملته نتنا، والإنسان محتاج في جميع أحواله إلى الصديق، أما في حالة الرخاء فلا يحتاج إلى موافاتهم ومعاوناتهم وأما في حالة الشدة فيحتاج إلى موافاتهم ومواساتهم، وطلب فضيلة الصداقة التي تطيل النفس عليها بلغت بالناس إلى المشاركة في المعاملات وغيرها والمعاشرة عشرة جميلة والاجتماع في الرياضات والصيد والملاعبات، قال بعضهم: إني أتعجب من من يعلم ولده أخبار الملوك ووقائعهم وكيفية حروبهم

وانتقاماتهم من الخلق ولا يعلمه أحاديث فاضلة وما يلزم من تلك الفضيلة من الخيرات الشاملة والمحبة التي لا يمكن المعيشة بدونها.

المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:

تتحدث هذه المخطوطة عن ثمانية مقاصد في آداب الأكل والشرب وآداب اللباس وآداب الجماع وآداب النوم وآداب الحمام وآداب معاشرة الزوجة وآداب تربية الأولاد.

لقد عرض المؤلف في المقصد الأول الآداب الشرعية للأكل وتحدث عن الأحاديث الدالة على تكريم الإنسان لرزق الله وفضل ذلك على الناس وهو في هذا بدأ بالبعد الديني ليبين أن ثواب الحفاظ على النعمة يوفيه الله سبحانه وتعالى وكذلك تناول الأحاديث الدالة على الاعتدال في تناول الطعام وآداب ذلك، ثم تناول بعد ذلك الأبعاد الطبية فتحدث عن ارتباط الغذاء بمنافع ومضار الجسم وكيفية الاستفادة من الطعام وكيفية تجنب مضاره، ثم تناول آداب الشرب الشرعية والطبية فتحدث عن كيفية شرب النبي r ثم تحدث عن أهمية الشرب من الناحية الطبية والمواصفات التي يجب أن تتوفر في الماء الصالح للشرب، أما المقصد الثامن فقد تحدث عن حقوق صحبة المسلمين وواجبات تربية الأولاد والخدم وصحبة الأهل والجيران وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وآثار ذلك على المجتمع المسلم ككل.

تعتبر هذه المخطوطة من المخطوطات التي تتناول في جزء منها ما يتعلق بتربية الأولاد وفي معظمها آداب عامة يحتاج إليها الجميع بما في ذلك الأطفال، فهي في جملتها مفيدة للصغار لا سيما أنها تبين لهم المبادئ التي يجب أن يسيروا عليها في هذه الآداب، وتتميز هذه المخطوطة بأنها تجمع بين المقاصد الشرعية والمقاصد الطبية وكأنها تقدم بجوار الأدب الشرعي

نوعا من الأدب الطبي الذي يناسب سن الطفل في أسلوب سهل، وإذا كان ما ورد آراء طبية تناسب عصرها وقد لا تناسب عصرنا للتقدم الطبي الحـديث إلا أن المهم أن الأدب القديم للطفل قد اشتمل على ثقافة العصر الطبيـة ممـا يشير إلى ضرورة أن يشمل الأدب المقدم للطفل المعاصر ثقافة علمية تناسبه في شتى المجالات، وهو ما يفتقر إليه أدب الأطفال المعاصر.

سابعا: المضامين التربوية الموجودة في مخطوطة جامع أحكام الصغار

هذه المخطوطة لمحمد بن محمود بن حسـين، مجـد الـدين الأسروشتي المتوفى عام٦٣٢ هـ، فهو من علماء القرن السـابع الهجـري، وهذه المخطوطة من الفقه الحنفي الذي هو أقدم المذاهب الفقهية، وقـد نُظـر إلى الفقه الحنفي على أنه فقه العقل حيث كانوا يستعدون لمسـائل افتراضـية من شأنها تدريب الذهن والعقل، ولقد نظر البعض إلى الفقـه الحنفـي علـى اعتباره فقه المحتمل وبعيد كل البعد عن فقه الواقع، ومع هذا فقـد تضـمنت المخطوطة نموذجاً للهيكلية الفقهية التي عليها مدرسـة الإمـام الأعظـم أب حنيفة النعمان.

ملخص المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ظهرت محبته وظهرت على الخلائق محجته وسبح جميع العباد بنعمته وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله.

أشرف العلوم علم الفقه والأحكام وبيان الحلال والحرام الذي رسخت به دعائم الإسلام وعلت به شريعة محمد عليه السلام... وقد استعذت من الصغائر والصغار وذكرت كل مسائل فيها من حينها ما يكسر تسهيلا وأسأل الله التوفيق أن أشرحها وأوفي كل نوع منها تفصيلا وسميت هذا المجموع

جامع الصغار وعملت فيه كل عمل الطيب الحبيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وبعد:

١ - الصبي سمع الأحاديث

صبي سمع الأحاديث وهو لا يفهم ثم كبر جاز له أن يروي عن المحدث، ذكر الإمام أبو طالب يحي بن الحسين الحسيني الديكي في جامع الأدلة في باب الصغار لا خلاف في قبول رواية من سمع الحديث قبل البلوغ ومنه ما رواه بعد البلوغ لأن كثيراً من الصحابة كانت جد حالهم، أما من يرى أن ما رواه قبل البلوغ غير مقبول فقد نظر لذلك باعتبار أن الصبي غير مكلف وهذا غير كاف لرد رواية الصبي، فيبقى الأصل كما هو عليه وذلك إذا كان الصبي عدل وصادق.

٢ - في مسائل الطهارات

قال الإمام الآجل برهان الدين رحمه الله إذا أدخل الصبي يده في الإناء عن قصد يصير الماء مستعملاً، وإذا علم الصبي أن يده أو رجله التي أدخلها طاهرة يجوز التوضؤ بهذا الماء، وإذا علم أنها نجسة لا يجوز، أما إذا كان لا يعلم فمن الأفضل أن يتوضأ بغيره لأن الصبي لا يتجافى عن النجاسة غالبا.

في فتاوى ظهير الدين أبو اللبيب الصغير إذا جامع الصبي البالغة لا غسل عليه وعليها الغسل، قال أبو يوسف إنه يجب الغسل على من لا يدرك.

قال الفقيه أبو اللبيب الصبية إذا كانت لا تشتهي يجب الغسل على من أنزل.

في فتاوى قاضي ظهير الدين الصبي إذا قهقه في الصلاة قيل بأنه لا

ينقض وضوءه وتفسد صلاته، وقال الحاكم الكفتي والفقيه عبد الواحد يفسد وضوءه والصلاة.

الطفل إذا قاء على ثدي أمه ثم امتصه ثلاث مرات طهر، قال أبو حنيفة أنه لا يمنع الطهارة ما لم يفحش لأنه لم يتغير من كل وجه وكانت نجاسته دون نجاسة البول.

صبي بلغ السعي جلس على حجر المصلي وعليه نجاسة كثيرة لم يفسد صلاة المصلي لأن المصلي غير حامل للنجاسة.

امرأة صلت معها صبي ميت فإن لم يستهل فصلاتها فاسدة غُسل أو لم يُغسل، أما إذا استهل فإن غُسل فصلاتها تامة.

إذا صلت ومعها صبي ترضعه إن مص الثدي ولم ينزل منه لبن لا يفسد صلاتها وإن نزل فسدت صلاتها.

كره بعض المشايخ دفع المصحف واللوح الذي عليه القرآن للصبيان وأدنى السن الذي إذا بلغ الصبي احتلم كان بالغاً أثنى عشر سنة وأدنى السن إذا بلغت الصغيرة ورأت الدم كان حيضاً تسع سنين.

٣ -في مسائل الصلاة

قال رسول الله: مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً.

إذا بلغ الصبي عشر سنين يُضرب لأجل الصلاة باليد لا بالخشب ولا يجاوز الثلاث، وكذلك المعلم ليس له أن يجاوز الثلاث، قال رسول الله لمرداس المعلم: إياك أن تضرب فوق الثلاث، فإنك إذا ضربت فوق الثلاث اُقتص منك.

إذا أذن الصبي وهو لا يعقل يعاد.

للصغيرة الحق أن تصلي بغير قناع والأحسن أن تصلي بقناع.

تجوز إمامة الصبي للبالغين وقال بعض المشايخ لا يجوز لأن الصبي غير مضمون والبالغ مضمون.

الصبي الذي يعقل إذا قرأ آية السجدة أُمر أن يسجد وإن لم يسجد لم يكن عليه قضاء.

الصبي إذا كان في سفر وبلغ الحلم عليه أن يصلي الصلاة تامة غير مقصورة.

يجوز للصبي أن يخطب الجمعة ويصلي بالناس إذا عقل،وفي العيد روايتان يجوز ولا يجوز.

السلطان إذا كان صبيا فبلغ فإنه يحتاج إلى تقليد جديد.

السقط لا يصلى عليه بالاتفاق، وفي غسله اختلاف والمختار أن يُغسل ويُدفن ملفوفا بحزمة.

إذا وُلد المولود حيا ثم مات يُغسل ويُصلى عليه ويرث ويُورث ويُسمى.

إذا سُبي صبي مع أحد أبويه لم يُصل عليه لأنه تبع لهما إلا أن يقر بالإسلام وهو يعقل أو أن يسلم أحد أبويه لأنه يتبع خير الأبويين.

إذا اجتمعت جنازة الرجل والصبي والمرأة يُجعل الرجل مما يلي الإمام والصبي بعده والنساء مما يلي القبلة.

إذا ارتد الزوجان والمرأة حامل ثم مات الولد لا يُصلى عليه.

الصبي إذا أدرك في وقت الصلاة لزمه فرض الوقت ولو صلى في أول الوقت ثم أدرك في آخر الوقت أعاد الصلاة.

جارية لم تحض وقد حاضت وقد قامت في الصف فسدت صلاتها، وإذا صامت وقد حاضت لا تؤمر بالإعادة وإذا صلت بغير وضوء تؤمر بالإعادة، وإذا صلت بغير قناع لا تعيد، وإذا صلت عريانة تعيد،وفي كل موضع تعيد فيه البالغة الصلاة تعيد الجارية على سبيل الاعتياد.

٤ -في مسائل الزكاة

الزكاة لا تجب في مال الصبي وعند الشافعي تجب الزكاة كما تجب في مال البالغ.

لا خلاف أن الإيمان لا يجب على الصبي ولكن إذا أسلم يصح إسلامه، وعند الشافعي لا يصح لأنه لا يجب عليه صوم ولا صلاة ولا حج ولا جهاد.

إن نفقة زوجته ونفقة والديه ونفقة ما ملكه تجب في ماله.

إذا كان للعبد أرض عشر وخراج يجب عليه العشر أو الخراج لأن العشر أو الخراج يجب في الأرض.

تجب زكاة الفطر في مال الصبي.

لا يجوز أن يأخذ الزكاة ولد غني صغيراً كان أم كبيراً.

يجوز للمرأة أن تخرج الزكاة من مالها وتدفعها لولد زوجها الفقير.

إذا كان الرجل يعول صبيا فجعل يكسوه ويطعمه لا شك أن الكسوة تجوز بقدر القيمة وكذلك في صدقة الفطر.

يجب على الوالد صدقة أولاده الصغار إذا لم يكن لهم مال.

لا يجب على الجد صدقة الفطر عن الصغار حتى إذا كان الأب فقيرا وهو غني.

لا تجب صدقة الفطر من الولد لأبيه إلا إذا كان مجنونا.

وعليه صدقة فطر عبيده.

٥ -في مسائل الصوم

رضيع مبطون يُخاف عليه موته بهذا الداء وله ظئر يزعم الأطباء إن الظئر إذا شرب هذا الدواء يبرأ هذا الصغير وذلك في شهر رمضان، هل يباح لها الإفطار بهذا العذر؟ يجوز إذا كان الأطباء بصيرين بذلك، وهذا محمول على الطبيب المسلم دون الكافر.

الحامل والمرضع إذا خافتا على ولدهما أفطرتا وقضيتا ولا فدية عليهما.

الصبي إذا بلغ في يوم رمضان فليس عليه قضاء ذلك اليوم.

لا تقبل شهادة الصبي المراهق على هلال رمضان وتقبل شهادة العبد والمرأة.

٦ -في مسائل الحج

إذا حج الرجل بأهله وولده الصغير، قال يحرم عن الصغير من كان أقرب إليه.

الصبي الذي يحج له أبوه يقضي المناسك ويرمي الجمار إذا كان يعقل، أما إذا كان لا يعقل فإن أباه يفعل عنه ذلك.

ولو ترك الصبي بعض أعمال الحج نحو الرمي وما أشبه ذلك لم يكن عليه شيء.

الأب إذا أحرم عن ابنه الصغير وارتكب بعض محذورات الإحرام لم يلزمه شيء.

إذا بلغ الصبي في وقت لا يقدر على الحج ثم مات فإنه لا يجب عليه الحج.

إذا أصاب مالاً في وقت لا يقدر على الحج فإنه لا يجب عليه.

الصبي إذا حج مع الأب لا ينوب ذلك عن حجة الإسلام ويلزمه الإعادة.

لو خرج الصبي إلى الحج فبلغ إلى الطريق قبل الإحرام ثم أحرم وحج جاز عنه حجة الإسلام، وكذا لو جاوز الميقات بغير إحرام ثم احتلم بمكة ثم أحرم من مكة جزاه عن حجة الإسلام ولم يكن عليه المجاورة والميقات بغير إحرام لأنه لم يكن من أجل الحج ولا من أجل الإحرام عند المجاورة، فلو أحرم قبل أن يحتلم ثم احتلم قبل الوقوف بعرفة لا يجزيه عن حجة الإسلام، ولو احتلم ثم رجع إلى الميقات قبل أن يحرم فأحرم بحجة الإسلام وحج يجزيه عن حجة الإسلام.

لو بلغ الصبي وحضرته الوفاة وأوصى بأن يحج عنه حجة الإسلام جازت وصيته ويحج عنه، قال صلى الله عليه وسلم:".. وأيما صبي حج ولو عشر حجج فعليه حجة الإسلام إذا بلغ ".

وينبغي لو كان من يحرم من الصبيان أن يجرده ويغسله ويلبسه ثوبين إزاراً ورداءً ويجنبه ما يجنب المحرم، فإن فعل شيئاً من محذورات

الإحرام لا شيء عليه ولا على وليه لأن الصبي غير مخاطب، ولو أفسده فلا قضاء عليه، وكذلك إذا أصاب صيداً في الحرم.

٧ -في مسائل النكاح

الصغير والصغيرة إذا زوجا أنفسها بغير إذن الولي يتوقف ذلك على إذن الولي، فإن أجاز جاز لهما الخيار.

الصبي إذا تزوج امرأة أو باع شيئا ثم بلغ لا ينفذ ذلــك إلا بإجازتــه بعد البلوغ.

إذا تزوج صبي مراهق بغير إذن وليه امرأة ودخل بهــا فبلــغ الأب فرد نكاحها،قالوا لا يجب على الصبي الحد.

رحم الله صبية زوجت نفسها من كفء وهي تعقل النكاح ولا ولــي لها، فالعقد يتوقف على إجازة القاضي.

إذا اجتمع للصغير أو للصغيرة وليان وهما في الدرجة سواء فــزوج أحداهما جاز سواء أجاز الآخر أم لم يجز.

إذا زوج الرجل أخته وأبوها حي فمات الأب قبل الإجازة وأجاز الأخ المزوج جاز ولو سكت لم يجز.

صغيرة لها أخ لم يزوجها فزوجها القاضي بغير إذن الأخ لا يصــح النكاح إلا إذا كان الأخ غائبا أو عضلا.

صغيرة زوجها القاضي ولها ابن عم حاضــر لا يصــح لقولــه r "السلطان ولي من لا ولي له".

إذا رفعت الأمر إلى القاضي في التزويج وأبوها حي، فرأى القاضي

رغبة زوجها وإن كره الأب.

إذا كان للصغيرة والد أو جد لا يزوجها القاضي وإن كـــان الأب أو الجد فاسق ينبغي للقاضي أن يزوجها بكفء.

إذا زُوجت صبية من صبي فأدركت قبل إدراك زوجهـــا فاختـــارت الفرقة ورفعت أمرها إلى القاضي لا ينتظر كبر الزوج وكـــان للقاضـــي أن يفرق بينهما.

أقسام الخيارات:

إذا وقعت الفرقة بخيار البلوغ فإن لم يدخل بها فلا مهر لهـــا ســـواء وقعت الفرقة باختيار الزوج أو اختيار المرأة وإن دخل بها فلها المهر كـــاملاً سواء وقعت الفرقة بخيار الزوج أو الزوجة.

الأمة الصغيرة إذا زوجها مولاها ثم أُعتقـــت وهـــي صـــغيرة فلهـــا الخيار.

صغيرة زوجها غير الأب أو الجد فاختصمت بعد البلوغ وهي بكـــر فقالت اخترت الفرقة حين بلغت وكذبها الزوج لا يقبل قولهـــا إلا ببينـــة، وإن اختلف في الحال وقالت بلغت الآن وقال الزوج بل بلغت قبل هذا وسكت كان القول قولها وإن كانت سيبا وقت البلوغ لا يبطل خيارها إلا بالرضا صريحاً أو دلالة نحو التمكين وغير ذلك.

أمة صغيرة تزوجت بغير إذن الولي فأعتقها لا ينفذ العقد ويبطل.

رجل كاتب أمة له صغيرة فقبلت جازت الكتابـــة لأنهـــا مـــن أجـــل التصرف، فلو زوجها من إنسان آخر بغير إذنها لا يجـــوز لأنهـــا التحقـــت بالحرائر.

إذا زُوجت الصغيرة من غير كفء لا يقدر على مهرها ونفقتها فـــإن هذا النكاح فاسد.

تزوج صبي بصبية لها أبوان مسلمان فارتدا فلم تبن الصـــغيرة مـــن زوجها وإن لحقا بدار الحرب بانت لانقطاع حكم الدار.

٨ -في مسائل الرضاع

الأصل في إرضاع الولد الصغير قوله تعالى (وَالْوَالِـــدَاتُ يُرْضِـــعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُـــنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِـــدَةٌ بِوَلَـــدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَـــرَاضٍ مِّنْهُمَـــا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَـــيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـــيرٌ) (البقرة: ٢٣٣)، اختلف أهل العلم في هذه الآية، قال بعضهم هذا مجرد خبـــر أن الوالدات كذا يفعلن وليس فيه إيجاب الإرضاع على الأمهات. قال بعضهم فيه إيجاب الإرضاع على الأمهات وان كان بصنيعه الخير مثل قوله تعـــالى (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ) (البقرة:٢٢٨) هنا لا يجب علـــى الزوجة أن تأخذ الأجر على الرضاعة لأنها تجب عليها دينـــا وان كانـــت لا تُجبر على ذلك.

قال أصحابنا لا تُجبر الأم على إرضاع ولدها لأن الإرضاع بمنزلـــة النفقة ونفقة الأبناء تجب على الآباء لا على الأمهات.

إذا كان للفقير أولاد صغار وجد ميسر لا تُفرض النفقة على الجد لأن النفقة لا تجب إلا على الأب، ولكن يؤمر الجد بالإنفاق صـــيانةً لولـــد الولـــد وكان ذلك ديناً على والد الصغار.

صغير له أم موسرة وله أخوان ميسران أخ لأب وأخ لأم، كانت نفقة الصغير على الأم والأخ لأب وأم أسداساً، السدس على الأم والخمسة أسداس على الأخ لأب وأم اعتباراً بالميراث.

صغير له أم موسرة وجد موسر كانت النفقة أثلاث الثلثان علـــى الأم والثلث على الجد، هذا قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٩ - في مسائل الطلاق

إذا كانت المرأة لا تحيض من صغر أو كبر فأراد أن يطلقها طلقهـــا مرةً واحدةً، فإذا مضى شهر طلقها أخرى، لأن الشهر في حقها قـــائم مقـــام الحيض، قال الله تعالى " واللائي لم يحضن " فإذا كـــان الطـــلاق فـــي أول الشهور يعتبر بالشهور،وإن كان في وسط الشهور فبالأيام حتى توفي العدة.

لا يقع طلاق الصبي لقوله r كل طلاق جـــائز إلا طـــلاق الصـــبي والمجنون.

إذا طلق الصبي امرأته فلا يقع الطلاق حتى يبلغ، فإن قـــال أوقعـــت هذا الطلاق صار واقعاً.

١٠ - في مسائل القصاص

كل من ملك شخصاً لا يجوز له نكاحه على التأبيـــد بســـبب القرابـــة كالأخ والأخت والعم والخال يعتق عليه صغيراً كان المالك أو كبيراً.

لا يجوز عتق الصبي والمجنون والنائم لأنه إبطال الملك.

رجل استولد جارية ولده تصير أم ولد له ويغرم قيمتها.

إذا تزوج الرجل جارية ولده الصغير فولدت منه لها تصير أم ولـــده

ويعتق الولد بالقرابة.

إذا أراد الرجل أن يطأ جاريته فلو ولدت له يبيعها من ولده الصـــغير ثم يتزوجها.

غلام صغير في يد إنسان لا يعبر عن نفسه فقال هذا عبدي، فـــالقول قوله، فإن أدرك الغلام وقال أنا حر فلا يقبل قوله إلا إذا أقام البينة.

رجل كاتب عبداً له صغيراً فإن هذه المكاتبة تجوز ولو أذن له فـــي التجارة تصح.

١١ - في مسائل الأيمان

رجل حلف ألا يتزوج امرأة فتزوج صبية حنث في يمينه، ولو حلف ألا يكلم امرأة فكلم صبية لم يحنث وذلك لأن النكاح لا يكون إلا في المرأة.

١٢ - في مسائل الحدود

رجل زنى بصبية يجب عليه الحد ولو وطئ جاريةً صـــغيرةً بنـــت خمس سنين.

الصبي إذا زنى بصبية وأزال بكارتها لا حد عليه وعليه المهر فـــي ماله لأنه مُؤاخذ بأفعاله وإذنها لم يصح، وإن كانت بالغة مســـتكرهة فكـــذلك، وإن كانت مطاوعة لا يجب عليه المهر لوجهين، الأول أن رضاها مُعتبر في إسقاط حقها، والثاني لو ضمن يرجع ولي الصبي عليها كمن أمر صبياً بشيء فلحقه غرم يرجع وليه على الآخر.

الصبي إذا زنى بصبية يجب المهر في ماله لأنه مؤاخذ بأفعاله.

الصبية إذا دعت صبياً إلى نفسها فأذهب عذرتها فعليه المهر.

والحرة إذا دعت صبياً فزنى بها لا يضمن مهرها وإن كانت أمة يضمن لأن أمر الأمة لا يصح.

صبي تزوج امرأة بغير إذن المولى فدخل بها فلم يجز المولى النكاح لا يجب عليه المهر.

١٣ - في مسائل السرقة

لو سُرق حر صغير لا يُقطع لأنه ليس بمال ولو كان عليه حلي يبلغ ما بها كثيراً لا يقطع أيضا لأنه تبع للصبي فلا يجب القطع بما هو تابع.

ولو أنه كان يعلم أن عليه حلياً بخلاف ما إذا سرق ثوباً خلقاً على جانبه دراهم تبلغ مالاً كثيراً والثوب لا يساوي عشرة دراهم، إن كان السارق لا يعلم بذلك لا يُقطع لأن قصده سرقة الثوب وليس الدراهم ولو كان يعلم قُطع لأنه إذا علم فمقصوده الدراهم بخلاف الصبي.

ولو سرق عبد صغير لا يُقطع بلا خلاف حتى لو كان يعبر عن نفسه.

لو سرق غلام صغير لا يعقل ولا يعبر عن نفسه قال أبو حنيفة يُقطع وقال أبو يوسف لا يُقطع استحساناً في باب الإقرار بالسرقة.

وإذا أقر الرجل السرقة من المجنون أو الصبي أو اخرس لا يُقطع لأن هذه السرقة غير موجبة للقطع في حقه.

قوم سرقوا وفيهم صبي أو مجنون لا قطع عليهم عند أبي حنيفة ومحمد وزفر، وقال أبو يوسف إذا كان الصبي هو الذي أخرج المتاع لا قطع عليهم وإن كان وليه الكبير قُطع. وكذلك قطاع الطريق إذا كان فيهم صبي أو مجنون أو معتوه أخر من درء الحد عنهم جميعا في قول أبي حنيفة.

١٤ - في مسائل السر

ذكر عن عطاء أن جده كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما: " هــل للعبد في المغنم نصيب وهل كن للنساء يحضرن الحرب مـــع رســـول الله r ومتى يجب للصبي سهم في المغنم وعن سهم ذوي القربى " فكتب إليـــه ابـــن عباس: " أنه لا حق للصبي في المغنم وأنه يوضح له أن النساء كن يحضرن مع رسول الله يدوين الجرحى ويضع لهن ولا حق للصبي في المغـــنم حتـــى يحتلم، وكتب إليه في سهم ذوي القربى أن عمر رضي الله عنه عرض علينا نخرج من الخمس وأن نقض به عن مغرمٍ فأبينا عليه ذلك إلا أن يسلمه لنـــا فأبى ذلك علينا ".

مسلم دخل دار الحرب بأمان فاشترى صبياً منهم أو صبيةً فأعتقه ثـــم استولى عليه المسلمون وخرج المسلم إلى دار الإســـلام فإنـــه يكـــون فيئـــاً للمسلمين.

إذا أسلم الحربي في دار الحرب ثم ظهر المسلمون على تلـــك الـــدار وجعلوها دار الإسلام، فأولاده الصغار وما في يده من المتاع لا يكون فيئـــاً، وأولاده الكبار وزوجته وما ليس في يده من متاع يكون فيئاً.

إذا آمن الصبي قوماً من دار الحرب، إن كان مأذوناً له بالقتال يصح عندنا ولا يصح عند الشافعي وإن كان محجوراً وهو عاقل يصح عند محمـــد دون غيره، وأمان الذمي لا يصح وأمان العبد المحجور لا يصح، أما العبـــد المأذون له بالقتال يصح بلا خلاف وأمان المرأة جائز وكذلك المقعد والمزمن جائز أيضا.

وإذا ارتد الأبوان ولحقا بولدهما الصغير بدار الحرب ثـــم اســـتولى المسلمون عليها فالولد صار مولاياً لهما والصغير المرتد يُســـترق، أمـــا إذا

بقيت الأم في دار الإسلام مسلمة لا يكون الولد فيئاً لأن الولد يبقى مسلما تبعا لأمه وكذلك لو ماتت الأم في دار الإسلام لم يكن الولد فيئاً لأنها لما ماتت بقي إسلامها حكماً وكذا لو كانت الأم ذمية نصرانية وقد بقيت في دار الإسلام لا يكون الولد فيئاً لأن الولد وإن صار مرتداً تبعاً لأبيه لكنه بقي ذمياً، وكذلك لو كان الأب ذمياً ناقض العهد لا يكون الولد فيئاً لأنه يبقى ذمياً تبعاً لأمه، وكذلك لو ارتد الأبوان ولحقا بدار الحرب والولد ههنا فإنه يكون مسلماً تبعاً للدار.

وإذا وُلد للمرتد ابن في دار الحرب ولد ثم ولد الولد ولداً ثم ظهر المسلمون عليهم يكون ولد الأولاد كلهم فيئاً.

إذا ارتد الغلام المراهق عن الإسلام صحت ردته عند أبي حنيفة ومحمد ولا تصح عند أبي يوسف.

وإذا ارتد الصبي المراهق فإن أُدرك كافراً لا يُقتل ولكنه يُحبس.

أما إسلام الصبي العاقل يصح عندنا بلا خلاف في أحكام الدنيا والآخرة جميعاً ووجه قول أصحابنا أن رسول الله r دعا علياً إلى الإسلام وهو ابن سبع سنين فأسلم وحسن إسلامه وكان يفتخر بإسلامه في صغره ويقول: سبقتكم إلى الإسلام وأنا طيرا غلاما ما بلغت الحلم".

إذا سُبي الصبي من دار الحرب وأُخرج إلى دار الإسلام دون أبويه ثم مات قبل أن يعقل الإسلام صُلي عليه لأنه لو لم يكن معه أبواه أو إحداهما كان تبعاً للدار فيكون مسلماً بالدار فيُصلى عليه، وإن كان معه أبواه أو إحداهما فلا يُصلى عليه لأنه تابع لأبويه في الدين.

يجب الخراج في أرض النسوان والصبيان والمجانين لأن عمر

وظف الخراج في جميع الأراضي ويؤخذ من أرض الصبي.

الجزية إنما تُوظف على الرجال ولا تُوظف على الصبيان والنسوان، هكذا فعل عمر إذ قال: " من قتل قتيلاً فله سلبه ومن قتل صبياً لم يبلغ الحلم فليس له سلبه " وروي عن الضحاك أن رسول الله r قال:" لا تقتلوا وليدا ولا نساء ولا الشيخ الكبير..." الوليد هنا ينطبق على الصغار إذا كانوا لا يصلحون للقتال ولا يقدرون على الصياح عند التقاء الصفين ولا يكونون رؤساء الجيوش، فإذا ما كانوا كذلك يُقتلون.

إذا سبي المسلمون صبيان أهل الحرب وهم بعد في دار الحرب، فدخل آباؤهم الإسلام فأسلموا فأبناؤهم صاروا مسلمين بإسلام آبائهم وإن لم يخرجوا إلى دار الإسلام.

لو دخل دار الإسلام ذمي ثم سبي ابنه لا يصير الابن مسلما بالدار.

ومن دخل دار الحرب بأمان وسرق صبيا وأخرجه إلى دار الإسلام، فالصبي مسلم.

إذا اشترى رجل صبيا في دار الحرب وأخرجه إلى دار الإسلام فهو على دين هذا الرجل.

١٥ - في مسائل الكراهة

الصبي أو المعتوه إذا أخذ بنجاسة المكان لا تثبت النجاسة بقوله لأنه لقلة عقله قد يكذب فلا يترجح صدقه على كذبه، ولهذا لم يُقبل خبر الصبي والمعتوه في الأحكام، فإن أحداً من الصبيان أو المعتوهين لم يرو عن رسول الله r حديثاً ومع هذا ينبغي أن ينظر ويحكم فيه، فإن وقع عنده أنه صادق لا يتوضأ وإن وقع أنه كاذب يتوضأ.

صبي عاقل في يده شيء يبيعه لا ينبغي لغيره أن يشتريه منه ما لم يسأله عن لماذا يبيعه، لأن الصبي لا يملك البيع إلا بإذن الولي، فإن قال أُذن لي أبي يحكم فيه، فإن وقع أنه صادق اشتراه منه وإلا فلا، أما في الهبة إذا كان يهب ذلك المال ويقول أبي أذن لي بالهبة لا يجوز له أن يقبله لأنه لا يملك ذلك بإذن الأب ويجوز قبول ذلك في الهدية.

إذا مات رجل بين النساء وليس فيهم زوجته لا يباح لهن أن يغسلنه وإذا كان فيهن جارية صغيرة ولا تشتهي يعلمها الغسل حتى تغسله لأن الصغيرة التي لا تشتهي يباح لها أن تمس جميع أعضاء الرجل الأجنبي.

لو كان الميت صغيراً لا يشتهي لا بأس للنسوان أن يغسلنه.

إذا ماتت المرأة بين الرجال لا يُباح لرجل منهم أن يغسلها وإن كان فيهم صغير لا يشتهي يعلموه الغسل حتى يغسلها.

الصغيرة إن كانت لا تشتهي يُباح مسها والنظر إليها لانعدام خوف الفتنة.

يكره أن يلبس الذكور من الصبيان الذهب والحرير.

وقت الختان اثنتا عشرة سنة وقال بعضهم إذا بلغ سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين وبعضهم عشر سنين وبعضهم لم يوقتوا وقتاً معلوماً وقالوا إذا كان الصبي يطيق ألم الختان يُختتن وإلا فلا لأنه من جملة السنن.

لا بأس للجارية الصغيرة أو الكبيرة أن تخضب أما الصبي فلا ينبغي أن يخضب يده أو رجله.

اُختلف في التسليم على الصبيان، قال بعضهم لا يسلم عليهم وقال بعضهم التسليم عليهم أفضل.

الجوز الذي يلعب به الصبيان يوم العيد يؤكل لما رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يشتري الجوز للصبيان يوم الفطر يلعبون به ويأكل منه وهكذا فعل علي ما لم يكن على سبيل المقامرة.

لا بأس بثقب أذن الطفل من البنات لأنهم كانوا يفعلون ذلك في زمـــن النبي r من غير إنكار.

لا بأس بكي الصبيان إذا كان لداء أصاب الصبيان لأنه مداواة.

استفادة الأب من حسنات الابن روي عن ابن مالك رضي الله عنـــه قال: من جملة ما ينتفع به المرء بعد موته أن يترك ولداً علمه القرآن والعلـــم فيكون لوالده أجر ذلك من غير أن ينقص من أجر الولد شيئا.

١٦ - في مسائل اللقيط

اللقيط اسم للولد الذي يُوجد على قارعة الطريق أو فـــي المغـــارة أو على باب المسجد لا يُعرف أبوه أو أمه، ورفع اللقيط أفضل من تركه بخلاف اللُقطة فإن تركها أفضل من أخذها.

إذا غلب عليه ظن ضياع اللقيط فوجب عليه رفعه، ثم اللقـــيط حـــر ونفقته من بيت المال والملتقط متبرع بالإنفاق عليه لعدم الولاية إلا أن يـــأمره القاضي ليكون دينا عليه لعموم الولاية، وإذا أبى الملتقِط أن ينفق على اللقـــيط وسأل القاضي أن يقبله منه وأقام البينة أنه لقيط فقبضه القاضي ووضعه على يد رجل وامرأة أن ينفق عليه على أن يكون ذلك دينا على اللقيط.

حدود اللقيط كالحر المسلم لأنه حر ويحد قاذف اللقيط في نفســـه ولا يحد قاذف أمه.

إذا وجد اللقيط في مصر من أمصار المسلمين يحكم بإسلامه ســـواء

أكان الواجد مسلما أو ذميا، ولو وجد في بيعة أو كنيسة أو في قرية من قرى أهل الذمة يحكم بكونه ذميا سواء أكان الواجد مسلما أو ذميا.

١٧ - في مسائل الإباق

إذا كان العبد الآبق ملكا لصبي فرده رجل من مسيرة ثلاثة أيام فصاعداً فيجب الجُعل في مال الصبي لأن المنفعة حصلت له فكان كما إذا عمل له أحد بأجر.

الوصي إذا جاء بالعبد الآبق لليتيم فلا جعل له لأن الرد عليه وكذلك الذي يعول اليتيم لأن الرد عليه أيضا.

إذا رد السلطان عبد الصبي والبالغ فلا يجب الجُعل لأنه فعل ما هو واجب عليه.

١٨ - في مسائل الغصب والضمان

الصبي المغصوب إذا وقع في الماء وغرق يضمن الغاصب بخلاف صبي الوديعة.

لو غصب من الصبي شيء ثم رُد عليه، إن كان الصبي من أهل الحفظ وإلا فلا.

١٩ - في مسائل العارية

ليس لوالد الصغير أن يعير متاع ولده الصغير، فالوالدية أن يعير ولده الصغير وليس له أن يعير ماله.

٢٠ - في مسائل الهبة

إذا أراد الرجل أن يفضل بعض ولده في الهبة في حال الصحة روي

عن أبي حنيفة أنه لا بأس به إذا كان التفضيل بسبب زيادة فضل له في الدين، فإن كانوا سواء يُكره، قال أبو يوسف لا بأس به إذا لم يرد الإضرار بالآخر.

إذا كان له ولد فاسق لا ينبغي أن يعطيه أكثر من قوته كي لا يصير معيناً له على المعصية.

٢١ - في مسائل الإيجارات

إذا أجر الأب أو الجد أبو الأب الصبي في عمل من الأعمال فهو جائز لأنه له ولاية استعمال الصغير.

٢٢ - في مسائل الشُفعة

الصغير والكبير في مسائل الشُفعة سواء.

٢٣ - في مسائل المضاربة

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أعطى مال يتيم مضاربة فعمل بذلك في العراق.

٢٤ - في مسائل المزارعة

من دُفع إلى صبي أرض للمزارعة على أن البذرة من قبل الصبي كانت المزارعة فاسدة والزرع كله للصبي ولا يضمن نقصان الزراعة لأن النقصان حصل بسبب تسلط رب الأرض.

إذا دفع الحر إلى الصبي المحجور عليه أرضاً وبذراً مزارعةً بالنصف فخرج الزرع وسلم العامل من العمل، فالخارج بينهما على ما شرطا.

٢٥ - في مسائل الرهن

يجوز للأب أن يرهن عبداً لابنه الصغير لأنه يملك الإيداع.

٢٦ - في مسائل الصلح

إذا كان للصبي دار فادعى رجل فيه دعوى فصالحه أبوه على شيء من مال الصغير، فهذا على وجهين، إذا كان للمدعي بينة على دعواه وكان ما أعطاه الأب من مال الصبي مثل حق المدعي أو أكثر منه قيمة مقدار ما يتغابن عليه الناس فيه جاز لأنه بمنزلة البيع ويجوز بيع الأب بمقدار قيمته أو بزيادة قليلة، وإذا لم يقم المدعي بينة لا يجوز أن يصالحه إلا أن يصالح من مال نفسه.

٢٧ - في مسائل الوكالة

إذا كان الأب وكيلاً يبيع ضياع الصبي ومات الأب بطلت الوكالة.

٢٨ - في مسائل الكفالة

إذا كان الصبي لا يعبر عن نفسه لا تتوقف الكفالة على قبول وليه عند أبي حنيفة ومحمد، قال محمد لا يجوز كفالة الصبي سواء لأن الصبي محجور عليه أو مأذونا له في التجارة، وسواء أذن له أبوه في الكفالة أم لم يأذن له لأن إذن الأب للصغير باطل لأنه أذن بما هو تبرع والتبرع غير داخل تحت ولاية الأب.

٢٩ - في مسائل الحوالة

قال محمد الصبي التاجر في الحوالة مثل البالغ وقال برهان الدين محجور عليه.

٣٠ - في مسائل المأذون

قال محمد إذن الرجل لابنه في التجارة وهو يعقل البيع والشراء جائز ويصير الصبي مأذوناً له في التجارة، وكذا الوصي إذا أذن للصغير في التجارة وهو يعقل البيع والشراء.

٣١ - في مسائل الحجر

الأسباب الموجبة للحجر الصغر والرق والجنون فلا يجوز تصرف الصبي إلا بإذن وليه ولا يتصرف العبد إلا بإذن سيده.

٣٢ - في مسائل الشهادات

شهادة الوصي لابن الميت بدين على الميت هل يقبل إذا كان الابن صغيراً لا يُقبل بالاتفاق وكذلك إن كان الابن كبيراً.

٣٣ - في مسائل الدعوى

لو ادعى رجل على صغير شيئاً وله وصي حاضر والصبي محجور عليه فإن ذلك لا يشترط حضور الصبي الصغير.

٣٤ - في مسائل الإقرار

في إقرار الأجل، رجل أقر أنه كان أقر وهو صبي لفلان بألف درهم، وقال الطالب لا، بل أقررت بها بعد البلوغ، فالقول قول المقدم مع يمينه لأنه أضاف الإقرار إلى حالة معهودة منافية للضمان.

٣٥ - في مسائل دعوى النسب

عبد صغير في يد إنسان وجاءت امرأة وادعت أنها مسلمة وهذا الصغير ولدها وهو حر ووُكل الرجل وكيلاً فأُقيمت البينة على الوكيل، هنا

يُسمح بالعتق ولا يُسمح بالنسب، فإذا قال هو ابن عبدي فلان الغائب يُنسب له.

٣٦ - في مسائل الإكراه

وصي أخذه السلطان الغالب فطلب بعض مال اليتيم فإن أعطى فهو ضامنه، قال الفقيه أبو الليث إن خاف الوصي على نفسه القتل أو إتلاف عضو من أعضائه فدفع فلا ضمان عليه، وإن خاف على نفسه الحبس أو القيد فدفع فهو ضامن، وإن خاف أن يأخذ ماله وبقي له قدر الكفاية لا يحل له أن يدفع مال اليتيم ولو دفع فهو ضامن.

٣٧ - في مسائل الجبايات

الصبي كالبالغ في دية النفس وأطرافه إذا كان لها منفعة مقصودة تفوت بقطعها كاللسان واليد والرجل وأشباه ذلك، وما كان في تفويته تفويت الجمال دون المنفعة كالأذن الشاخصة ففيها الدية كاملة من غير تفصيل.

٣٨ - في مسائل الأمر بالجباية على الغير

رجل حر أمر صبياً حراً بقتل رجل فقتله، فعلى عاقل الصبي الدية في ثلاث سنين ثم عاقل الصبي يرجع بما لزمهم على عاقله الآخر الذي أمره بالقتل.

٣٩ - في مسائل الذبائح والأضحية

ذبيحة الصبي والمجنون والمرأة حلال إذا كان يعقل ويضبط، أما إذا كان لا يضبط و لا يعقل التسمية والذبيحة لا تحل لأن التسمية على الذبيحة شرط بالنص.

٤٠ - في مسائل الوقف

إذا وقف على يتامى بني فلان فإن وقف في حياتــه وصــحته وهــم يحيون لا يجوز، وإن كان بعد الموت يجوز لأنه يصير ميراثاً وإن كــانوا لا يحصون في حال الحياة وبعد الممات يجوز لأنه مؤيد في وقف العدة.

٤١ - في مسائل الوصايا

وصية الصبي لا تجوز وإن أضافها إلى ما بعد البلوغ وإن مات قبل البلوغ أو بعده بطلت هذه الوصية، ولو أوصى في حال صــغره بوصــية لا تجوز إلا إذا أجاز ذلك بعد البلوغ فحينئذ تصــح وتكــون إجازتــه بمنزلــة الابتداء.

٤٢ - في مسائل الفرائض

من شرائط القتل الذي يتعلق به حرمان الميراث أن يكــون المباشــر للقتل مخاطباً حتى أن الصبي والمجنون إذا قتل مورثه لا يُحرم من الميــراث لأن حرمان الميراث عقوبة وهما ليس من أهل العقوبة.

<u>**المضامين التربوية الموجودة في المخطوطة:**</u>

حيث إن هذه المخطوطة من المخطوطات التي تناولت موضوع الفقه على المذهب الحنفي، فقد تناولت قدراً كبيراً من القضــايا الموجــه للصــبي ووليه، ومن هنا فهذه المخطوطة يجب أن يقرأها كل من الصــغار والكبــار على السواء لاحتوائها على أحكام مطالب الكبار بتنفيذها في حق الصغار.

ولقد بدأت المخطوطة بتناول قضية قيام الصــغير بالتحــديث عــن المحدثين ما سمعه منهم، وهل يعتبر تحديثه ثقة وبينت أن الصحابة كان فــيهم من يروي الحديث وهو صغير، ثم انتقلت المخطوطة إلى مسائل الطهــارات

والصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والرضاع والطلاق والقصاص والأيمان والحدود والسرقة والسر والكراهة واللقيط والإباق والغصب والضمان والعارية والهبة والإيجارات والشفعة والمضاربة والمزارعة والرهن والصلح والوكالة والكفالة والحوالة والمأذون والحجر والشهادات والدعوى والإقرار ودعوى النسب والإكراه والجبايات والأمر بالجباية والذبائح والأضحية والوقف والوصايا والفرائض، فهذه المسائل موجه للصبيان ويُسال الكبار عن تنفيذ هذه الأحكام على الصغار.

ولقد عمدت في تقديم تلخيص هذه المخطوطة إلى تجنب القضايا الفرعية التي تتفرع إلى تفريعات كثيرة " مثل قضية مسئولية الأب عن الإنفاق على إرضاع طفله ودفع تكلفة الرضاعة للأم وإذا كان الأب فقيراً فالإنفاق على الجد وإذا كان الجد فقيراً فيكون الإنفاق على العم وإذا كان العم فقيراً فيكون الإنفاق على أبناء العمومة وهكذا إلى إن ينتهي الأمر أن يكون الإنفاق على النساء " فشأن هذه المخطوطة شأن كتب الفقه الحنفي التي تتفرع في مسائل افتراضية لا وجود لها إلا نادراً حتى قالوا عن الفقه الحنفي أنه فقه يتعرض لما يُفترض وليس لما هو موجود في الواقع. ولقد عرضت لتلك المخطوطة كنموذج للأدب الفقهي الذي كان يقدم للطفل في تلك العصور الإسلامية، ولعلنا نحتاج لأدبيات في الفقه الإسلامي توجه للطفل بالذات حتى يكون عالما بأحكام الإسلام المطلوبة منه في هذا السن وبذلك يسلك سلوكا إسلاميا موافقا لتلك الآداب الإسلامية، وطبيعي أن تقدم تلك الأدبيات الفقهية بأسلوب مختلف يناسب العصر ومعطيات الدراسات التربوية والنفسية حول الطفل.

خاتمة البحث

بعد استعراض بعض المخطوطات التي تشتمل على ألوان مختلفة من الأدب المقدم للطفل في عصور الازدهار الإسلامي، فقد أتضح أن هذا الأدب قد أشتمل على ألوان متعددة من الثقافة الإسلامية، كما أشتمل أيضا على ألوان متعددة من الثقافة العلمية والطبية، وبذلك لم يكن الطفل محدود الثقافة بل كان متعدد الثقافة العلمية والأدبية معا. ولعل دراسات قادمة في هذا التراث تكون أكثر شمولا لتوضح هذا الجانب: الأدب الموجه للطفل بين الثقافة الأدبية والثقافة العلمية، وهو ما يحتاجه الطفل المعاصر بشدة وخاصة في عصر الانفجار المعرفي العلمي. وبحرمان الطفل المعاصر من هذا الأدب الشامل لثقافة العلم فإننا نحرم الأمة من أهم أسباب نهضتها وتفوقها العلمي الحديث.

ملاحق البحث:

قام الباحث بعمل مسح شامل للمخطوطات الموجودة في دار الكتب المصرية ومكتبة الإسكندرية وحصر المخطوطات المتعلقة بأدبيات الطفولة وقام بعمل تصنيف موضوعي لها فكانت على النحو التالي:

<u>مخطوطات دار الكتب المصرية:</u>

مخطوطات دار الكتب المصرية موجودة في ٢٧ مجلد حجم الورقة ٢٠/٣٠ سم وهي مرتبة أبجديا حسب عنوان المخطوطة وهي على النحو التالي:

حرف (أ) من صفحة ١ -٢٤٥، حرف (ب) من صفحة ٢٤٧ -٣٠٧، حرف (ت) من صفحة ٣١١ -٥٣٥، حرف (ث) من صفحة ٥٣٨ -٥٤٤، حرف (ج) من صفحة ٥٤٧ -٦٢٩، حرف (ح) من صفحة ٦٣٢ -٨٠١، حرف (خ) من صفحة ٨٠٤ -٨٣٢، حرف (د) من صفحة ٨٣٥ -٩٣٩، حرف (ذ) من صفحة ٩٤٤ -٩٥٤، حرف (ر) من صفحة ٩٥٧ -١١٣١، حرف (ز) من صفحة ١١٣٧ -١١٥٥، حرف (س) من صفحة ١١٥٨ -١٢٠٣، حرف (ش) من صفحة ١٢٠٦ -١٥٠٥، حرف (ص) من صفحة ١٥٠٨ -١٥٢٤، حرف (ض) من صفحة١٥٢٧ -١٥٣٤، حرف (ط) من صفحة ١٥٣٧ -١٥٦٠، حرف (ظ) من صفحة ١٥٦٣ -١٥٦٤، حرف (ع) من صفحة ١٥٦٧ -١٦٣٢، حرف (غ) من صفحة ١٦٣٥ -١٦٦٢، حرف (ف) من صفحة ١٦٦٥ -١٧٨٥، حرف (ق) من صفحة ١٧٨٨ -١٨٤٦، حرف (ك) من صفحة ١٨٤٩ -١٩٥٦، حرف (ل) من صفحة ١٩٥٩ -١٩٩٣، حرف (م) من صفحة ١٩٩٦ -٢٤٠٥، حرف (ن) من صفحة ٢٤٠٨ -٢٥١٥، حرف

(هـ) من صفحة ٢٥١٦ - ٢٥٣٤، حرف (و) من صفحة ٢٥٣٧ -٢٥٦٢، حرف (ي) من صفحة ٢٥٦٥ -٢٥٦٩.

ومن خلال تعداد عدد المخطوطات الموجودة في كل صفحة اتضح أن كل صفحة تحتوى بين ١١مخطوطة إلى ٢١مخطوطة، وبالتالي يمكن القول أن هذه المخطوطات تتراوح بين ٣٠ ألف إلى ٣٥ ألف مخطوطة، ومن خلال استعراض أسماء هذه المخطوطات تبين وجود ٦٣ مخطوطة لها علاقة مباشرة بتربية الطفل.

مخطوطات مكتبة الإسكندرية:

تم فهرسة جزء من مخطوطات مكتبة الإسكندرية في خمسة أجزاء على النحو التالي: الجزء الأول؛ المخطوطات العلمية (الطبيعيات – الرياضيات – الفلك – الطب) عام ١٩٩٦م ويتضمن عدد ٤٠٨ صفحة تتحدث عن ٤٦٨مخطوطة، والجزء الثاني (التصوف وملحقاته) عام ١٩٩٨م ويتضمن ٣٨٤ صفحة تتحدث عن ٤٠٧مخطوطة، والجزء الثالث (التاريخ وملحقاته) عام ١٩٩٩م ويتضمن ٢٨٦صفحة تتحدث عن ٣٠٧مخطوطة، والجزء الرابع (المنطق) عام ٢٠٠١م ويتضمن ١٩٤صفحة تتحدث عن ٢٤٠مخطوطة، والجزء الخامس (الحديث) عام ٢٠٠١م ويتضمن ٣٩٤صفحة تتحدث عن ٤٤٨مخطوطة.

هذه عدد الأجزاء التي تم فهرستها في مكتبة الإسكندرية، أما باقي العلوم الموجودة في المكتبة فمازالت مكتوبة بخط اليد في سجلين، وهي على النحو التالي: قرآن كريم (٥١ مخطوطة) القراءات والتجويد (١٨٥مخطوطة) تفسير (٢٣٨ مخطوطة) أصول الفقه (٣٦٢ مخطوطة) فقه الإمام أبى حنيفة (٣٧٠ مخطوطة) فقه الإمام مالك (٥٤ مخطوطة) فقه الإمام الشافعي (١٧٨

مخطوطة) فقه الإمام أحمد بن حنبل (١٧ مخطوطة) علم فـرائض المـذاهب الأربعة (٨٨ مخطوطة) التوحيـد (١٧٧ مخطوطـة) أصـول الـدين (٣٧ مخطوطة) العقائد (١٠ مخطوطـات) الفـرق الإسـلامية (٣٥ مخطوطـة) المواعظ والأخلاق (١٦٦ مخطوطة) والفوائد والأدعية (٨٤ مخطوطة) النحو (٢٨٣مخطوطة) اللغة (٧٢مخطوطة) الوضـع (٦مخطوطـات) التصـريف (٤٩) والعروض والقوافي (١٧ مخطوطة) الأدب (٣٤١مخطوطـة) فنـون متنوعة (٢٦٧مخطوطة) الجغرافيا (٥٣مخطوطة) التـراجم (٧مخطوطـات) الرحلات (١٠مخطوطات) الأنساب (٣مخطوطات) الأحلام (٢ مخطوطـة) لغات شرقية (٣مخطوطات) موازين (١مخطوطة) فهـارس (١مخطوطـة) الآثار (٣مخطوطة) التنجيم (٢٤مخطوطة) صناعات (٣مخطوطـات) آداب البحث والمناظرة (٣٨مخطوطة) الحكمة والفلسفة (٣٩مخطوطة)علم الـنفس (٢ مخطوطة) شعائر (١٢مخطوطة) الكلام (١٩مخطوطة) علوم اجتماعيـة وسياسية (٨ مخطوطات) حروف وأسماء (٢٨ مخطوطة) الميقات والتقـويم (٥٣ مخطوطات) الموسيقى (١٠ مخطوطات).

وبهذا يكون إجمالي المخطوطات الموجودة بمكتبة الإسكندرية ٥٤٢٠ مخطوطة موزعة على ٤٨ علم، ومـن خـلال اسـتعراض عنـاوين هـذه المخطوطات تبين أن ٢٣ مخطوطة لها علاقة مباشرة بتربية الطفل.

ومن خلال استعراض المخطوطات الموجودة بكل من " دار الكتـب المصرية " و " مكتبة الإسكندرية "أتضح أن المخطوطات التي تهـتم بالطفـل تهتم بالعلوم التالية:

أولا: علم القراءات

٢ -إعانة الصبيان على عمدة البيان (هو شرح لأرجوزة في التجويد).

لم يعلم المؤلف،٣٠ ص (تفسير تيمور ٦٣٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ - تنبه الصغار عن ما خفي من على بعض الأفكار في رواية الإمام حفص بن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية.

علي الميهي الشافعي (كان موجودا ١٣١٤هـ) ٣٨ق (ب ١٩١٦٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ - رسالة في كيفية تعليم الأطفال القرآن العظيم.

تأليف المصري ٥ ق (ي ٨٢٥٨) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٥ - فتح الأقفال بشرح تحفة الأطفال.

سليمان الجمزوري (كان حيا ١١٩٨ هـ)١٢ ق (ب ٣٨٠٥٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ - فتح الملك المتعال بشرح تحفة الأطفال.

محمد بن علي بن عمر ٤٤ ق خط ١٢٦٢ هـ (قراءات طلعت ١٤٩)(مخطوط دار الكتب المصرية)

٧ - مرشد الصبيان في رسم القرآن.

لم يعلم المؤلف. ١٩ ق خط ١١٧٣ هـ (قراءات ٥٩٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٨ - هداية الصبيان لفهم بعض مشكل القرآن.

علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي الميهي البصير (- ١٠٢٤ هـ)
٦ ق (قراءات ٦٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

من الملاحظ أن هذه المخطوطات المتعلقة بعلم القراءات الموجهة للأطفال هي حديثة نسبيا، فأقدم هذه المخطوطات هي مخطوطة "الأجرومية " لمحمد بن محمد ابن داود الصنهاجي أبو عبد الله المعروف بابن آجروم (٦٧٢ - ٧٢٣هـ) فهو من علماء القرن السابع والثامن، أما موضوعات هذه المخطوطات فقد اهتمت بالتجويد ورسم المصحف، مع أن هذا العلم من العلوم الأولى التي ظهرت في الحضارة الإسلامية، فتأخر المخطوطات الموجه للأطفال يحتاج إلى بحث آخر يفسر هذه الملحوظة.

ثانيا: سلوكيات وأخلاقيات:

١ - آداب الأكل والشرب والعشرة والملبس والمنام ودخول الحمام وعشرة النساء وآداب تربية الأولاد والخدم.

محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري زين الدين (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ)٤٠ ق (تصوف ٣٠٨٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ - آداب الفتاة.

علي فكري محمد عبد الله (١٢٩٦ – ١٣٧٢ هـ)٧١ ص (ز ١٣١٢)
(مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ - إخلاص الوداد في نصيحة الأولاد.

محمد الإسكندري المالكي٨٣ ق (تصوف طلعت ٨٧٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ - إرشاد الولد فيما يجب لكل أحد.

محمد عاقل بن محمد كاشف البخاري (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) ١١٥ ق خط ١٢٨٤ هـ (أدب ٧٥٥٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٥ - بغية الآمال في تربية الأطفال.

ميخائيل نصر الله مدور البيروني. ١٣٢ ق (طب طلعت ٥٧٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ - بلغة المراد من التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد.

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن علي الديري الدمياطي الشافعي (- ١١٤٠ هـ) ٤٢ ق (تصوف ٣٦٩١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٧ - تأديب الأقوال وتهذيب الأعمال وتربية البنات.

محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق شمس الدين أبو علي الكتاني الدمشقي (٨٧٨ - ٩٣٣ هـ) ٢٦ ق (ب ٢٣٢٤٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٨ - تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال.

أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري شيخ الإسلام (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ) ٢٠ ق (تصوف ٩٧٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٩ - تحفة البيان في آداب الفتيان من لطائف علماء اليونان.

لم يعلم المؤلف. ٣٤ ق (تربية وتعليم ١٢٧٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٠ - الحكاية المستطابة من ديوان الصباية.

لم يعلم المؤلف. ٢٤ ق (ز ١١٨٥٧) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١١ - الرسالة الولدية في النصيحة.

محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام (٤٥٠ -٥٠٥ هـ)
١١ ق (تصوف ٣١٧١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٢ - رسالة أيها الولد.

محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام (٤٥٠ -٥٠٥ هـ)
٣١ ق (تصوف ٢٣٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٣ - رسالة في التربية والتسليك.

إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصرائي المذهب (- ٩٠٨ هـ)
٨ ق (تصوف ٢٢٤٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٤ - رسالة في تدبير المولود.

لم يعلم المؤلف. ٢٠ ق (طب تيمور ٢٦٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٥ - رسالة في رياض الصبيان وتعليمهم وتأديبهم

شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الأنبياجي ٥ ق (تربية وتعليم ٤٣٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٦ - الرعاية.

الحارث بن أسد المحاسبي البصري أبو عبد الله (- ٢٤٣ هـ) ١٧٥ ق (تصوف ٨٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٧ - شرح ابن العماد على منظومة في آداب الأكل والشرب.

محمد بن أحمد بن عماد بن يوسف ابن العماد (٧٨٠ – ٨٦٧ هـ) ٤٩ ق (ب ٢١٠٢١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٨ - شرح الرسالة الولدية للغزالي.

عبد الرحمن بن أحمد بن عمر الشهير بالبوصيري ١٤٥ ق (تصوف ق ١٣٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٩ - الشرح اللطيف على الآداب الأبوية.

إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي أبو الفداء (١٠٦٣ - ١١٣٧ هـ) ٣٢ ق (آداب بحث ومناظرة ق ٢٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٠ - شرح رسالة أيها الولد للغزالي.

حسن بن عبد الله ٣٢ ق (تصوف ٢٦٣٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢١ - شرح رسالة أيها الولد للغزالي.

محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي أبو سعيد (كان حيا ١١٦٨ هـ) ٧٤ ق (تصوف ٤١٦٠) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٢ - شرح قول الصبيان في جلب قسم زاح.

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) ١٤ ص (تصوف تيمور ٣٤٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٣ - شرح منظومة ابن العماد في الأكل والشرب.

أحمد بن محمد بن عماد بن يوسف الأقفهيسي ابن العماد (٧٥٠ – ٨٠٨ هـ) ٦ ق (تصوف ٩٥٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٤ - عمدة الفروض والآداب في أحكام الطعام والشراب.

عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ٤ ق (تصوف م ٢٢٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٥ - منظومة الآداب في آداب الأكل والشرب.

أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي أبو العباس شهاب الدين (- ٨٠٨ هـ) ٩ ق (الزكية ٤٦٠) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٦ - ما يجب على الوالد للولد وما يجب على الولد للوالد.

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي.(٤٥١ - ٥٢٠ هـ)٧٢ ص (أخلاق تيمور ٢٥٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٧ - مشروع جمعية الرفق بالأطفال.

وضع خليل حمدي حمادة. ٨ ق (الزكية ٩٦٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٨ - هداية الإرشاد للمحبين والأولاد.

محمد بن عمر بن محمد المقدسي المعروف بالعلمي (- ١٠٣٨ هـ) ٣٢ ص وهي قصيدة تائية (أخلاق تيمور ٥٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢٩ - وصية الإمام الأبي لولده أبي بكر.

محمد بن خليفة الأبـي التونسـي (٨٢٨هـ) ٦٢٩٢/١٢٤٢٨ج الأدب (مخطوط مكتبة الإسكندرية)(مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٣٠ - رسالة أيها الولد.

أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ٥٢٢٧/١٠١٣١ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٣١ - منظومة ابن العماد في آداب الأكل.

أحمد بن شهاب الدين الأقفهي الشافعي. ٢٣٣/٦٨٧ج المواعظ والأخلاق (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٣٢ - وصية كتبها أحد الصالحين لولده في مرض موته.

برهان الدين الزرنوجي ١٣٥٠/٤٥٩١ج مواعظ وأخلاق (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

من الملاحظ أن المخطوطات المتعلقة بالسلوكيات والأخلاق تغطي فترة طويلة نسبيا، فأقدم هذه المخطوطات مخطوطة " الرعاية" للحارث بن أسد المحاسبي البصري أبو عبد الله (- ٢٤٣ هـ) وهو من علماء القرن الثالث الهجري، وتغطي هذه المخطوطات موضوعات متنوعة في السلوكيات

والأخلاقيات تتراوح بين سلوكيات تناول الطعام والأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلى الأطفال بها.

__ثالثا: الفقه:__

١ - أحكام الصغار.

محمد بن محمود بن حسين، مجد الدين الأسروشـــتي (- ٦٣٢ هــــ) ١٨٢ ق (فقه حنفي طلعت ٤٥٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ -الأحكام المقرب للهم والغلام، سبيل ما يجب به الاهتمام من بيـــان قواعد الإيمان والإسلام وإيضاح متعلقات الأحكام.

عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي الحسيني الشافعي المعروف بابن مظهر (٨٣٣ - ٨٩٢ هــ) ٩٩ ص (فقه تيمور ٢٢١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ - أحكام المواليد.

يحيى بن محمد بن أبي الشكرمحي الدين أبو الفتح المعروف بـــالحكيم المغربي (- ٦٠٨ هــ) ١١٢ ق (ميقات طلعت ١٤٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ - تبصرة المبتدئ الصغير.

محمد أبي البركات الدلجموني الوفائي المالكي المذهب. ٣١ ق خـــط ١٠٧٣ هــ (فرائض ١٧١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٥ - تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمال

عقيل بن عطية بن جعفر بن عطية المراكشي القضاعي (- ٦٠٨ هـ)

١٥٦ لوحة (ب ٢٧٣١٠) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ - تحفة المودود بأحكام المولود.

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي المعروف بابن الجوزية شمس الدين أبو عبد الله (٦٩١ - ٧٥١ هـ) ١٥٠ ق (فقه حنبل ٨٧) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٧ - الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان.

إدريس بن بركين التركماني صفي الدين (من علماء القرن الثامن الهجري) ٨ لوحات (ب ٢٨٦٧٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٨ - رسالة في أحكام أطفال المسلمين بعد الموت.

لم يعلم المؤلف. ٥٧ ق (تصوف ٢٣٥٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٩ - رسالة في دخول أولاد البنات في الوقف على الأولاد.

لم يعلم المؤلف. ٥ ق (ب ٢٢٥٣٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٠ - رسالة في عقد نكاح البنت القاصر والبالغ.

عبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السحلاوي (- ١١٢٧ هـ) ١٤ ص (فقه تيمور ٢١٤٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١١ - رشحات الأقلام شرح منظومة كفاية الغلام.

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)

٩٣ ص (عقائد تيمور ٣١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٢ - القول المختار في حل الصغار.

طه بن محمد الجبرتي المعروف بابن المهنا (١١٠٥-١١٧٨ هـ) ١٦ ص (فقه تيمور ٤٨٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٣ - كفاية الغلام في جملة أركان الإسلام.

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)

١٥ ق (فقه حنفي ١١٧٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٤ - منحة الغلام في مناسك حج البيت الحرام.

محمد زعيتر النابلسي (كان حيا قبل ١٣٠٢هـ)٥٤٩ ق (فقه حنفي ١٩٦٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٥ - نيل المرام شرح كفاية الغلام في جملة أركان الإسلام. (وهو شرح على كفاية الغلام من جملة أركان الإسلام)

محمد البوشي الأزهري بن محمد بن طالب الحموي. ٦٦ ق (فقه حنفي ١٩٨٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٦ - الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة.

محمد أمين ابن عابدين (١١٩١هـ -...) ٢٠ ق (فقه حنفي ٩٣٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٧ - الاحتفال بموت الأطفال.

جلال الدين السيوطي (- ٩١١هـ) ١٤ ق (فنون متنوعة د ٢٧١٢) (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

١٨ - تحفة الصبيان (وهي منظومة رائية)

عبد الله بن محمد بن عبد الشكور (فقه حنفي) ٢٢٣٤/٤٥٧٢ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

١٩ - الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة.

السيد محمد أمين بن عمر الشهير بأبي عابدين (١٢٥٢هـ) ٣٦٨٧/٧٢٣٠ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢٠ - الاحتفال بالأطفال.

جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ٣٧٨٢/٧٤٥٧ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢١ - رسالة في دخول ولد البنت في الوقف على أولاد الأولاد.

لم يعلم المؤلف. ٣٧٩١/٧٤٦٦ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢٢ - جامع أحكام الصغار المشهور بأحكام الصغار.

مجد الدين محمد بن محمود بن حسن الاستروشفي ٥١٣/٢١١٨ج فقه الإمام أبي حنيفة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢٣ - إفهام الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك.

أمين أحمد الدودير المالكي (١٢٠١ هـ) ١٩٨٤/٤١٢٥ج فقه الإمام مالك (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢٤ - كفاية الصبيان فيما يجب من عقائد الإيمان.

السيد محمد أبي المحاسن القاوقجي. ٥٧٨٧/١١٤٢٨ج توحيد (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٢٥ - فضل الجلد عند فقد الولد.

جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ٢٢٨٢/٤٦٣٩ج المواعظ والأخلاق (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

من الملاحظ أن أقدم هذه المخطوطات هي مخطوطة "أحكام الصغار" لمحمد بن محمود بن حسين، مجد الدين الأسروشتي (- ٦٣٢ هـ) وهو من علماء القرن السابع الهجري، وقد تنوعت الموضوعات التي تناولتها هذه المخطوطات بين المذاهب المختلفة وبعضها كان على المذاهب الأربعة مما يدل على اهتمام أصحاب المذاهب المختلفة بما يحتاج إليه الأطفال من مذهبهم.

رابعا: الحديث:

١ - أحكام الصبا.

محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله (- ٦٤٣ هـ) جزءان في مجلدين ٢٧٥ ق، ٣٧٧ ق (حديث ٩٠٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ - فضل الكبير المتعال في التوسعة على العيال.

البرلسي ٩ ق (حديث ١٤٠٠) (مخطوط دار الكتب المصرية)

من الملاحظ قلة المخطوطات في علم الحديث والتي تهتم بتربية الطفل، وقد يرجع هذا إلى وجود أبواب منفصلة في أمهات كتب الحديث مخصصة لآداب الأطفال وتربيتهم.

خامسا: النحو والصرف:

١ -الأجرومية

محمد بن محمد بن داود الصنهاجي أبو عبد الله المعروف بابن أجروم (٦٧٢-٧٢٣هـ) ـ ٧٢٨٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ -البداية في تقويم اللسان.

إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحلبي الداري (- ١١٩١ هـ) ٣٦ ص (نحو تيمور ٤٣٧) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ -تحفة الأطفال بحل عقد لامية الأفعال.

لم يعلم المؤلف. ١٩ق (صرف ١٨٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ -كفاية الغلام في إعراب الكلام.

شعبان بن محمد بن داود الموصلي المصري يعرف بالآثاري. ٣٥ ق (نحو ١١١٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٥ -هداية الصغار إلى كشف الإظهار.

حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله الأشعري(-١٢٧٢ هـ) ٦٩ ق (نحو طلعت ٦٢١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ -شرح لامية الأطفال المعروف بشرح ابن الناظم.

بدر الدين محمد بن محمد بن مالك (٦٨٦هـ) ٤٤٨٢/٨٨٠١ج علم التصريف (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

٧ -شرح لامية الأطفال.

محمد بن محمد بم عمر الشحري (٩٣٠هـ)

٥٠٥٨/٩٨٥٩ج علم التصريف (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

عند استعراض المخطوطات الموجهة للأطفال في علم النحو نلاحظ أن أقدمها مخطوطة " شرح لامية الأطفال المعروف بشرح ابن الناظم " لبدر الدين محمد بن محمد بن مالك (٦٨٦هـ) وهو من علماء القرن السابع الهجري، مما يدل على تأخر المخطوطات التي تهتم بمعالجة قضايا النحو عند الأطفال.

سادسا: التاريخ والأدب:

١ - إعلام الأعلام بمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

محمد بن عبد الله الخطيب العمري أبو عبد الله ولي الدين التبريزي (-٧٤٣ هـ)٦٣٣ ص (تاريخ تيمور ١٢٥٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ - **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع** أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ) ٦ أجزاء في تسعة مجلدات (تاريخ ٨٨٦) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ - إنباء الأبناء بأطيب الأنباء.

محمد بن عبد الله الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء (١٢١٧ -١٢٧- هـ) ٢٦ ص (أدب تيمور ٨٩٧) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ -أنباء نجباء الأبناء.

محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المكي أبو عبد الله حجة الدين (٤٩٧ - ٥٦٥ هـ) ٦٥ ق (أدب ٥٧١٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٥ - روضة أولاد ابن إدريس.

أبو زيان العسكري المغربي الفاسي (كان حيا قبل عام ١٢٣٩ هـ) ١٤٧ ق (تاريخ ٤٧٥٩) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ - قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع الغلام.

لم يعلم المؤلف. ٢٥ ق (أدب حليم ١١٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٧ - قصة تودد الجارية وما حدث لها مع العلماء في حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد.

محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الأندلسي، أبو بكر (- ٥٠٧ هـ) ٢٧ ق (أدب ٤١٦٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٨ - مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان.

محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي، شمس الدين(٧٨٨ - ٨٥٩ هـ) ٥٢ ق (أدب ٥٨٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٩ - وصايا الملوك وأبناء الملوك من قحطان بن هود النبي عليه السلام.

محمد بن إسحاق بن يحي النحوي، أبو الطيب (- ٣٢٥ هـ) ١٠٥ لوحة (أدب ٩٦٠٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١٠ - وصية لقمان الحكيم لولده.

٩٠ ص (الزكية ٢٧٢) (مخطوط دار الكتب المصرية)

١١ - الكلام على مائة غلام.

لم يعلم المؤلف. ١٧٤٤/٥٨٧٧د الأدب (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

١٢ - مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان.

شمس الدين محمد بن حسن الغواصي (٨٥٩هـ) ١٩٥٢/٦٩٤٩د الأدب (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

من الملاحظ وجود عدد معقول من المخطوطات التي اهتمت بتاريخ وأدب الأطفال، فأقدمها هي مخطوطة " وصايا الملوك وأبناء الملوك من قحطان بن هود النبي عليه السلام " لمحمد بن إسحاق بن يحي النحوي، أبو الطيب (- ٣٢٥ هـ) وهو من علماء القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، مما يدل على الاهتمام المبكر بتاريخ وأدب الأطفال، وتنوعت الموضوعات بحيث تحدثت عن تاريخ الغلمان وقصصهم مع المشاهير ووصايا الآباء للأبناء وغير ذلك من الموضوعات.

<u>سابعا: آداب البحث:</u>

١ - حاشية الولدية في آداب البحث.

محمد المرعشي المعروف بسالجقي زادة (- ١١٥٠ هـ) ٥٩ ص (آداب بحث تيمور ٢٥١) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٢ - الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة.

محمد المرعشي المعـــروف بســـالجقي زادة (- ١١٥٠ هـــــ) ١١ ق (منطق وآداب بحث ٣٦٥) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٣ - شرح الآمري على الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة لسالجقي زادة.

حسين بن ولي الدين الآمري. ٦١ ق خط ١٢٣٨ هـ (منطق وآداب بحث ٧٧٣) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٤ - شرح الرسالة الولدية للسيد الشريف.

محمد بن عيسى بن محمد بن نور ٦٩ ق (و ٢٦٦٥) (مخطـــوط دار الكتب المصرية)

٥ - الولدية.

محمد المرعشي المعروف بســـالجقي زادة (- ١١٥٠ هـــــ) ٢٣ ص (آداب البحث تيمور ٤٤) (مخطوط دار الكتب المصرية)

٦ - الولدية في المناظرة.

سالجقلي زادة محمد المرعشي (١١٥٠هــ)١٥٠ق (عقائـــد د ٥٢٧٩) (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

١ - الرسالة الولدية في آداب البحث.

سالجقلي زادة محمد المرعشي (١١٥٠هــ) ٢٢٣٤/٤٥٧٢ج فنون متنوعة (مخطوط مكتبة الإسكندرية)

عند النظر إلى هذه المخطوطات يتضح أن العمدة في هــذا المجــال الموجه للأطفال هو" محمد المرعشي المعــروف بســالجقي زادة (- ١١٥٠ هــ) وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وهذا يــدل علــى تــأخر الاهتمام بتعليم الأطفال آداب البحث، وإن كان ذلك يدل على ســبق اهتمــام المسلمين بآداب البحث عن غيرهم من أصحاب الحضارة الغربية.

وأخيرا تبين لنا أن المخطوطات التي اهتمت بتربية الطفل في كل من دار الكتب المصرية ومكتبة الإسكندرية تناولت علم القــراءات والســلوكيات والأخلاق والفقه والحديث والنحو والصرف والتاريخ والأدب وآداب البحث، وهذه الموضوعات ترتبط ارتباطا مباشرا وغير مباشر بمصــادر الإســلام المتمثلة في القرآن والسنة، فالقراءات والفقه والحديث موضــوعات شــرعية تهدف إلى تزويد الأطفال بما يحتاجون إليه من معارف شــرعية تجعلهــم لا يخرجون عن التوجه الإسلامي العام للأمة، أما السلوكيات والأخلاق والنحــو والصرف والتاريخ والأدب وآداب البحث فهي موضوعات تدور فــي فلــك الموضوعات الشرعية حيث تعمل على خدمتها، وهذا يتضح من اســتعراض ثلاث مخطوطات تتعلق بأدب الأطفال والتي تم عرضها في البحــث وهــي مخطوطة "قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع الغلام" و" قصة الجارية تــودد مع بعض العلماء في حضور أمير المؤمنين هارون الرشيد " و" إنباء الأبنــاء بأطيب الأنباء " وكذلك مخطوطة " رسالة في ريــاض الصــبيان وتعلــيمهم وتأديبهم " والتي بينت أن مدار تربية الأطفال هو الفقــه الإســلامي والفهــم السليم للكتاب والسنة.

تربية الطفل لدى المفكرين والمصلحين
الإسلاميين في العصر الحديث

دكتور / محمد على طه ريان
كلية التربية بالعريش
جامعة قناة السويس

تربية الطفل لدى المفكرين والمصلحين الإسلاميين في العصر الحديث

نالت تربية الطفل ورعايته وتنشئته اهتمام المفكرين والمصلحين من علماء الإسلام منذ أمد بعيد وخاصة في العصر الحديث، فقد سطر هؤلاء العلماء صفحات كثيرة سواء في كتبهم أو في المجلات التي يكتبون فيها تتناول رعاية الطفل أثناء الحمل به أو بعد ولادته بل وعند اختيار أبيه لأمه زوجة له. وهذه الكتابات بمثابة إرشادات وتوجيهات للآباء والمعلمين لكيفية رعاية الأبناء ومساعدتهم على النمو السليم حتى يشبوا أصحاء أقوياء.

ولا تتوقف هذه الرعاية عند حد الرضاعة والتغذية المناسبة للطفل فحسب وإنما تمتد لتشمل كافة النواحي التربوية الأخرى العقلية والروحية والوجدانية فضلاً عن الاهتمام بالناحية الجسمية بحيث تهدف هذه الرعاية كما يأمل هؤلاء العلماء والمصلحون لأن ينشأ إنسان مسلم يكون لبنة قوية في كيان هذه الأمة حتى تصبح قادرة على مواجهة التحديات التي يفرضها العصر الحالي.

ولم يقف الاهتمام بالطفل عند هذه الجهود والكتابات المتفرقة على صفحات الكتب والمجلات ولكن تعداها بإنشاء منابر ثقافية تقوم عليها مدارس فكرية لتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم وكانت رعاية الطفل المسلم وتنشئته على هدى من كتاب الله وسنة رسوله من أولويات اهتماماتها ومن هذه المدارس الفكرية ذات الأثر القوى والبعيد في عقول الأمة على امتداد أكثر من قرن من الزمان مدرسة المنار وجماعة الأخوان المسلمين والأزهر الشريف.

لقد قامت تلك المدارس أو المؤسسات بدور ريادي في تثقيف وتنوير المسلمين ليس في مصر فقط ولكن على امتداد العالم الإسلامي حيث تنشر في دورياتها الشهرية أو الأسبوعية المعارف والمعلومات التي يحتاجها

المسلم سواء ما كان منها لدينه أو ما كان منها لحياته أو ليقف على أمر المسلمين اليوم وهم يواجهون التحديات التي تتطلب منهم التماسك والتوحد والقدرة على مناوئة الأخطار التي تحيط بهم في عصر الهيمنة العسكرية واستعراض القوة وقتل البشر بأحدث ما وصلت إليه الآلة العسكرية.

لقد امتلكت هذه المدارس والمؤسسات منابر في صورة مجلات كان الوقت في أمس الحاجة إليها فاجتذبت أعداداً غفيرة من القراء وأسهمت في تكوين صفوة مثقفة في كل بلد إسلامي.

وكانت مجلة المنار التي أسسها محمد رشيد رضا وظلت تصدر أسبوعية تقريباً على مدى يزيد على أربعين عاماً (١٨٩٨ – ١٩٤٠) فقد بددت ظلمات كثيرة وقامت بدور ثقافي بارز، وكانت مجلة الدعوة لسان حال الأخوان المسلمين هي منبرهم وملتقى فكرهم على مدى ثلاثين عاماً (١٩٥٠ – ١٩٨١)، أما الدور الكبير في نشر الثقافة الدينية الذي لعبته مجلة الأزهر على مدى يربو عن السبعين عاماً (١٩٣١ إلى الآن) فليس هناك من ينكره أو يتنكر له فهي مازالت تصدر حتى الآن فضلاً عن مجلات أخرى تسيدت الساحة الثقافية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كمجلة " العروة الوثقى " ومجلة الأستاذ ".

وكان دافع الباحث لاختيار كل من " المنار" و " الدعوة " و" الأزهر" كمصادر رئيسية لاستقاء مادة هذا البحث، هو الرغبة في التعرف على مدى قيام هذه المدارس الفكرية بدورها نحو رعاية الطفل وتنشئته في ضوء العقيدة الإسلامية، ومدى إدراكها لطبيعة هذا الدور ومتطلباته، حيث أن هذه المدارس والمؤسسات الثقافية - المنار والأخوان المسلمين والأزهر الشريف – تعد كبرى الروافد الثقافية في القرن العشرين، فهي التي حفظت التراث ونقلته وجددت فيه وأثرت به عقول وقلوب أبناء الأمة الإسلامية على مدى يزيد عن قرن من الزمان.

ولم يكن التراث هو الاهتمام الوحيد لتلك المجلات، بل كانت لها اهتمامات أخرى بحكم تداولها بين قراء ذوى مشارب ثقافية مختلفة حيث نرى كتابات معاصرة تتناول موضوعات علمية وفلسفية وطبية وأيضاً تربوية وإن كان هذا لا يخرجها عن إطارها الرئيسي وهو التركيز على الثقافة الدينية بوجه عام.

والقارئ الناقد لموضوعات هذه المجلات لابد أن يلحظ أمرين:

أولهما: أن بعض المقالات تفتقر إلى الدقة العلمية وهى غير موثقة بل يمكن القول أن بعض الآراء الواردة بها بعيدة عن الموضوعية العلمية التي تتطلب الرجوع بالآراء إلى المتخصصين وهم أهل الثقة في ميدانهم، خاصة لو كان كاتب المقالة ممن ذاع صيته في تخصصه ثم نقرأ له مقالاً في موضوع مغاير تماماً لهذا التخصص، فمن الصعب مثلاً أن نأخذ نصائح طبية من عالم في الفقه أو عالم في التفسير وربما مرجع هذا وذاك هو ما ورد في كتب التراث.

ثانيهما: أن الكثير من الموضوعات الخاصة بالطفل سواء كانت موضوعات طبية أو تربوية أو دينية نراها خالية من التوقيع ولا يعرف لها كاتب وهذا يقلل أو يلغى مصداقيتها، وعلى سبيل المثال فإن مجلة المنار لا يعرف قراؤها كاتباً آخر غير محمد رشيد رضا وبالتالي كل المقالات الواردة بها تنسب إليه مهما كان تخصص موضوعاتها وإن كان هذا موجوداً بدرجة أقل في مجلة الأزهر ومجلة الدعوة.

تساؤلات البحث:

يأمل الباحث بعد جمع المعلومات الخاصة برعاية الطفل من الدوريات الخاصة بالمدارس الفكرية الثلاث أن يجيب هذا البحث عن التساؤلات التالية:

١ - ما مدى اهتمام هذه المدارس والمؤسسات الفكرية برعاية الطفل وتربيته؟

٢ - ما مدى إدراك العلماء والمصلحين المسلمين لمرحلة الطفولة وأهميتها؟

٣ - كيف تناول هؤلاء القضايا المتعلقة بتربية الطفل؟

٤ - ما أبرز نقاط القوة ونقاط الضعف في آرائهم؟

٥ - ما أوجه الالتقاء والاختلاف بين هذه الآراء؟

٦ - ما أهم التوصيات والمقترحات لعلاج مشكلة البحث؟

خطوات البحث:

سوف يسير البحث بعون الله وفق الخطوات التالية

أولاً: الطفل قبل الولادة

أ - حسن اختيار الزوجة　　　ب - رعاية الحامل

ثانياً: الطفل بعد الولادة

أ - الرضاعة　　　ب - غذاء الطفل

ثالثاً: التربية الجسمية

رابعاً: التربية العقلية

خامساً: التربية الروحية

سادساً: التربية الوجدانية

سابعاً: التربية الوالدية (التنشئة الأسرية)

أ - الحنان والعطف　　　ب - إحياء الوازع الديني

جـ - القدوة الصالحة

ثامناً: وقاية الأبناء من الانحراف

تاسعاً: التعليم المفيد

أ - المدرسة الابتدائية ومنهجها في التربية والتعليم

ب - تعليم الأولاد بعض الصناعات وتدريبهم مهنياً

عاشراً: أثر التليفزيون في سلوك أطفالنا

حادي عشر: من أمراض الطفولة وسبل الوقاية منها

ثاني عشر: التوصيات والتوجيهات

أولاً: الطفل قبل الولادة

لكي يأتي الطفل إلى الحياة سليماً معافى خالياً – وبقدر الإمكان – من العيوب والأمراض الخلقية فيجب أن يتبع في ذلك أمران هما حسن اختيار الزوجة والدة الطفل ثم رعاية الحامل والاهتمام البالغ بصحتها.

أ - حسن اختيار الزوجة:

تناولت مجلة الأزهر هذا العنوان في الكثير من المقالات للتأكيد على ضرورة أن يحسن الزوج اختيار شريكه حياته لأن الزوجة الصالحة أساس كل خير في البيت وهى أعظم نعمة ينعم الله بها على الإنسان وما أحسن قول العربي لأولاده: لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا، فقالوا له: أما إحسانك إلينا صغاراً وكباراً فنعرفه فكيف بإحسانك إلينا قبل أن نولد؟ فقال لهم: لقد اخترت لكم أماً لا تسبون بها.هكذا أحسن العربي اختياره لزوجته وأم أولاده،لينعكس ذلك عليهم مرءوة وقوة وصلاحاً [١].

وقد وضع الإسلام لاختيار الزوجة أسساً وقواعد حتى ترفرف أعلام السعادة على الحياة الزوجية المنشودة وحتى تكون الذرية صالحة رغب في اختيار المرأة المتدينة ذات الحسب والنسب، الجميلة الخلق والخلق فقال صلى الله عليه وسلم:

" تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك "

رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه. [٢]

ويؤكد المؤلف على أن الولد يعير بأبيه وأمه إن كان أحدهما من عنصر خبيث أو أصل ردئ وقد قال رجل للحسن بن على

" ممن أزوج ابنتي؟ قال: ممن يتقى الله، فإن أحبها أكرمها وأن أبغضها لن يظلمها " كما حثنا الشارع الحكيم على تفضيل المرأة الأجنبية (التي ليست بذات قربى من الزوج) حتى لا تنجب نسلاً ضعيفاً غير حامل لأمراض الوراثة فقال:

" اغتربوا ولا تضووا أي لا يهزل نسلكم" رواه الترمذي. [٣]

أما مجلة " الشهاب " التي كان الأخوان قد أصدروها في الأربعينيات من القرن الماضي، وإن صدرت منها أعداد محدودة، فقد تناولت قضية اختيار الزوجة مستشهداً في ذلك بما يصنع الغربيون فيقول:

".. ولقد يري كثير من المربين أن تربية الطفل قد ترجع إلى ما قبل ولادته بخمسين سنة

أو أقل، فإن الإنجليز مثلاً لكي يقوموا بواجبهم نحو طفل الغد فإن الوالد يبــحــث عن

زوجة لم يعرف عنها وعن أبيها وجــدها أن واحداً منهم مريض بـــداء الرئة أو أنه من

ضعاف العــقول، أو به مرض من الأمراض التي تورث كالأمراض الخبيثة، وكذلك الزوجة تعمل على التأكد من خلو زوجها من هذه الأمراض". [٤]

وفى نفس الموضوع تكتب مجلة الدعوة لأن العلم المعاصر قد اكتشف مؤخراً ما للوراثة والبيئة من آثار على أطفال المستقبل ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم وخضراء الدمن) فيسأله سائل وما خضراء

الدمن يا رسول الله، فيقول النبي: (المرأة الحسنة في المنبت السيئ) فالمرأة إذا لم تنشأ في بيئة طيبة ولم ترب تربية طيبة لا يمكن أن تخرج أبناءها إلاّ مثلها وعلى شاكلتها. (٥)

وفى عدد آخر من مجلة الدعوة نقرأ تكملة ضرورية لمسألة الاختيار حيث توضح أن للمرأة حقها في بناء الأسرة مشاركة مع الرجل ولها حريتها في اختيار الزوج ومن شرع الله أن يكون هناك تكافؤ بين الرجل والمرأة عند الزواج، الأمر الذي يعطيها حقاً أن تختار الزوج المناسب من أجل حياة مستقرة هانئة (٦)

ب - رعاية الأم أثناء الحمل:

تناولت المجلات الثلاث – المنار والدعوة والأزهر – موضوع رعاية الحامل بكثير من الشرح والتفصيل ونلاحظ اختلافاً بيناً في تناول كل مجلة لهذا الموضوع، من حيث الاعتماد على المراجع والمصادر الأجنبية أو الاكتفاء بالمصادر والمراجع الإسلامية

ففي ملحق الأزهر يذكر الكاتب أن الإسلام أوصى بضرورة المباعدة بين الولادات، أي يجب أن يكون هناك فاصلاً زمنياً بين الطفل والذي يليه، وإلاّ ما الحكمة في أن يكون فصاله في عامين وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، بل نص على أن يكون الرضاع حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة، أليس كل هذا لتسترد الأم صحتها وتعوض ما فقدت من عناصر حيوية في الحمل الأول وأليس هذا أيضاً ليصح الجنين ويأخذ حقه من الرضاعة الطبيعية، نعم الطبيعة التي عاد إليها الطب بعد طول سياحات في الرضاعة الصناعية، إذن فإن صحة الأم وصحة الطفل أساس المباعدة بين الولادات قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (الأحقاف :١٥)(٧)

وينصح رشيد رضا بضرورة العناية بالحامل من كافة النواحي الجسمية والنفسية فيقول: "فيجب على الحامـل تحسين الغـذاء وتكـامل عناصره، وتجنب ما كان منـــه عسر الهضم مع الاعتدال فيه وتنظيم أوقات النوم والراحة واستعمـال الماء المنـاسب لحرارة الجسم في النظافة وممارسة الرياضة، كما يجب عدم التعرض للانفـعالات غير السـارة والانصراف بالتسلي إذا وقعـت أسبابها إلى جانب عدم الإحساس بالوهـم من الحمل أو من تأثير انفعالات لا يسـلم الإنسان منها في الغالب " (٨)

وواضح من قول رشيد أن ما يراه وما يوجهه من نصائح هي آراء قد استمدها من كتب التراث التربوي وخاصة ما كتبه ابن سينا حول رضاع الطفل وفطامه ونومه ورياضته أكثر من اعتماده على كتب تربية الطفل الحديثة والتي كانت سائدة في عصره في الفكر التربوي الغربي.

وفى عدد آخر يتناول رشيد الموضوع نفسه فيقول: "إن أحوال الأم الجسدية والنفسية تكون لها أثر في نمو الجنين واستعداده ولذلك يأمرونها بالرياضة المعتدلة وتناول الأغذية اللطيفة وعدم التعرض لما يهيج بالانفعال ولاسـيما الخوف والفزع والحزن وكأين من وليد خرج ذا عاهـة لم يكن لها من سبب إلاّ ما ألـم بوالدته وهى حامل به " (٩)

ولكن ما كتب في مجلة الدعوة نراه يختلف تماماً عما كتب في المنار أو الأزهر حيث نلحظ مدى علمية وتخصص كاتبه، وإن لم يوقع باسمه على مقالته، فهو يقول: " والغـذاء أهم شيء بالنسبة للحامل إذ يجب أن يكون بسيطاً مغذياً سهل الهضم محـتوياً على مقادير كافية من الفيتامينات وأملاح الجير. وأفضل الأطعـمة للحامل الألبـــان الطازجة والبيض والزبد والفواكه على أنواعها والخضر كالخـس والفاصوليا، ويحسن أن تشرب الحامل كمية من الماء أكثر مما نشربـه في الأيام السابـــقـة للحمل

بمقدار كوبين يومياً، كما يجب الامتـــناع عن أكل التـــوابــل وتعاطي المنبهات كالشاي والقهوة " [١٠]

ويتضح مما سبق أن الكاتب طبيب أو متخصص في علم التغذية لأن أملاح الحديد – كما نعلم – تبعد شبح الأنيميا من الوليد وأملاح الجير – ويقصد بها أملاح الكالسيوم – هامة لبناء العظام وتكوين الأسنان وأملاح الكالسيوم تتوفر في الألبان الطازجة والبيض – كما ذكر في المقال – أما الفيتامينات فتتوفر في الخضر والفواكه، وأما شرب الماء بكثرة فلكي يتخلص جسم الحامل من الأملاح الزائدة ويقوم بغسل الكليتين. ثم ينتهي المقال بنصيحة الحامل بضرورة الامتناع عن تناول التوابل وتعاطي المنبهات كالشاي والقهوة وذلك لسلامة الأعصاب والخلايا العصبية.

وفى مقال آخر للدعوة ينصح أحد الأطباء الحامل بنصائح ضرورية وهامة بعدم الوقوف طويلاً حتى لا تظهر عليها دوالي الساقين وأن تستعمل حزاماً خاصاً ليسند عضلات البطن دون أن يضغط عليها وأن تقوم بزيارة طبيب الأسنان بصفة دورية وهكذا وكلها نصائح كما يبدو جلياً من طبيب أمراض نساء [١١]

وهناك نصائح تربوية هامة توجهها " الدعوة " للحامل تتعلق بالجانب النفسي الذي يجب أن يراعى في معاملة الطفل الأكبر والأم تستعد لوضع مولود جديد، وهذه النصائح كما يلي:

١ - يجب عند الحمل إعداد ذهن الطفل الموجود لما يكون متوقعاً حدوثه من وصول ضيف جديد.

٢ - وعلى الأم أن تقلل – بقدر الإمكان – من التصاق الطفل بها قبل ولادة الطفل الجديد بفترة كبيرة.

٣ - ومن الأمور المستحسنة والمفيدة أن تهيئ ذهنه بإخباره بأنه سيكون لديه أخ صغير ظريف كباقي

الأطفال الآخرين يلاعبه ويداعبه.

٤ - وبعد وصول الضيف الجديد، ينبغي على الأم إلاّ تحاول الإفراط في رعايته وإهمال أخيه الأكبر.

٥ - وعليها أن تنتهز كل فرصة في تأكيد معاني الأخوة والعطف والحب في نفس الكبير نحو الصغير[١٢]

وواضح مما سبق أهمية ما كتب في الدعوة بشأن الحامل كمعلومات مفيدة حيث صدرت من متخصصين سواء في الطب أو علم التغذية أو في علم النفس مما يؤكد على أن علماء الشريعة وهم يتناولون مثل تلك القضايا فمن الأفضل أن يكون لهم دراية بتلك المعلومات العلمية التي تتعلق بنصوصهم الشرعية حتى يكون تناولهم لتلك القضايا تناولاً متكاملاً. وهذا ما يلاحظه الباحث من عدم توفره في معظم علماء تلك المنابر الإسلامية إلاّ القلة القليلة التي استطاعت بالفعل أن تجمع بين الثقافة الإسلامية من مصادرها الأصلية والثقافة العلمية المعاصرة من مصادرها الأصلية أيضاً حتى ولو كانت مترجمة إلى العربية.

<u>ثانياً: الطفل بعد الولادة:</u>

ينصب الاهتمام بالطفل بعد ولادته على عمليتي الرضاعة والتغذية وحديثاً يثار جدل كبير حول أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل، وخصوصاً بعد التقدم العلمي واكتشاف مكونات هامة في لبن الأم تحمي الوليد من الأمراض وتساعده على النمو السليم.

وقد تناولت كل من " المنار " و" الدعوة " و" الأزهر " موضوع الرضاعة والتغذية بكثير من الاهتمام.

أ - الرضاعة

تتناول " المنار " موضوع الرضاعة بكثير من العلمية وربما استعان كاتب المقال بمتخصص وذلك يمكن استنتاجه من سطور المقال حيث يقول: " يراعى في الرضاعة عدة أمور أهمها أن ترضع الطفل أمه، إن لم يكن هناك مانع من نحو مرض معد أو هزال وضعف يضر المرضع أو الرضيع، فإن أرضعته امرأة أخرى فينبغي أن تكون في سن الشباب سليمة من الأمراض المعدية جيدة الصحة، وإذا لم يتيسر وجود مرضع بهذه الصفات فالأولى أن يغذى الطفل بلبن الحيوانات كالماعز والبقر بواسطة زجاجة الإرضاع، وهذا يتطلب أن يخفف بالماء لأنه أغلظ من لبن الأم وربما أشتمل على ميكروبات مرضية فينبغي أن يضاف إليه قليل من السكر بحسب تقدير الطبيب وأن يسخن بحيث تموت ميكروباته ويكفي لتسخينه حرارة ٧٠ درجة بميزان ستنجراد واللبن المغلي أعسر هضماً فلا يغلى لبن الإرضاع غلياناً، ويجب أن تكون زجاجة الإرضاع نظيفة تماماً مما عساه يكون بها من التعفن وميكروبات الأمراض. " (١٣)

وتتناول المنار موضع الإرضاع من زاوية تربوية، يقول رشيد: ".. يجب أن يكون الإرضاع مؤقتاً بأوقات منتظمة لا يقل الزمن بين الرضعة والأخرى عن ساعتين في أول الأمر ثم تزيد المدة بينهما تدريجياً لأن الطفل في صغره يأخذ قليلاً من اللبن وكلما كبر زاد مقدار ما يرضعه وأكثر النساء لجهلن لا يقصرن الإرضاع على التغذية بل يجعلنه وسيلة للترضية فكلما بكى الطفل يلقمنه الثدي وربما يتوهمن أنه لا يبكى إلاّ لطلب الرضاع أو أن كل بكاء يسكته الرضاع، والصواب أن الطفل يبكي لأقل

سبب كابتلال لفائفه وتألم بدنه من عقدة في ثوبه، وإذا حاول الطفل الحركة التي تقتضيها طبيعته فحال دون ذلك شدة القماط عليه يبكى، فليتجنب الإرضاع في غير وقته لأجل البكاء وليعلم أن أكثر قئ الأطفال من الإرضاع " (١٤)

من قراءة المقال السابق يتضح لنا أن رشيد كتبه مستعيناً بالمعارف الحديثة المدونة في عصره من طب الأطفال وعلم النفس. ولكن المنار لم تكتف بهذه المعلومات الطبية والتربوية المفيدة بل حاولت الربط بين عملية الرضاعة وتكوين الخلق مصداقاً للحديث الشريف (لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فإن اللبن يعدي) ومن طريف ما ترويه المنار أن إمام الحرمين أرضعته مرة امرأة كافرة فاسدة الأخلاق، فعلم والده بذلك فأقاءه (جعله يقئ) ما رضعه، ثم أن الإمام بعد ما كبر وصار علامة عصره، كان إذا عسر عليه حل مشكلة علمية أو بدرت منه بادرة غير مرضية قال: إن هذا من آثار تلك الرضعة. (١٥)

أما " الدعوة " فتنشر مقالاً علمياً وإن كان كالمتبع – بلا توقيع – تذكر فيه معلومات علمية تقارن فيه بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية مؤكدة هذه الفروق بالنسب الرياضية فمثلاً يحتوى لبن الحيوان على الزلال بمقدار ضعف نسبته في لبن الأم، وكذلك الأملاح في لبن الحيوان تساوى أربعة أمثال الموجودة في لبن الأم ونسبة الدهن في لبن الجاموس تساوى ضعف الموجود في لبن الأم، وبالعكس تجد أن نسبة السكر في لبن الحيوان أقل من الموجود في لبن الأم، وألبان الحيوانات أعسر هضماً وأكثر عرضه للتلوث ولهذا كان الطفل الذي يتغذى بلبن الحيوان أكثر تعرضاً للاضطرابات الهضمية والأمراض المعدية عن ذلك الطفل الذي يرضع من ثدي أمه. (١٦)

وأما " الأزهر" فقد تناولت موضوع الرضاعة باختصار مؤكدة على أهمية الرضاعة الطبيعيــة ومحذرة من خطورة الإهمال في تركها، وأن هذه الرضاعة تعتبر دعماً للاقتصاد القومي وحماية لجيل المستقبل من الأمــراض حيث أن استيراد ألبــان الأطفال يرهق ميزانية الدولــة ويكلــــفها مبلغـــاً يتراوح ما بين ٦٠، ٧٠ مليون دولار سنوياً. (١٧)

ب - تغذية الطفل:

تحتاج الآراء التي أوردها رشيد رضا في " المنار" إلــى توثيــق أو الرجوع إلى أهل التخصص إما لتأكيدها أو لتصحيحها، فعلمــاء التغذيــة أو الأطباء هم المصدر الموثوق به في أمر غذاء الطفــل فرشــيد يطلــب مــن الأمهات أن يطــعمن الطفل في الصباح والعصر اللــبن والبــيض والخبــز وشيء من الحلوى وعند الظهر اللحم والبقــول والفاكهــة وطعــام المســاء الشوربة والبقول ولو باللــحم والأرز وضروري من إطعام الطفــل أربــع مرات يومياً، ويجب أن تحذر الأم من إكثار طفلها مــن الفاكهــة والحلــوى ويمنـــع من شرب الشاي والقهوة وأما مقدار ما يأكله الطفل فليس بمحدود بل يترك وشأنه يأكــل ما شاء بحيث لا يلزم بالزيادة ولا يمنع مــن الاســتزادة. (١٨)

ولكن " الأزهر" اعتمدت في موضوع تغــذية الطفل على ما ورد في القــرآن الكريم والســنة المطهرة، فقد حفلت الشريعة الإســلامية بإيضـــاح أنواع كثيرة من الأغذية المتكاملة التي يحتاجها الجسم، حتى ينمو في صــحة جيدة وينمو صحيحاً سليمـــاً معافى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وســلم إذ يقول (المؤمـــن القوى خير وأحب إلى الله من المــؤمن الضــعيف) رواه مسلم وابن ماجه، ومن أنواع الأطعمة التي ورد ذكرها في القــرآن أو فـــي السنة النبوية لبن الأم وماله من قيمة غذائية للطفــل، وما يصحب ذلك مـــن

حنان وعطف موثق بينهما وأيضاً العسل وقيمته الغذائية سواء للأم أو الطفل ثم التمر وفضله والعنب وألبان الإبل والجبن وغير ذلك من الأطعمة. [١٩]

ولم يعثر الباحث في مجلات الإخوان على كتابات تتناول موضوع تغذية الطفل بل أسهبت " الدعوة " في الكتابة عن الرضاعة باعتبارها أساساً تغذية ضرورية ولابد منها للطفل.

ثالثاً: التربية الجسمية للطفل

العناية بجسم الطفل تبدأ – كما ترى المنار – فور ولادته، حيث يغسل بالماء المناسب لحرارة جسمه، ويلف في منشفة، ويدلك جسمه برفق، كما يدهن بزيت الزيتون، وتهتم أمه بإلباسه ثياباً واسعة تدفئه في الشتاء وجافة باستمرار تجنباً للأمراض وحتى يستطيع الطفل مواجهة التغيرات الجوية. ومن طريف ما ترويه المنار ما جاء في كتب الأدب العربي من أن رجلاً رأى إعرابية تغطس طفلها في النهر أيام الشتاء فسألها عن السبب في ذلك فقالت: أريد أن اجعل جسمه كله وجهاً، تعنى أن الوجه إنما لا يضره البرد لما اعتيد من تعريضه له منذ الصغر، فإذا عود الجسم كله على برد الماء والهواء يستطيع احتماله كما يحتمله الوجه [٢٠].

وهذا القول الذي يكتبه رشيد مستشهداً بالإعرابية لا يجب أن يؤخذ على إطلاقه، فالذين اعتادوا الترف والاحتراس الشديد من البرد لا يستطيعون تعريض أطفالهم للماء البارد، فإن فعلوا فربما عرضوا أطفالهم للموت.

ومثال آخر يذكره رشيد مستشهداً هذه المرة بطريقة الإنجليز والأمريكان في تربية أطفالهم لما يعرف عنهم بأنهم يتركونهم وشأنهم في التحرك فيتدحرجون ويحبون على بسط تفرش لهم وبذلك يكتسبون القوة تدريجياً. فقد روى أن سائحاً إنجليزياً صادف يوماً في أمريكا صبياً في الثانية أو الثالثة من عمره يزحف بيديه ورجليه على حرف قنطرة يتدفق من تحتها

سيل صاخب فارتاع للخطر الذي يحيق بالطفل فأسرع السائح يلتمس والدة الطفل فرآها جالسة مطمئنة فنبهها لما يحدث فما كان جوابها إلاّ أن قالت غير مندهشة ولا منزعجة: إن الصبي معتاد على العناية بنفسه ووقايتها وإني إذا عدوت إليه لإبعاده عن مظنة التهلكة مظهرة له الجزع والهلع كان ذلك ولاشك مذهباً لرشده مضيعاً لسداده. فراح السائح يراقب الطفل لينظر ماذا يكون من أمره فرآه قد بذل جهداً من تلقاء نفسه أبعده عن تنكب طريق الهلاك. وهكذا يربى الصغير على خلق الاستقلال وحماية نفسه من الخطر والدفاع عنها. (٢١)

وهذا المثال الذي أورده رشيد على صفحات المنار يجب أيضاً إلاّ يؤخذ على إطلاقه فرعاية الصغير وإكسابه القوة الجسمية تأتى بمراقبته ولو من بعيد وإلاّ تغيب العين عنه وبهذا يكتسب خلق الاستقلال الذي يؤهله لحماية نفسه والدفاع عنها.

ويطلب كاتب المنار من المدرسة التي يلتحق بها الطفل أن تضع نصب أعينها رعاية جسمه مثلما تعنى بتهذيبه وتعليمه، ومن الألعاب التي يطلب رشيد من المدرسة الاهتمام بها السباحة والرمي والجري وأي ألعاب أخرى تقوى الجسم وتعوده على الصبر وقوة التحمل. (٢٢)

ولو تصفحنا أعداد مجلة الدعوة لقرأنا أن الإخوان أكثروا في الكتابة عن تنمية الجانب الجسمي لدى الطفل وفصلوا كثير من الآراء في صورة تمرينات رياضية رأوها لازمة لتربية جسم الطفل والتأكيد في كثير من المقالات على أهمية اللعب في سلامته من مختلف الأمراض بجانب النمو الجسماني السليم.

فالتمرينات الرياضية في رأيهم تفيد الطفل في النظام والنشاط والتوافق والسيطرة على حركات الجسم واكتساب الخلق الرياضي والقدرة مستقبلاً على تحمل المسئولية فضلاً على تنمية عاطفة الولاء للفريق. (٢٣)

والكاتب يدعو المدربين إلى إتباع بعض التوجيهات العملية الرياضية المفيدة ومنها:

١ - كون في الأطفال (روح اللعب) والمرح وأقضى أثناءه على روح العمل الجدي الذي يصور للطفل بأن اللعب مشقة وتكليف، هذا مع الحرص على النظام.

٢ - اقض على اللعب الجاف والعنيف من أول ظهوره.

٣ - اجعل الحركة مستمرة طوال وقت اللعب ويكفى وقت شرح التمرينات للراحة.

٤ - إذا وجدت نفسك تقوم بلعبة ثم فترت منك فأقضى عليها قبل أن تموت فليـــس أدعى للرثاء من لعبة يقوم بها الأطفال بغير شوق " (٢٤).

أما جدول اللعب الذي طالبوا المدربين بإتباعه فهو كالآتي:

١ - يبدأ بتمرينات سريعة الغرض منها التنشيط والتعود على تلبية الأوامـــر وهى تمرينـــات الجري في المحل والجري الحر والتبديل.

٢ - تبدأ بعد ذلك تمرينات للعنق والذراع والجذع تمهيداً لما بعدها.

٣ - تمرينات الجذع والظهر وتمرينات القوة والتوازن ثم الجذع ثانية.

٤ - المشي والجري للتأكد من أثر التمرينات السابقة.

٥ - بعد ذلك تمرينات الوثب والقفز والرشاقة.

٦ - ألعاب للتسلية لتحبيب الأطفال في التربية الرياضية.

٧ - تمرينات ختامية إشعاراً بانتهاء الجدول.

(ملحوظة ١: - عدم إطالة الجدول كله عن ٤٥ دقيقة أو تقصيره عن ١٠ دقائق.)

(ملحوظة ٢: - يجب إتباع الترتيب الخاص بالجدول حرصاً على فائدة الأطفال) " [٢٥]

وفى عدد آخر من " الدعوة " تطالب المجلة الأم بأن تطمئن قبل النوم على أسنان طفلها وان تتأكد أنه غسلها بالفرشاة والمعجون وأيضاً يفعل نفس الشيء بعد النوم محافـظة عليها وعلى صحتـه عموماً كما يجب على الأم أن تشجع طفلها على الرياضة سواء في المدرسة أو النادي وإذا لم يكن في سن المدرسة فعليها أن تحضر له من اللعب ما يدعو إلى التفكير والبناء ويحرك الذهن ويثير الهمم.[٢٦]

وواضح مما سبق أن " الدعوة " استعانت بالمتخصصين في التربية الرياضية لتأتى برامجهم قوية ومناسبة ومفيدة، ولم تلجأ إلى الكلام المرسل والموجز والذي لا يستفيد منه ولى الطفل أو معلمه أو حتى مدرب التربية البدنية.

ولم تنس " الدعوة " ربط التربية الرياضية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فرسالتها في الأساس دينية، ففي أحد أعدادها نجد مقالاً يؤكد على أهمية اللعب والترويح وضرورته للنمو الجسمي للطفل، فقد روى الطبراني بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي r وهو يمشى على أربعة (أي يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: " نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما " [٢٧].

أما " الأزهر " فتناولت الموضوع كعموميات بدون تفصيل أو تقديم برامج مثلما فعلت " الدعوة " أو توجيه نصائح كالتي قدمتها " المنار" فمن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية استنبط كتاب المجلة معلوماتهم التي

أوردوها في مقالاتهم، ومن ذلك مثلاً يذكر الكاتب مجموعة من الآيات والأحاديث يدلل بها على عناية الإسلام بالجانب الجسمي للإنسان بصفة عامة وليس الطفل بوجه خاص فهو يقول: " الدين الإسلامي حافل بمجموعة من المبادئ الكلية للحفاظ على حياة الطفل، منها قوله تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ) (النساء:٢٩) وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحريم:٦) وورد في الحديث الشريف (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر.

وقال تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (سورة البقرة:٣٠) وعناية الإسلام بالحفاظ على حياة الطفل وصحته هي عناية بقوة المسلمين المادية والأدبية وفي الحديث: (أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة أن يقال له: (ألم أصح لك جسدك) رواه الترمذي [٢٨].

ويتكرر الأسلوب في المجلة حيث نقرأ توجيهات دينية تحث على النظافة ويدلي الكاتب بمعلومات طبية تحتاج إلى استشارة متخصص، فمثلاً عند حلق رأس المولود في اليوم السابع لولادته تقوى لديه حاسة البصر والشم والسمع بسبب فتح مسام الجلد، لذا يجب على ولي الأمر أن يتعهد طفله بتنظيف رأسه وقص شعره وتنسيقه وتمشيطه وترجيله، لأن النظافة من مبادئ ديننا الحنيف. [٢٩]

رابعاً: التربية العقلية

الآراء التي وردت في مجلة المنار أو في تفسير المنار وتخص التربية العقلية للطفل هي آراء يكثر الاختلاف حولها لأن مصدرها الاجتهاد وليس الدليل العلمي الذي أثبتته التجربة، ومنذ أقدم العصور يجتهد المفكرون في تفسير قدرة العقل على استقبال المعلومات وفهمها وتخزينها وكل على حسب تجربته وخبرته الخاصة حتى جاء العلم الحديث باكتشافاته وصحح

الكثير من الأفكار حول العقل البشرى، كما ظهرت مقاييس الذكاء وتوصل العلماء إلى القدرات العقلية المختلفة.

والآراء التي يبديها رشيد مضى عليها أكثر من مائه عام وبالطبع تحتاج إلى دراسة وإعادة نظر إذ لا يمكن التسليم بها في الوقت الحالي يقول رشيد تحت عنوان تربية الأطفال: "إن خلايـــا الدماغ الذي هو محل الإدراك تنمو بنمو الجســد فالعناية بتربية جسد الطفل عناية بتربية عقله، وقد قلنا أنـــه في سن اللبـــان يستطيع إدراك بعض الجزئيات ويميز أيضاً بينها تمييزاً ما، وكل إدراك وتمييز يكون له أثر في نفسه وإن لم تظهر آثار ذلك كله إلاّ في المستقبل، فالمعاملة التي يعامل بها الوليد من أول النشأة هي بمنزلة الأساس لأخلاقه وملكاته وعاداته ومدركاته " [٣٠]

وفى مقال آخر يتناول محمد رشيد رضا التربية العقلية مؤكداً على أنها لا تتوقف على تعليم علم معين فليس هذا العلم تحديداً هو الذي يؤدى إلى ترقية العقل وتنميته، وإنما التربية العقلية هي أسلوب يتبع مع المتعلم يهدف إلى استقلال عقله في الفهم، وتعويده على حرية البحث وصحة الحكم على المسائل وتحرير الحقائق فبهذا تتربى العقول وتنمو الأفكار، وهى عملية متطورة ليست جامدة تختلف باختلاف العصور وتأخذ بما يستجد ويبتكر في مجال التعليم [٣١].

وفى موضع آخر ينصح رشيد الآباء والمعلمين بعدم ممارسة السيطرة وقوة التحكم على المتعلم حيث إن ذلك يفقده استقلال فكره وحرية عقله، بل يوجب عليهم إتاحة الفرصة له في إبداء آرائه واقتراحاته فيما يخصه شخصياً أو يخص المصالح العامة كما يرى ضرورة تشجيع المتعلم على المشاركة وتحسين أفكاره، حتى لا تخمد لوذعيته وينشأ على التقليد في

التربية والتعليم فيكون خامل الفكر فاسد العلم والعمل، فلابد من احترام التلميذ وإعطائه الحرية التامة في إبداء كل ما يعن له وإطلاع مربيه عليه. (٣٢)

ويؤيد رشيد رضا رأى ابن خلدون في أن (تعليم العلم صناعة) " لاختلاف الاصطلاحات فيه باختلاف العلم فهو واحد في نفسه. وأن جميع القواعد الكلية للعلوم منتزع من الجزئيات فالعلم بها مقدم على العلم بالجزئيات وأيضا البسيط مقدم على المركب وكذلك المحسوس مقدم على الفكر والتعليم على هذه الطريقة لا يحتاج إلاّ لتنبيه قليل لمعرفة ما بين الجزئيات من الفصل والاختلاف بحيث إذا ذكــرت الكليات بعد ذلك تناولها عقل التلميذ بسهولة ويسر، وحتى يتم التعليم على هذه الطريقة تتبع الخطوات التالية

- أن تلقى على التلميذ أمثلة كثيرة محسوسة في شكل جزئيات مع تعريفه بأنها يجمـــعها أمر كلى واحد.

- يطالب التلميذ بأن يأتي بأمثلة كثيرة من عنده على القاعدة فذلك يجعل التعليم عمليـــــاً ويرسخ ملكة العلم.

- يلي ذلك تفهيم للقاعدة إجمالاً ثم توضح له بأمثلة كثيرة للتثبيت، وهذه طريقـــة التعليم الموافقة للفطرة " (٣٣)

ولا ينسى رشيد رضا أن يربط بين التربية العقلية والتربية الأخلاقية حيث يرى أن الواجب على المربى أبا ومعلماً بأن يجعل المسموعات والمرئيات للطفل أساس التعلم بحيث ترسم صور الأخلاق والآراء في نفسه على أفضل ما يكون، فينبغي إلاّ يسمع إلاّ حسناً ولا يرى إلاّ حسناً، يتحتم هذا في طور التعليم الذي يسلم بكل ما يروى ويحاكى كل ما يرى، وكلما قويت فيه ملكة التمييز بنفسه بين الحق والباطل والحسن والقبيح يذكر له بالتدريج

كل ما هو معرض له من سيئات العالم وشروره بالأساليب التي تنفره من الباطل وترغبه في الحق والخير. (٣٤)

هذه باختصار مجمل أفكار وآراء محمد رشيد رضا في التربية العقلية التي يراها أنسب وأكثر فائدة للطفل، وهى آراء نافعة ولا غبار عليها واجتهاد موفق من صاحب المنار، إلاّ أن النصائح والطرق التربوية التي أشار إليها تحتاج إلى دراسات في مجال علم النفس التعليمي لإقرارها أو إدخال تعديلات عليها حتى تكتسب هذه الآراء صفة العلمية.

وعندما نقلب صفحات أعداد " الأزهر" لا نجد عن موضوع التربية العقلية إلاّ شذرات بسيطة تتصف في حقيقتها بالعمومية ويصدق عليها (الحديث المرسل الموجز) ففي مقال بالمجلة بعنوان إذا صلح المعلم نقرأ ما يلي:

" وأرى أن يدرب التلميذ أيا كانت مرحلتــه أي منذ نعومة أظفاره بجانب العلــــوم التي يدرسها على استخدام فكره وتوظيف عقله في حل مشكلاتـــــه ولا يتأتى ذلك إلاّ بجودة تدريبه على فهم ما يقرأ أو يسمع أو يكتب، وفوق هذا نشجعه على إبداء الرأي والقدرة على الحكم والتمييز بين الصواب والخطأ " (٣٥)

ونصائح أخرى بمجلة الأزهر تدعو الآباء والمربين إلى توجيه الأبناء إلى القراءة الحرة فينبغي على كل أب وأم أن يحببوا أولادهم في القراءة الحرة للكتب النافعة التي تنمى أفكارهم وتفتح آفاقهم على العلم والمعرفة ففي هذا تنمية لقدراتهم العقلية، وهم بذلك أيضا يشغلون فراغهم بما يعود عليهم بفوائد جليلة، والإنسان عندما يتعود على القراءة في صغره تصبح عادة عنده، وما أعظمها من عادة ينشأ عليها أطفالنا. (٣٦)

وفى مجلة الدعوة لم نجد الكثير عن موضوع التربية العقلية للطفل اللهم إلاّ بضعة سطور حيث يرى احد محرري المجلة أنه لكي نقوى ذاكرة الطفل ونكسبه القدرة على التنبيه والتفكير والتركيز وذلك بأن يجرى المربى الكثير من التدريبات التي تعمل به على إكساب الطفل القدرة على التنبيه ثم القدرة على التفكير فيما تنبه له ثم القدرة على التركيز فيما فكر فيه. (٣٧)

خامساً: التربية الروحية

تنشر (الأزهر) مقالاً عن إحياء الوازع الديني في نفس الطفل حيث أنه متدين بالفطرة ولكن يحتاج الأمر من الآباء ترسيخ القيم وتنبيه الضمير في نفس الطفل وإيقاظ الرقابة الإيمانية في القلب، لذلك اتخذ الكاتب من القرآن الكريم آية من سورة لقمان ليؤكد المعاني السابقة فيقول: " نداء الأبوة الرحيمة يتكرر في هذه الوصايا والدروس القـيمة للإشعار بقـرب الابن من قلب الأب الذي يدفعه إلى إحاطة الابن بالنور الذي يوضح له معالم الطريق (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (لقمان:١٦) انظر إلى المثل الذي ضربه ليقـرب المعاني المرادة من العقل والقلب ويجعلها كأنها ماثلة أمام العين، وحبـة الخردل مثل لأدنى ما يوزن فلو كان هذا الجرم الصغير مطروحاً في السمـوات على عظمـة بنيانها وحجمها وأجرامها واتساع جوانـبها أو في الأرض كـذلك أو كان في جوف صخـرة صماء لا يدخلها ضوء، فإن ذلك يقع تحت علم الله لا يغيب عنه " (٣٨)

وفى مقال آخر بالأزهر يوجه الكاتب الآباء والمعلمين إلى إتباع بعض الوصايا لإحياء الوازع الديني وهى أن نعلم الطفل أن يتجنب مفاسد الأخلاق وأن نحذره من تناول الحرام في الملبس والزينة والمظهر وكذا الحرام في المعتقدات الجاهلية كتصديق الكهان والاستقسام بالأزلام والسحر

وتعليق التمائم والتشاؤم وكذا الحرام في التقاليد الجاهلية كالانتصار للعصبية والتفاخر بالنسب والنياحة على الموتى وأن نجعل للطفل منهجاً تربوياً في اليوم والليلة يسير عليه فنعلمه دعاء الاستيقاظ وآداب الخلاء وفضل الوضوء وصلاة الفجر في المسجد وأذكار الصباح وتلاوة ما تيسر من كتاب الله، ثم يأخذ في بعض التدريبات الرياضية والمطالعة الثقافية وصلاة الضحى وآداب الخروج من المنزل والتزام آداب الطريق وأداء حق الرفيق والصاحب وأداء حق المعلم وتلقينه في المساء مأثرة إسلامية والحرص على النوم مبكراً. [٣٩]

وفى موضع آخر من "الأزهر" نقرأ عن أهم واجبات الآباء والأمهات بأن يعودوا أبناءهم على أداء الصلوات في أوقاتها والتشديد عليهم إذا تهاونوا فيها. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) رواه أبو داود والترمذي فالصلاة تعصمهم من السوء وتربطهم بأخلاق الإسلام والتأدب بآدابه.. فتطهر نفوسهم وتسمو بغرائزهم نحو الخير والفلاح، يقول تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه :١٣٢) ويقول تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) (العنكبوت: ٤٥)[٤٠]

أما الإخوان فقد عرضوا كثيراً من آرائهم في التربية الروحية مع اهتمامهم بشرح الآليات التي توضح الطرق التي يجب أن تتبع لغرس القيم والفضائل وتعميق الشعور الديني لدى الأطفال من خلال المنزل والمدرسة ففي المنزل يقوم الوالد باصطحاب أبنائه البنين إلى المسجد لأداء الفرائض فيه وعقد صلة بين الأبناء ورواد المسجد من المسلمين شباباً وشيوخاً مع المداومة على دروس المسجد وعظاته والقيام بشتى المناشط التي تمارس في بيوت الله، لأن تعلق القلوب بالمساجد سبب من أسباب رضي الله عن عبده وحبه له. [٤١]

والمنهج المقترح لدور المدرسة الابتدائية في التربية الروحية من وجهة نظر الإخوان يشمل:

أ - العبادة من طهارة ووضوء وصلاة وصوم.

ب - القصص وتشمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتراجم لأشهر الصحابة وقصص الأنبياء، وقصة انتشار الإسلام والغزوات الإسلامية.

جـ - الأناشيد وتشمل أناشيد تقوى الروح الدينية عند الأطفال وأنــاشيد تحث على حب الطبيعة وما فيها من جمال وأناشيد تغرس الفضائل والسجايــــا الحميدة في نفوس الأطفال.

د - التمثيل ويشمل قطعاً موضوعية للتمثيل نثرية كانت أم شعرية تعــتمد على القصص الديني أو الخلقي أو الوطني وعلى المربى أن يختار ما يناسب سن الأطفال ومستوى إدراكهم ويكون التمثيل باللغتين العامية والعربية السهلة " [٤٢]

ويشمل منهج الإخوان أيضا ضرورة أن يتأكد المعلم من حفظ الأطفال للآيات التي تصح بها الصلاة كالفاتحة وخواتيم القرآن الكريم وبعض الأدعية السهلة وحفظ التشهد وغير ذلك وعلى المعلم أن يهتم بكلمة الأسبوع سواء بإلقائها على التلاميذ في الطابور أو كتابتها على سبورة خاصة في فناء المدرسة أو تطبع على ورق وتوزع على الأطفال، ويهدف المعلم من ورائها إلى هدف محدد كان يجيب الأطفال على سؤال لاستنتاج فضيلة من الفضائل التي يحثنا عليها الإسلام. [٤٣]

أما عند تقليب صفحات المنار فلم نجد إلاّ إشارات عابرة عن التربية الروحية وباختصار شديد، وربما لأن سياسة الكتابة في المجلة قد اتجهت لكشف السلبيات التي تعانى الأمة من آثارها ورغبة صاحب المنار أن يدق

جرس التنبيه لكي يصحو المسلمون من غفلتهم ويدركوا حجم الأخطار التي تحدق بهم لذلك نراه يخصص أعداداً كثيرة من مجلته لنقد أوضاع التعليم وانتشار المدارس الأجنبية كما يحارب سفور النساء وكثرة المراقص في الأندية والفنادق وأيضا يهاجم التبرك وزيارة الأضرحة والتمسح بأعتاب الأولياء وغير ذلك كثير. لذا لا نرى له في هذا الموضوع سوى سطور قليلة وقد كتبها إرشاداً للمعلم عندما يدرك أن تلميذه وقع في الهوى يقول رشيد:

" إذا علم المعلم أن تلميذه عرضت له عوامل الحب وخاف عليه الشغف ولم يقدر أن يحول بينه وبين ما وقــع فيه فينبغي له أن يجذبه بزمام اللطــف حتى يكــاشفه بما في نــفسه ويستشيره في كل أمره، وبذلك يتسنى له أن يقيد مصارع الهــوى ويقــف به في الحب عند حدود الشرف " [٤٤]

وهنا، وبعد استعراض كتابات المدارس الثلاث، يمكن القول أن المنهج الذي وضعــه الإخوان في مجال التربية الروحية للطفل أكثر ملائمة لطفل المدرسة وقابل للتطبيق بأيسر السبل وإن كان يحتاج إلى معلم يؤمن بأهميته للطفل وفائدته العملية له.

سادساً: التربية الوجدانية

في تفسير المنار يتحدث " رشيد " عن أهمية تربية الإرادة في الطفل وهذا لا يتأتى إلاّ بتربية النفس وحملها على ترك الهوى الباطــل وتعويــدها حمل المكارة في سبيل الحق والخير وهذا يحتاج منذ البداية أن نربــى فــي الطفل الإرادة وهذا نوع من التربية عزيز نادر لأن من فقد إرادته فقد نفسه، وكان آلة في يد غيره أو تابعاً لهوى نفسه أو عاجزاً عن كــبح جماحهــا.... ربوا إرادة أطفالكم حتى يكونوا مالكين لأنفسهم لا مملوكين لهــا، لأن الإرادة

تتحكم في الخواطر ثم توجهها في وقت الفراغ إلى التفكير النافع الذي يغــذى العقل وينمى العلم والإيمان بما يعود على الفرد والمجتمع بالخير. (٤٥)

هنا يلفت "رشيد" النظر إلى نوع هام ومطلوب بشدة في التربية ولكن لم يقل لنا كيف نربى إرادة أطفالنا وما السبيل الذي يتبع في ذلك، وأيضا نراه في موضع آخر من التفسير يؤكد على إتباع قاعدة هامة في التربية هو عدم السماح مطلقاً للأحداث بطاعة شهواتهم والانقياد وراء أهوائهم، لأنه قلما يوجد في الناس من يتبع هواه وشهواته في الصغر ثم يرجع عن ذلك في الكبر بعد أن يصير ملكة وعادة له. (٤٦)

وهذا القول يحتاج إلى منهج أو شرح لطريقة قيام الأبوين بهذه المهمة، مهمة تربية طفلهما على كبح جماح نفسه حتى ينشأ على الحرية والاستقلال فيهديه ذلك إلى الحق والفضيلة.

ويعود رشيد لذات الموضوع بعد عام ويكتب في المنار في التربية الوجدانية بشيء من الشرح والتفصيل فيقول: " نحتاج إلى تربية العواطف النفيسة عند الطفل فكل عاطفة من تلك العواطف لها ارتبــاط في الخارج بطائفة من الوقائع، فإن الشفقة مثلاً توجد عند رؤية آلام الغير ومصائــبه، والشكر يوجد عند الإحسان وإســداء المعروف، وحب الوطن منــشأه الاعتــياد علـــى الارتبـــاط بالأمكنة والانتفاع بما فيها من الأشياء، ومحبـــة الناس تنشأ وتقوى بحســن المعاملة ولطف المجاملة، وجميع العواطف الشريفة والسجايـــا الحسنـــة توجد في نفس الطفل لكنها تكون كالنبات في طور البذر فالعالم النباتي مملـــؤ بأنواع البذور، ربما لا يتهيأ لها الإنبات طوال حياتها لما يعوزهـــا المـــاء والأرض الصـــالحة للإنبات وأشعة الشمس بنسب مخصوصة، كذلك شأن العواطف الإنسانية فإنهـــا تحتاج في ظهورهـــا ونموها إلى مستقر ملائم ومؤثر خارجي وكلنا يعلم أن طبع

الطفـــل ينمو بالمؤثـــرات الخارجية أكثر من نموه بالبواعث النفسية لأن ما نفعله أمامه من أفاعيل وما نتفـــوه به من أقاويل هو الذي يشكل وجدانه.(٤٧)
وإذا تصفحنا مجلة الأزهر لوقعت أعيننا على مقال هام يتحدث فيه كاتبه عن أفضل السبل لتربية الضمير وصقله وكيف تستطيع التربية الصالحة أن تنشئ في أطفالنا الضمير الحق، يقول الكاتب: "إن ما يسمى الضمير في عالم المدنية المعاصرة لا يصلح وحده للحكم على الأمور وتحديد ما هو حسن وما هو قبيح، وما ينبغي وما لا ينبغي لأنه بطبيعته متذبذب متقلب لا يستقر على حال، فقد يرضى عن شيء في حال ويسخط عليه في حال أخرى، حسب تغير المزاج والمكان والزمان لأن توجيهه متأثر بالنزعات العرقية ونوع التربية ومتقـــبلات البيئـــة والوسط والعرف ونوع الرفقـــة ونحو ذلك أما الضمير الذي هذبه الدين الحق وصقلته الشريعة فإنه ينظر للأمـــور على بصيرة وينطلق في مسيرته على هداية فالخير خيـــر والشر شر والحلال حلال، والحرام حرام، والشرف شرف، تأسيساً على مقتضيـــات الفـــطرة الإنسانية النقـــية التي أودعـــت في أولادنا والتي ربيت تربية صالحـــة تستمد مقوماتها وعناصرها من أوامر الله ونواهيه وهو سبحانه أعلم بعباده وبما ينفعهم وما يضرهم وما تصلح به نفوسهم وأحوالهم. لذا لزاماً علينا تربية الضمير الحـــق في وجدان أطفـــالنا حتى تستقيم به حياتهم وتصلح به نفوسهم. (٤٨)

أما في مجلة " الشهاب " ملتقى فكر الإخوان المسلمين في الأربعينيات من القرن الماضي فنقرأ بها مقالاً عن دور المربى أبا كان أو معلماً في تربية وجدان الأطفال وذلك بأن يقوم على تقوية جانب الخير ما استطاع بإنفاذ ما أمر الله به الناس من أنواع البـــر وصنوف الخير وأن يحول بين الشر وبين الطغيان على النفس بإبعاد مؤثراته عن الطفل

وبملازمته للخير وأهله ثم بتصفية الجو العام حول الناس كباراً كانوا أو صغاراً حتى لا يجتذب الإثم ببهرجة قلوب الناس ولا يستثير قوى الشر فيهم في غفلة قوى الخير، ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضاً واجباً على القادرين من أفراد الأمة يقول تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:١٠٤) (٤٩)

ويفرق المؤلف بين الإدراك والوجدان والنزوع وهو ما يظهر مدى تمكنه من موضوع مقالته كمتخصص، فالميل الوجداني لدى الطفل هو الاندفاع إلى ما يشبع وجدانه وعاطفته الجمالية كالشغف بالموسيقى والتصوير وكل ما يثير الوجدان ويشبع الرغبات العاطفية ويكون منشأ هذا الميل غريزة السرور وغريزة المحاكاة ويحتاج المربى إلى تقوية هذا النوع لترقيق عواطف الإنسان وإبعاد الخمول عنه وإبعاده من الحزن واستنهاض نشاطه وإرهاف حسه ليحس الجمال في أنواع المخلوقات (٥٠).

وفى كلمات قليلة للشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حيث ينبه ولاة الأمور إلى بعض الطرق لتكوين الوجدان التكوين الصحيح والمطلوب للطفل المسلم داعياً ولى الأمر أن يصحب ابنه إلى الاحتفالات البريئة التي تتجلى فيها مشاهدة جلال الإسلام وروعته كالجمعة والعيدين وحفل رأس السنة وذكرى الهجرة والمولد النبوي وأن يبتعد به عن ارتياد الأماكن الهازلة التي تمثل باسم الدين في الموالد (٥١).

وواضح من استعراض الآراء السابقة للمدارس الثلاث أن الأفكار التي عرضها الإخوان واضحة ومحددة ويمكن لولى الأمر أو المعلم تطبيقها وإفادة الأطفال بها.

سابعاً: التربية الوالدية" التنشئة الأسرية"

نشرت الأزهر مقالاً بغير توقيع يتناول واجبات الأبوة نحو الأبناء كتوجيهات عامة مهتدية بسير الأنبياء عليهم السلام وهم يوصون أولادهم بالدين والتزام توحيد الإله وطاعته والانقياد لأوامره وإسلام الوجوه له مثلما فعل إبراهيم الخليل ويعقوب عليهما السلام وظلت وصاياهم على ألسنتهم يلحون بها على الأبناء ويذكرونهم بها حينا بعد حين وقد فارق يعقوب الدنيا وقد اطمأنت نفسه إلى سلامة موقف أبنائه من الحق وتمسكهم به وسيرهم على منهاج آبائهم الصالحين [٥٢].

وفى مقال آخر يشرح الكاتب فيه أهمية الحنان والعطف كأحد العوامل الهامة في نجاح الأبناء استرشاداً بسيرة الرسول الكريم يقول الكاتب: "إن تربية الأبناء تحتاج إلى حكمـــة كبيرة فتتوازن مع الحزم واللين مع القسوة، وقـــبله حانية على جبين الطفل تسكب في قلبه الدفء والحنان فيحـــــــس بأنس الأبوة وعطفها وكثيراً ما فعل الحنان الأعاجيب فحول الضعف إلى قوة والتردد إلى إقبـــال والفشل إلى نجاح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأســـــوة الحسنة فقد كان يأخذ أطفال أصحابه بيد ذراعيه ويطرب لذلك، قالت عائشة: (جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أتقبلون أولادكم فما نقبلهم، فقال النبي عليه السلام له: أو املك لك شيئاً إن نزع الله من قلبك الرحمة) رواه البخاري، وكما أن الأبنـــــــاء في حاجة إلى الرحمة والحنان فهم كذلك يحتاجون إلى وقفات حازمة تقوم أعوادهم وتصحـــح مسارهم وتنبههم من غفلاتهم والشاعر العربي يقول:
فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحيانا على من يرحم " [٥٣].

وفى مقال لكاتب آخر تنشره (الأزهر) بعنوان " الأطفال أضحية أو قرابين " يعدد فيه حق الأبناء على آبائهم فيقول: "ينبغي اختيار أحب الأسماء

لهم وتربيتهم على أحسن حال مستــطاع وعدم الدعاء عليهم قال عليه السلام: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعـــوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، حتى لا توافقوا ساعة إجابة فيستجيب لكم أي فيهلك من دعوتم عليه من ولد أو مال) رواه مسلم وأبو داود، وهل بعد أن أقرت الشريعــــة السمحاء إعطاء الولد العاق حقه من الميراث كلمة في هذا المقام؟ ! أساء إلى ما أساء إلى والديه وكف الله سبحانه أيديهما عنه فما استطاعا حرمانه من ميراثهما " (٥٤)

وفى مقال (بالأزهر) أيضا بعنوان القدوة عامل هام في تنشئة الأبناء يوجه الكاتب الآباء إلى إتباع الأساليب وطرق الحياة التي تجعلهم قدوات صالحة لأبنائهم واستعان الكاتب بالأمثلة الحياتية التي نعيشها يوما بيوم فيقول: " يحذر الرسول عليه السلام من الأمور الخاطئة الصغيرة التي تصدر من الآباء والأمهات من غير قصد حتى لا ينعكس هذا الموقف على سلوكهم فينهى الرجل أن يعد ابنه بشيء وهو عازم إلاّ يفي بوعده هذا، فهذا الموقف في بساطته يترك انطباعاً في نفس الطفــل بكذب أبيه فيصبح الكذب أمراً عادياً عنده ويكبر معه، وكثيراً ما تنتقل عادة التدخين من الآباء إلى الأبناء وتكون الجناية على فلذات الأكباد قاسية مريرة وتظل لهبــاً يحرقهم، ولو تجنب الآباء هذا السلوك الضار، لكان أبناؤهم في منجاة من هذه العادة القبيحــة، كما أن الآباء والأمهات الذين يتشاغلون عن أبنائهم ويتركونهم من غير مراقبة، تكون النتيجة فشل الأبناء ووقوعهم فريسة سهلة لأصدقاء السوء وكم من أبناء ضاعوا بسبب إهمال الآباء " (٥٥).

وتنحى المنار في توجيه الآباء في سبل رعاية الأبناء منحى آخر تختلف عن توجيهات مجلة الأزهر حيث يحدد كاتب المنار أربع نصائح يراها هامة لوقاية الأبناء من الذلل والانحراف وهذه النصائح كما يلي:

١ - المنع من قرناء السوء، فالولد قد يستفيد من مثله بأكثر مما يستفيد من أبيه وأمه، لأن أفكار أترابه في درجة أفكاره، ورغباته من جنس رغباته وأعماله من قبيل أعماله.

٢ - الحيلولة بينه وبين كل ما يضره الإطلاع عليه أو التلبس به في جسـده وعقله ونفسه ولكن من حيث لا يشعر، إذ أحب شيء إلى الإنسان ما منع منه، والمحبـوب مطلوب والنهى عنه إغراء به.

٣ - أن يحمل على كل ما يطلب منه بالعمل وأن يكون الباعث له على العمل التشبه والإقتداء.

٤ - أن يرجح الترغيب على الترهيب " [٥٦].

أما عند تقليب صفحات الدعوة نراها قد حفلت بالكثير من أساليب تربية الأبناء وهى كعهدها دائما تلجأ إلى الشرح وإعطاء أمثلة، رغبة في إفادة أولياء الأمور بما يجب إتباعه وهم ينشئون أبناءهم على طاعة الله ومحبة رسوله الكريم، ففي أحد أعداد الدعوة نقرأ هذه السطور: " فمنذ يتلفظ الأبناء بالكلمات الأولى علينا – كآباء – أن نعلمهم النطق بالشهادتين ومـع مراحل نموهم نؤدبهم بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام في المأكل والملبـس والشرب ونصطحبهم معنا إلى الصلاة في المسجد يتعلمونها ويلتقون عليها. فيقال أن أحد السلف كان يعلم ابنه كيف يقول قبل النوم (الله معي ناظر إلى، الله مطلع على) فكان يرددها كل ليلة حتى إذا ما وعى قال له أبوه: يا بني أرأيت إن كان الله معك ومطلعـاً على أعمالك فهل تفعل ما يغضبه، وبهذه الطريقة وغيرها استطاع السلف أن يربـى الجيل الذي قاد الجيوش في سن الشباب ويرفع راية الحق، ويبدد ظلمات الكفر والجهل وينشر النور في شتى بقاع الأرض " [٥٧].

ونقرأ في الدعوة أيضا نصائح تربوية غاية في الأهمية تفيد القراء من الأمهات بأكثر مما تفيد الآباء وهى كما يلي:

١ - احرصي على إلاّ تتألمي أبدا من زوجك أمام أولادك ولكن اجعليهم يشعرون دائما أنكما على أتم حب ووفاق.

٢ - إن أقصى ما يؤذى الطفل أن يرى أمه تبكى وأن الذي يبكيها هو أعز الناس (أبوه) لذلك فمن بين أهدافك أن تجعلي علاقة أطفالك بوالدهم من خلالك صافية نقية، قوية متينة وإلاّ فأنت وحدك ستجنين مستقبلاً نتيجة كل التواء نفسي يصيبهم أو على الأقل الجانب الأكبر منه.

٣ - إن الطفل سيظل وخاصة إذا كان بنتاً ستتنازعه عاطفة البنوة بين الأبوين ولن ينسى أبداً صورة المشاحنات والمجادلات ومعارك الغضب والثورة التي قد تؤدى بأحـــد الطرفين إلى فقدان أعصابه فيخرج من طور الإنسان الصبـــور الودود إلى صورة قاسية جبارة قد تزعج الطفل كثيراً وتقلق نومه وهو يتصور في أحلامه ويقظتـــه أباه وهو يهم بضرب أمه، كما تصورها وهى تبكى ألما أو تعدد مساوئه " [٥٨].

وتواصل الدعوة في العدد التالي نصائح للأم حتى تحسن تربية وليدها وكلها نصائح تربوية ضرورية لتنشئة أسرية سليمة، وها هي النصائح الأربع:

١ - كوني الصديقة الأولى لأبنك وفوزي بثقته مثل فوزك بحبه وشاركيه في اختيار لعبه، وبين حين وآخر اشتركي في استخدامه لإحداها مع التوجيه، وفتح آفاق من الفكر والتساؤل ليجد عندك الإجابة المبسطة الشافية.

٢ - راقبيه من بعيد في اختيار أصدقائه، وراقبي سلوكه معهم وسلوكهم معه وإذا ما وجدت ما يستدعى تدخلك فيمكن أن تقدميه على هيئة قصة

صغيرة يستشف من خلالها مقصودك وتوجيهك ويلمس من خلالها ما يرضيك وما يغضبك.

٣ - احذري أن تهاجميه عندما يخطئ وإذا كان الخطأ قد تكرر أو أشار إلى معنى له خطورته فيجب أن يحس بغضبك ويلمس حقيقة تصرفه وحجم سلوكه.

٤ - وعن طريق الحنان والحب والصداقة والحزم، عوديه أن يلمس أخطاءه ويبوح لك بمواضعها ملتمساً مشورتك " [٥٩].

وفى عدد آخر من " الدعوة " يلفت الكاتب نظر الأمهات إلى سلوكيات خاطئة يرتكبها الطفل كرد فعل لقسوة أو تجاهل الأمهات لمطالب أو حاجات لا تتوفر له ويعدد الكاتب أنماطا من هذه السلوكيات ومنها:

١ - إذا كنت شديدة قاسية في عقاب أطفالك فإن ذلك غالباً ما يدفـــــعهم إلى الكذب لحماية أنفسهم.

٢ - إذا شعر طفلك بأن هناك تفرقة في المعاملة بينه وبين أحد إخوته أو بينه وبين وافد جديد، ولو في حالات قليلة فربما يقول لك باكياً: أخي ضربني أو كسر لعبتي مختلقاً ذلك، سعياً لاستدرار عطفك أو محاولة منه لإلحاق عقوبة بغيره انتقاماً منه لإيثارك له.

٣ - وحينما يجد الطفل نفسه محروماً من كثير من اللعب وأدوات التسلية التي يراها في أيدي أقرانه فربما مال إلى الكذب أمامهم معوضاً هذا النقص فيقول: بابا اشترى لي عروسة كبيرة وأمي أخذتني أمس إلى محلات شهيرة كي نشترى أشياء كثيرة ".

ويقدم الكاتب – الذي لم يشأ أن يذكر اسمه – وصفة العلاج وذلك " بأن على الأم أن تتجنب الظروف التي تدفع أو تساعد على الكذب وتوفر القدوة في الوالدين وفى محيط الطفل ونشجع أطفالنا على الاعتراف بالحقائق

ويحســـن مكافأتهم على ذلك، قبل التفكير في عقوبة تفرضها عليهم، مع إرشـــــــادهم ونصحهم، كما يجب أن تحل المحبة والعاطفة محل القسوة والإذلال والتشهير، وبذا يشعر الطفل بالطمأنينة ويقلع عن الكذب ومن أسبابه الهامة الخوف، وكما يجب أن نشجع أطفالنا على ذكر الحق والتعلق به يستحســـن أن نقــص عليهم القصص البسيطة الهادفة التي تبين مساوئ الكذب وسوء عاقبة الكاذبين ومحاسن الصدق والصادقين وعلو منزلتهم عند الله وعند الناس " [٦٠].

من خلال هذه الأفكار والآراء التي عرضنا لها نلحظ أن أسلوب " الدعوة " وطريقة تبسيطها للمعلومات وكثرة الأمثلة التي توضح بها هذه المعلومات – كل هذا يعطى لها قوة، فالصحيفة أو المجلة أنما تخاطب جمهوراً عريضاً من القراء يختلفون فيما بينهم تعليمياً وثقافياً، وكلما كانت الكتابة سهلة الفهم بعيدة عن الغموض لا تجنح إلى التعميم كلما كانت استفادة القراء أعظم ومن ثم تحققت الأهداف المرجوة من صدور المجلة وأدت المجلة رسالتها، وهذا بالضبط ما لاحظناه عند قراءة الدعوة.

ومجلة الأزهر تحتاج إلى هذا التبسيط فليس كل القراء علماء وإنما هناك البسطاء الذين يبحثون عن الثقافة الدينية بكل سبيل ممكن بعد ما ارتفعت أثمان الكتب، بل وامتلأت الساحة بسيل من المجلات المنافسة والتي تخاطب الشباب سواء في مجالات الفن أو الرياضة أو المغامرات.

ثامناً: التعليم المفيد

لم يقتصر دور هذه المدارس والمؤسسات بتوجيه الآباء نحو تربية وتنشئة أطفالهم في بيوتهم فحسب بل وظفت منابرها الثقافية لتوجيه المعلمين والمدارس أيضا إلى أفضل السبل لتربية ورعاية الأطفال تربية إسلامية على هدى من كتاب الله وسنة رسوله الكريم.

ومن خلال القراءة في كل من المنار والدعوة والأزهر، لاحظ الباحث اهتمام جماعة الإخوان بدور المدرسة في تربية الطفل وتعليمه اهتماماً يفوق ما عداه من المدارس الأخرى ودليل ذلك أنهم لم يكتفوا بإبراز سلبيات التعليم الحديث مثلما فعلت المنار ولم يلجأوا إلى التعميم كالأزهر وإنما اهتموا بوضع المناهج ورسموا الطرق المناسبة لتدريسها، وأيضا أرسوا الكثير من القواعد التربوية الصالحة لرعاية وتنشئة الطفل المسلم، وعندما توسعوا في الكتابة عن المنهج والمعلم والمدرسة ضاقت صفحات المجلة عن هذه الكتابات فلجأوا لنشر كتيبات صغيرة توزع كملاحق مع مجلتهم.

ولنقرأ ما كتبوه عن التعليم، ونبدأ بالنقد الذي وجهه الشيخ حسن البنا للتعليم في المدارس آنذاك أي في الأربعينيات من القرن الماضي حيث ينتقده ويعيب على المدارس الآن إهمالها دروس الدين وأنها لا تلقى منهم الاهتمام المناسب ويطالب كل موظفي المدرسة وليس المعلمين فقط سواء كان هؤلاء إداريين أو فنيين، أن يكون الاهتمام بالدين واحترامه وتشجيع ما يبدو عليهم حبه والعمل به [٦١].

ثم يتصور الشيخ حسن البنا الهيئة التي ينشدها في التعليم الابتدائي، فهي مدرسة كاملة بالمعدات

على طراز مناسب يلحق بها مسجد يتناسب مع عدد تلاميذها، وتدرس بها المواد الرسمية زائداً عليها الدين وتوابعه ويقوم بتدريس ذلك معلم ومدير على قدم راسخة في الدين والأخلاق، وضلاعة في علومها والتمسك بآدابها يسودها روح عالم ديني فاضل، أما الذي يقوم بالإشراف على هذه المدارس فهو جمعيات الشبان المسلمين والحذر من أن تتحول الغاية تدريجياً ويتغلب

العرف والتيار المادي على هذه المدارس المنشأة لغاية خاصة فتجارى غيرها ويضيع المقصد من إنشائها (٦٢).

كما أن للمعلمين أيضا أثراً كبيراً في تشكيل شخصية الأطفال فكما يحاكى الأولاد أفعال الآباء وسلوكهم فإنهم أيضا يتجهون إلى محاكاة وتقليد المعلمين في كافة أمورهم، لذلك يشترط في المعلم أن يكون قدوة حسنة كي يتشرب منه الأطفال المبادئ الإسلامية حيث إنهم في المرحلة الأولى من حياتهم يتعلمون سلوكهم عن طريق محاكاة وتقليد سلوك الكبار (٦٣).

ويطلب الشيخ البنا من المسئولين وقتذاك إصلاح مناهج التعليم فهي – في رأيه – لا تتـــــاسب الطفل المسلم ولكي تناسبه يجب أن تتوفر الحصص الكافية لفروع الدين من الفقـــــــه وأسراره والعقائد وأدلتها والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية واهتمام أكثر بفروع اللغـــــة العربية إذ هي وسيلة فهم القرآن وتدبره، وهى أساس هذا الدين وروحه، لذا فإظهار العناية بهذه المادة عناية ظاهرة وجعلها مادة أساسية، فإذا كانت المدارس مستقلة عن المدارس الحكومية أضيفـــت إلى هذه المواد مواد المنهج الحكومي حتى تحقق بذلك أمل التلميذ في التقدم إلى الشهادات الرسمية ويكون مثلها في ذلك مثل مدارس التبشير التي تبارى مدارس الحكومة في العلوم الرسمية بعد حذف ما يلزم له منها وتحقق مع هذا غايتها الدينية بإجبار التلاميذ على دراسة الدين والقيـــام بشعائره (٦٤).

والشيخ البنا يطلب أن يتضمن المنهج المدرسي حصصاً خاصة لفروع الدين وأيضا حصصاً لفروع اللغة العربية علاوة على دراسة مناهج مدارس الحكومة وربما هذا هو الذي تحقق في المعاهد الأزهرية منذ ستينيات القرن الماضي ثم طبق هذا بعد ذلك في جامعة الأزهر طبقاً للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١.

والمنهج الذي وضعه الإخوان للمدرسة الابتدائية نشروه في كتيب خاص يوزع مجاناً مع مجلة الدعوة وقد أعيد طبعه مرة أخرى عام ١٩٨٠ والكتيب بعنوان " مدارس الجمعة " ويقع في ٥٣ صفحة من القطع الصغير وهو إصدار المركز العام للإخوان المسلمين، وفيما يلي عرضا موجزاً لمحتواه:

يطالب الطفل في المرحلة الابتدائية أن يتقن تلاوة القرآن الكريم وأن يحفظ الأجزاء الأخيرة منه بالإضافة إلى ما يلي:

أن يدرس كتابا في السيرة مثل سيرة ابن هشام.

أن يقرأ رسالة مختصرة عن عقائد أهل السنة والجماعة.

أن يتقن فقه العبادات على مذهب من المذاهب الأربعة.

أن يحفظ من السنة حوالي أربعين حديثاً كالأربعين النووية.

أن يقرأ كتابا يتحدث عن معارك الإسلام ويبطل مزاعم خصومه.

أما العبادات فتكون بالرغبة لا بالرهبة والاستعانة في سبيل ذلك بالقصص والأناشيد.

وأما المعلومات العامة وتشمل:

# القراءة والكتابة	# مبادئ الحساب
# مبادئ الصحة	# البيئة المحلية

وليس من المتصور من تلك المواد أن تكون دروساً تحفظ ويجبر الأطفال على استيعابها ولكن القصد منها أن تعين الطفل على فهم ما حوله، وتقديم البيئة الطبيعية الاجتماعية له وسلوكه الطريق السوي وفق مواهبه واستعداده والغرض من الأناشيد التي تدرس للأطفال هو:

١ - تقوية الروح الدينية عند الأطفال.

٢ - إذكاء العاطفة الوطنية وإشعار الطفل بالبيئة.

٣ - تكوين الشعور بالطبيعة وما فيها من جمال.

٤ - غرس الفضائل والسجايا الحميدة في نفوس الأطفال.

وأنسب الأناشيد للأطفال ما يتوفر فيها ما يلي:

١ - السهولة للفهم

٢ - صحة الأداء للتكوين

٣ - التلحين (الموسيقى) للإمتاع

وأن تكون موضوعات الأناشيد (حب الوطن – محبة الوالدين – الجمال – الله الخالق) [٦٥]

ويهتم المنهج بدروس الألعاب ويضع نماذج لتمارين رياضية يضعها متخصصون كما هو واضح في النموذج التالي:

١ - القفز عرضا مع رفع الذراعين جانبا.

٢ - الوقوف عرضا مع رفع الذراعين أمام وجانبا.

٣ - الوقوف مع مد الذراعين جانبا وأعلى وأسفل وثنى الذراعين ثم مدهما جانبا ثم ثنيهما ومدهما أعلا ثم ثنيهما ومدهما أسفل.

٤ - الوقوف ثنى الجذع جانبا يساراً أعلا يمينا أعلى.

٥ - الوقوف برفع العقبين وثنى الركبتين في ٤ عدات رفع العقبين وثنى الركبتين ومدهما خفض العقبين.

٦ - الوقوف عرضا ثنى الجذع أمام أسفل مع الضغط ٣ مرات ثنى الجذع أمـــــام أسفل ثم الضغط في نفس الوضع اعتدال.

٧ - الوقوف اعتدال الجري في المكان مع رفع الركبتين عاليا ٤ عدات ثم الجري المعتاد في المكان ٤ عدات " [٦٦].

وواضح من برنامج الإخوان ومنهجهم في تعليم الطفل المسلم مدى اهتمامهم الشديد بتربية الطفل وتعليمه سواء في المنزل أو المدرسة ولا يلحظ

القارئ في منهجهم تزمتاً أو انغلاقاً فكريا، والدليل تشجيعهم الطلاب على دراسة الموسيقى والأناشيد الوطنية والتي تتغنى بجمال الطبيعة ثم اهتمامهم بالألعاب والتدريبات الرياضية وكلها جوانب تربوية مطلوبة للطفل.

ولم يغفل منهجهم مثلاً تعليم الطفل بعض الصناعات إذا كان لديه وقت فراغ كصناعة السلال أو الطواقى من القطن أو الصوف أو الصابون أو إصلاح الصنابير بالمنزل والتريكو للبنات [٦٧].

وإذا تركنا منهج الإخوان في التعليم وقلبنا صفحات المنار لرأينا بعض الآراء التربوية المتناثرة في أعداد المجلة، وهى ليست مقالات بل هي خطرات، كان صاحب المنار يكتبها في نهاية كل عدد من أعداد المجلة. ويضعها داخل إطار، وأن هذه الخطرات كانت مطلوبة بشدة في ذلك الوقت منذ مائه عام، حيث لم يكن هناك من يتحدث عن أي طرق لتدريس العلوم.

فيقول رشيد مثلاً في أحد أعداد المجلة: " من الخير أن تهتم المناهج بإيراد المسائل العلمية ضمن القصص الواقعية، وهذه الطريقة أول من اختطها فقهاء الإسلام في الصدر الأول، حيث كانوا يوردون الأحكام في قصص لحث التلاميذ ومحبي الفنون على الإقبال عليها [٦٨].

وينصح رشيد المربين بأن عليهم تعريف الطفل بحالة الكون المحيط به تعريفا يكون بلا شك في غاية القصور على الظواهر والاقتصار على ما لابد من معرفته، فالكون كله معان وأن كل شيء مؤثر من شأنه أن يفعل في عقل الإنسان ويولد منه فكراً، ثم من يظن أن الأطفـــال بعد سنتين أو ثلاث من عمرهم لا يكونون مفكرين فقد ظلمهم وحط من قدرهم، وقلما يوجد طفل لا يهتدي بنفسه إلى ما يعلمه القائمون عليه إياه إذا هم تكلفوا إقامته على طريقه، فعليهم أن يستعينوا بالتجربة والتمرين على إزالة بعض ما تقع فيه مشاعره من الأغلاط وأن يحثوه بالإشارة والكلام على النظر والملاحظة فإذا

فعـــلوا ذلك سهل عليهم ما يجريه من الأقيسة ربط الحوادث بعض ببعض وإرجاع بعضها إلى بعض كإرجاع استطالة ظل الرمح إلى انحدار الشمس عن أوجها، وأصبح القياس بهذه الطريقة ملكة راسخة في نفسه على ما يفيده إياه من العلوم الأولية، فإن إسناد الحوادث بعضها إلى بعض تعلما للحكم عليها.[٦٩]

هذا الحديث لرشيد رضا يدخل فيما يسمى بطرق التدريس والتي تعتمد على الاستدلال والاستقراء، لذلك تعتبر آراء رشيد في هذا الشأن وفى ذلك الوقت منذ أكثر من مائه عام تقدمية ومستقبلية بالقياس إلى غيره من علماء الإسلام في عصره ولم يغفل رشيد ضرورة ربط التعليم بالأخلاق والفضائل، فيؤكد على أن من صميم عمل المدرسة في مجال التربية تهذيب الأخلاق وذلك بملاحظة سير وسلوك التلميذ وغرس القيم الخلقية الفاضلة وهو التعليم الذي ترتقي به الأمة [٧٠].

أما " الأزهر" فلم تعط هذا الموضوع حقه من الكتابة وربما لم تستكتب أحداً من المتخصصين في الكتابة للطفل وإنما كان الكاتبون ينصحون ولاة الأمور أن يعلموا أولادهم عملاً مفيداً يكون لهم عونا في معيشتهم في قابل الأيام.

ففي أحدى المقالات يطلب الكاتب من ولى الأمر أن يهتم بتعليم أولاده الصنعة مع مراعاة صغر سنه، أي يتم التعليم في هوادة وعلى أناة وتدرج، كما علمنا ربنا في تشريع أحكامه ونزول كتابه، ويلتزم الحكمة والقدرة فلا يثقل عليهم بزيادات تضرهم وييسر عليهم الأمور من غير تعب أو عناء، كما يجب أن يعلم طفله القراءة والكتابة والسباحة والرمي فذلك يجعل منه شاباً قويا يهزم الأعداء إن اعترضوه ويخيف الظالمين أن ينالوه، فيجمع بين الرحمة لأهله وأهل الصلاح والقوة على أعداء دينه ووطنه [٧١].

وفى مكان آخر تنشر المجلة تكملة لموضوع تعليم الصناعة حيث يقول الكاتب: " ومهما كان أهله على ثراء وميسرة فإنه لا يستغنى بذلك عن العمل وكســب يده، فذلك هو الخير فلا يعيش كلا على من سبقه، فكما طعم في طفولته وصباه من عمل غيره، فإن عليه أن يغرس بيده نخلاً ويتعهد كرماً ويسقى شجراً وينثر حباً ليضع في يده الذرية المقبلة الذي نشأ عليه، والأصل أن الأجيال تتعاون وتتقارض البر فيظل العمران بــاقياً ومستمراً فيعطى كما أعطاه من سبقه فيضع في مجتمعه حجراً ليعظم البناء ويغـــرس شجراً ليبقى ذكر الله ويدوم التسبيح لله تعالى، وليتأمل العبــاد قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص في الوصية بالثلث حيث قال (والثلث كثير، إنـــك إن تذر أولادك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس) متفق عليه [٧٢].

تاسعاً: أثر التلفزيون في سلوك أطفالنا

انفردت مجلة الأزهر بالكتابة في الكثير من أعدادها عن تأثير التلفزيون في سلوك الأطفال، وسبب انفرادها بهذا الموضوع معروف وذلك لأنها استمرت في الصدور منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي وحتى اليوم في حين احتجبت المنار عام ١٩٤٠ قبل ظهور التلفزيون في مصر والعالم الإسلامي بحوالي عشرين عاماً فقد بدأ التلفزيون يبث إرساله في مصر في ٢١ يولية ١٩٦٠ أما عزوف مجلة الدعوة عن الكتابة عن سلبيات التلفزيون فلأنها احتجبت بعد واحد عشرين عاما من بدء إرساله فكان لا يزال وليدا لم تتضح بعد سلبياته وتأثيراته مثلما هي عليه الآن.

يرى كاتب " الأزهر" وهو متخصص في علم النفس كما تشير المجلة إلى ذلك: " في دراسة أجرتها السيدة (لوت بيلين) حيث اكتشفت وجود علاقة

بين الذكاء والطبقة الاجتماعية والدين ومدى مشاهدة التلفزيون، كما أن المشاكل الشخصية للطفل مثل أن يكون دميماً أو سمينا بدرجة لافته للنظر أو منطويا... إلخ لها علاقة بمحتوى البرامج التي يشاهدها الطفل، وأن الذي يعانى من بعض هذه المشاكل يميل إلى مشاهدة الأفلام التي يقوم البطل فيها بأعمال عدائية.. كما أن المشاكل العائلية ونزاع الوالدين يشعر الطفل بعدم الأمان فيرى الأمور بعين ساخطة وتطول مدة مشاهدته للتلفزيون ويتأثر بما يشاهده إلى حد بعيد ولأنه أيضا افتقد القدوة في منزله، فلهذا فإن الأطفال الذين يشعرون بالإحباط يميلون إلى التنفيس عن مشاعرهم بطريقة تعويضية بمشاهدتهم للبرامج الخيالية كما يتأثر سلوكهم بأعمال العدوان التي يرونها في التلفزيون " [٧٣].

ويستطرد كاتب الموضوع مؤكداً أن كثيرا من برامج التلفزيون تعرض مشاهد العنف والقسوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة لذا فإن المواجهة للطفل مع العنف والسلوك الوحشي تحدث على شاشة التلفزيون ويرى كثير من علماء النفس وجود علاقة ارتباطية بين زيادة جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الوحشي، وفى دراسة قام بها د. وليام بيلسون لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال للعنف في التلفزيون وبين اكتسابهم سلوك العنف في حياتهم العملية، وكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي: " إن الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف يتسم سلوكهم بالعنف إلى درجة كبيرة تزيد حوالي الضعف عن أولئك الذين لا يشاهدون إلاّ أقل القليل من هذه البرامج

- توجد خمسة برامج تلفزيونية تسبب هذا العنف وسوف نذكرها وهى أفلام رعاة البقر، مباريات الملاكمة والمصارعة والكاراتيه، أفلام الجريمة، والأفلام البوليسية، والتمثيليات التي تظهر أبطالها وهى تمارس العنف ضد

بعضها البعض الآخر. فلخطورة القضية يكفى أن نشير إلى تصريح خطير للرئيس الراحل جون كنيدي رئيس الولايات المتحدة في أوائل الستينات، يقول: " إن الجريمة زادت بسبب التلفزيون، وأن مكافحة انحراف الأحداث يكلف بلاده حوالي خمسة بلايين دولار سنوياً. "

ويذكر الكاتب: " أن هناك في الولايات المتحدة لجان فنية تراقب ما يذاع سواء في شبكات الإذاعـــــة أو التلفزيون إن كانت إقليمية أو مركزية وتوقع العقوبات الرادعة إلى حد سحب ترخيص الإذاعة أو التلفزيون. " [٧٤]

وفى دراسة أخرى لم يذكر الكاتب صاحبها وإنما اكتفى بنقل النتائج التي تمخضت عنها فيقول: وهناك دراسة عن التلفزيون أجريت في مجال التأثير على الأطفال وقد أظهرت نتائج مفادها أن هذا التأثير يتم وفقاً لعدة عناصر: -

القدرة العقلية

وهى المؤشر الأساسي الذي يحدد لنا قدرة الطفل على التعلم وإلى أي مدى يستطيع أن يفرق بين الحقيقة والخيال وبين الغث والسمين من البرامج وتكون رؤيته لها رؤية ناقدة ولا يأخذها كمسلمات.

السن أو العمر

فكلما كبر الطفل زادت ساعات مشاهدته حتى يصل إلى الحد الذي لا يزيد عليه إلاّ وقت النوم أو اللعب.

العلاقات الاجتماعية

ويقصد بها تلك العلاقة الكائنة بين الطفل ووالديه، وبين والديه وكل منهما مع الآخر، ومدى الاستقرار العائلي أو الإشباع العاطفي وكلما زاد الإشباع قلت المشاهدة لهذه البرامج ذات الأثر السلبي. [٧٥] ولكن كاتب المقال برغم تناوله لهذا الموضوع من وجهة نظر علمية إلاّ أنه لم يضع التوصيات

والمقترحات التي تعالج هذه المشكلة وتساعد الآباء أو المسئولين على تلافى سلبيات مشاهدة الطفل لبرامج التلفزيون ولكنه اكتفى بالفقرة التالية كختام للموضوع

" ومن هنا فإن الطفل إنسان يكون في أمس الحاجة إلى من يفهمه ويقدر مشاكله ويساعده على حلها ويأخذ بيده إلى بر الأمان بدلا من الصياح في وجهه ومقابلة مشاكله بعـــــدم الاكتراث ومن هنا يهرب الطفل إلى الخيال ويستعين بجهـــاز التلفزيون على ذلك حيث يرى فيه وسيلـــــة للتنفيس عما عجز عن حله من مشاكله، كما يجب أن نعلم يقيناً أن الظروف المحيطة بالطفل والحاجات التي يحس بها وظروف العائلة ومستواها الاجتماعي ودرجة الوعي لدى الأم والأب كل هذه الأمور هي التي تقرر كيفية استعماله للتلفزيون وبالتالي تقرر النتائج المترتبة على هذا الاستعمال."(٧٦)

عاشراً: وقاية الأطفال من الانحراف

نشرت الأزهر موضوعا متكاملاً استوفى أسباب انحراف الأبناء وأيضا رسم الطريق للوقاية والعلاج في عددين متتالين من أعداد المجلة.

يبدأ الكاتب بتعدد أسباب الانحراف التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية: -

١ - تصدع العلاقات الأسرية وانهيار الجو العائلي لموت الأب أو الأم أو كليهما أو هجر أحدهما للأخر أو إدمان أحدهما أو معاناتهما في الحياة اقتصاديا أو صحياً أو نفسيا، مما يحرم الطفل من الأمان والحب والثقة والطمأنينة، وتشير الدراسات الاجتماعية إلى أن تأثير الصراع الأسرى أسوأ

من أثر غياب أحد الوالدين، حيث يؤدى هذا الصراع إلى الاضطرابات النفسية وانعدام الثقة.

٢ - الخلافات المستمرة الدائمة بين الأب والأم التي تخلق جوا من التوتر الذي يشيع في جو الأسرة مما يؤدى إلى نمو الطفل نموا غير سوى وإلى أنماط سلوكية مضطربة كالغيرة والأنانية والخوف وعدم التوازن الانفعالي الذي يدفعه إلى الهرب.

٣ - العلاقات والاتجاهات السيئة نحو الأبناء وافتعال الظروف المغالي فيها كالحماية الزائدة أو الإهمال

أو التسلط أو تفضيل الذكر على الأنثى أو الصغير على الكبير، مما قد يؤدى إلى اضطرابات الطفل انفعاليا وهذا أيضا قد يدفعه للهرب.

٤ - غرس الأسرة للحقد والكراهية والنقمة في نفوس الأبناء – منذ الصغر – فتكون النتيجة توريد جيل من المشكلين الجانحين المنحرفين.

٥ - القسوة والمبالغة في التربية الصارمة وفى النظام وفى الدقة والنظافة والميل إلى البخل والتقتير وكلها أمور تحيد بالطفل عن الطريق السوي فيميل إلى العدوان والميل إلى المبالغة والرغبة في الهروب. [٧٧]

والكاتب لا يضع مسئولية الانحراف على الأسرة وحدها وإنما يتعداها إلى جماعة اللعب واللهو ورفاق السوء، إذ تشير إحدى الدراسات إلى أن هناك ما يعرف بـــ (فجوة الأجيال) التي يتعرض لها الطفل حيث يحرص على الانتماء إلى جماعة ما لتحقيق قدر من التفاهم المتبادل المشترك لفهم مشاكلهم بعد أن يحسوا – ولو من وجهة نظرهم – أن هناك تباعدا بين أفكارهم وأفكار والديهم مما يجعلهم يشعرون بأن آباءهم لا يهتمون بهم مما يعزلهم عنهم ويتسبب في حصرهم في نطاق تمركزهم حول أنفسهم مما يخلق لديهم الإحساس بالاغتراب. [٧٨]

ويرسم الكاتب طريقا للوقاية والعلاج على هدى القرآن الكريم والسنة المطهرة، ففي سورة التحريم آية كريمة تخاطب المؤمنين وتأمرهم أن يحفظوا أنفسهم وأولادهم وأهليهم مما يرديهم في النار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم:٦).

والإمام على يقول (علموا أهليكم الخير وأدبوهم) إذ أن التربية الإسلامية الصحيحة تحمى أولادنا من الانحراف عن الجادة إذ هي تصقل وجدان الطفل وتهذب ضميره حيث تطبع في نفسه كل القيم الفاضلة وحب الخير لهم وللناس أجمعين، وفى الحديث الشريف: (كلكم راع ومسئول عن رعيته) رواه البخاري ومسلم. [٧٩]

ويرى الكاتب إن من أهم سبل الوقاية للأبناء الوفاق والعلاقات السوية بين الوالدين والسعادة الزوجية وتماسك الأسرة وخلق جو يساعد على إشباع حاجات الأبناء من الأمن النفسي والتوافق الاجتماعي. [٨٠]

ويتوجه الكاتب إلى وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة ويخاطب المسئولين عنها بأن يتقوا الله في أبنائنا وأطفالنا ولا يعرضوا إلاّ ما يرتضيه دينهم وأخلاقهم ولا يسمحوا بعرض المواد الإعلامية إلاّ ما تسمح رقابتهم الذاتية من ضمائرهم به من خلال ديننا الحنيف بفطرته التي فطر الله الناس عليها وذلك حرصا على فلذات أكبادنا. [٨١]

وفى تفسير رشيد رضا محذراً الآباء من الانشغال عن الأبناء وتركهم بدون مراقبة وعدم التحري والسؤال عن أصدقائهم ومعرفة الأماكن التي يترددون عليها وموضوعات الكتب التي يقرأونها وأن يتجاذبوا معهم أطراف الحديث للكشف عن مكنون صدورهم للتعرف على مشكلاتهم ومعاناتهم حتى يمكن مساعدتهم ووضعهم على الطريق المستقيم.[٨٢] يختصر ما سبق في نداء موجه للآباء بأن يحسنوا التعامل مع الأبناء وان يحاولوا أن

ينقذوهم من الذلل، ويفهموا دوافعهم البريئة، ولئن كان القهر ضروريا في بعض الأحيان فمن الواجب أن يكون داخليا لا خارجيا والتشجيع أفضل من العقاب، فإن كان لابد من لوم فيجب أن يكون سراً لا يطلع عليه أحد وما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة. (٨٣)

حادي عشر: من أمراض الطفولة

كتبت إحدى الطبيبات ثلاث مقالات عن أمراض الأطفال في مجلة الأزهر، واستغرق مرض الأطفال المعروف بأنيميا البحر المتوسط المقالات الثلاث. فيحمد هذا للمجلة حيث دأبت في السنوات الأخيرة على نشر موضوعات علمية لمتخصصين في شتى المجالات المعرفية، وقد مر بنا خلال صفحات هذا البحث وما سوف نرى في ثبت المراجع أسماء هؤلاء المتخصصين، وطبعا هذا يفيد قارئ المجلة ويعطى الثقة في المعلومات الواردة بالمقالات.

ونعود لمرضى أنيميا البحر المتوسط الذي ينتشر في الأوساط الطبية باسم مرض فقر الدم وهو ناتج من زيادة تحلل كرات الدم الحمراء وأهم أعراض هذا المرض تأخر النمو الجسماني الذي يظهر في طول جسم المريض ووزنه بسبب قلة الأكسيجين المغذية لخلايا جسم الطفل المصاب كما يتأخر البلوغ الجنسي للطفل عن معدله الطبيعي. (٨٤)

وفى المقالة التي نشرت في المجلة في العدد التالي ووصفت الطبيبة علاج المرض وذلك بنقل دم للطفل المصاب مع الاحتراس من حدوث هبوط في القلب أو علاج الطفل بعقار الكورتيزون وإذا لم يستجب الجسم للعقار فلابد من إجراء عملية استئصال طحال الطفل وبذلك نجنبه مضاعفات المرض. (٨٥)

ويرى الباحث أن عرض موضوع طبي كهذا الموضوع في مجلة مقروءة يحتاج إلى تبسيط، كما يحتاج من الطبيب اختيار موضوعات تهم قطاع كبير من القراء ويتعلق بأمراض الأطفال مثل أمراض الحصبة والتهاب الغدة النكفية، والتبول اللاإرادي والتهاب اللوزتين والحمى الروماتيزمية وغير ذلك.

التوصيات والتوجيهات

المادة الثقافية المنشورة في الصحف أو المجلات أكثر تأثيرا في الرأي العام، وفى جمهور الأمة بحكم إن هذه الصحف والمجلات تخاطب مختلف المستويات التعليمية وأيضا مواكبتها للأحداث الجارية
ومتابعتها للجديد في كافة المجالات، وهى بهذا تتفوق على الكتاب فضلاً عن رخص ثمنها وتوافرها في كل مكان، وهى تقوم بدور هام في نشر الثقافة بين الناس فيجب أن يعي القائمون على أمر هذه المجلات طبيعة هذا الدور بأن يهتموا بالمواد المنشورة فيها بحيث يكون نافعاً وصحيحاً علميا ويوجه أبناء الأمة إلى ما فيه الخير والصلاح للمجتمع والأفراد على حد سواء.

وفى ضوء ما سبق يوصى الباحث بما يلي:

١ - إلاّ يكتب في المجلة التي تخاطب الطفل على سبيل المثال إلاّ أهل التخصص والذين يجيدون الكتابة التي تصل إلى عقول القراء وذلك لقدرة هؤلاء الكتاب على تبسيط المعلومات وبأسلوب سهل وأن تكون الكتابة في موضوعات تشغل أذهان الناس ويحتاجون إلى من يفيدهم بالرأي السليم في الطرق الصحيحة لتربية الطفل.

٢ - أن تتشكل لجان متخصصة من التربويين لقراءة ودراسة أدبيات الطفولة لعمل كتب أو مجلدات من حصيلة جمع هذه المقالات المتناثرة في المجالات

والتي تدور حول موضوع تربية الطفل لإفادة الآباء والأمهات عن أسلم وأفضل الطرق العلمية في التربية، كما يستفيد الباحثون وطلاب العلم من هذه الكتب.

٣ - ضرورة أن تهتم المجلات التي تعنى بتربية الطفل بالإشارة إلى اسم كاتب المقال وتخصصه وعمله، ويفضل أن يكون ذلك في نهاية المقال بحيث يوضع في إطار يوضح أسماء كتبه المنشورة في مجال الطفولة فضلاً عن مسيرته العلمية وتسلسله الوظيفي فهذا الأمر يعطى للمقال مصداقية ويجعل القراء يثقون في كل ما يرد في المقال من معلومات تفيد رعاية الطفل وتربيته.

٤ - من الأهمية بل ومن الضروري أن تدعم الحكومات الإسلامية المجلات المتخصصة للطفل والتي تهتم برعايته في مختلف مراحل نموه على أن تكون هذه المجلات رخيصة الثمن تستطيع الفئات محدودة الدخل أن تقتنيها، كما أن المجلات التي تخاطب الطفل في مراحل عمره المختلفة تكون ذات أغلفة وألوان جذابة تغريه بالقراءة.

٥ - يقترح الباحث أن يقوم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإنشاء مجلة خاصة بالطفل المسلم تتناول كل ما يتصل بنموه وتربيته وتنشئته من كافة النواحي وأن يتولى أمر الكتابة فيها المتخصصون كالأطباء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الدين وأساتذة التربية.

٦ - يدرك القارئ لموضوعات هذه المجلات بأن هناك اهتماماً بالكتابة عن الأم ورعايتها في الحمل والولادة وأيضا عند اختيارها كزوجة كما أن هناك من يتوجه إليها بالحديث عن دورها في رعاية الطفل بينما الاهتمام بالأب يكاد ينعدم، وهذا إخلال في توزيع المسئولية نحو تربية الأبناء لذا يجب أن

تتوازن الكتابات في تلك المجلات بحيث يتجه الكتاب بتوجيهاتهم إلى كل مـــن الأب والأم معاً فكلاهما راع وكلاهما مسئول عن رعيته.

مصادر ومراجع الكتاب

١ - محمد عبد السميع شبانه: " مسئوليتنا نحو أبنائنـــا " مجلـــة الأزهـــر، ذو القعدة ١٤٠٨ هـــ يونيه / يوليه ١٩٨٨، ص ١٤٧٨.

٢ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: " الإسلام ورعايته للطفولة "، ملحق مجلة الأزهر، صفر ١٤٢٠ هـــ، مارس ٢٠٠٠، ص ١٩.

٣ - المرجع السابق، ص ١١.

٤ - عبد العزيز عطية: " نظرات في التربية "، مجلة الشهاب، ربيـــع الثـــاني ١٣٦٧ هـــ، فبراير ١٩٤٨، ص ٢٨٠.

٥ - مجلة الدعوة: غرة جماد الثانية ١٣٩٧ هـــ، مايو ١٩٧٧، ص ٤٨.

٦ - مجلة الدعوة: غرة ربيع الثاني ١٣٩٧ هـــ، مارس ١٩٧٧، ص ٤٨.

٧ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق، ص ص ٢٢، ٢٣.

٨ - مجلة المنار: ٥ ذي القعدة ١٣١٦ هـــ، ١٨ مارس ١٨٩٩، جـــ ٢، ص ص ٥٤، ٥٥.

٩ - مجلة المنار: ٢٨ شوال ١٣١٦ هـــ، ١١ مارس ١٨٩٩، جـــــ ٢، ص ١٥.

١٠ - مجلة الدعوة: ذو الحجة ١٣٩٦ هـــ، نوفمبر ١٩٧٦، ص ٤٨.

١١ - مجلة الدعوة: غرة ذي القعدة ١٣٩٨ هـــ، أكتوبر ١٩٧٨، ص ٥٥.

١٢ - مجلة الدعوة: ذو الحجة ١٣٩٦ هـــ، نوفمبر ١٩٧٦، ص ٤٩.

١٣ - مجلة المنار: ١٩ ذي الحجة ١٣١٦ هـــ، ٢٩ أبريل ١٨٩٩، جـــــ ٢، ص ١٠٩.

١٤ - المرجع السابق، ص ١١٠.

١٥ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

١٦ - مجلة الدعوة: غرة رمضان ١٣٩٨ هـــ، أغسطس ١٩٧٩، ص ٥٤.

١٧ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق، ص ص ٢٩، ٣٠.

١٨ - مجلة المنار: ٢٦ ذي الحجة ١٣١٦ هـ، ٦ مايو ١٨٩٩، جـ ٢، ص ١٢١.

١٩ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق، ص ص ٥٨، ٥٩.

٢٠ - مجلة المنار: ١٩ ذي الحجة ١٣١٦ هـ، ٢٩ أبريل ١٨٩٩، جـ ٢، ص ١٠٧.

٢١ - مجلة المنار: ٦ شعبان ١٣١٧ هـ، ١٩ ديسمبر ١٨٩٩، جـ ٢، ص ص ٦١٦، ٦١٧.

٢٢ - مجلة المنار: ١٩ ذي الحجة ١٣١٦ هـ، ٢٩ أبريل ١٨٩٩، جـ ٢، ص ١٢٢.

٢٣ - مجلة الدعوة: غرة شوال ١٣٩٩ هـ، سبتمبر ١٩٧٩، ص ٣٧.

٢٤ - المرجع السابق، ص ص ٣٨، ٣٩.

٢٥ - المرجع السابق، ص ص ٤٠، ٤١.

٢٦ - مجلة الدعوة: غرة محرم ١٣٩٧ هـ، ديسمبر ١٩٧٦، ص ٤٢.

٢٧ - مجلة الدعوة: غرة صفر ١٣٩٧ هـ، يناير ١٩٧٧، ص ٤٣.

٢٨ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق، ص ١٨.

٢٩ - المرجع السابق، ص ص ٤٥، ٤٦.

٣٠ - مجلة المنار: ٥ ذي الحجة ١٣١٦ هـ، ١٥ أبريل ١٨٩٩، جـ ٢، ص ص ٩٠، ٩١.

٣١ - المرجع السابق، ص ٥٧.

٣٢ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، مطبعة المنار، جـ ٧، ص ٣٠٠.

٣٣ - مجلة المنار: ٥ ذي الحجة ١٣١٦ هـ، ١٥ أبريل ١٨٩٩، جـ ٢، ص ٩٤.

٣٤ - مجلة المنار: ١٠ رجب ١٣٢٨ هـ، ٣ سبتمبر ١٩١٠، جـ ٨، ص ٥٩٩.

٣٥ - الشريف محمود إمام: " إذا صلح المعلم "، مجلة الأزهر، جمادى الآخرة، ١٤١٨ هـ، أكتوبر ١٩٩٧، ص ٩٩١.

٣٦ - أحمد بن محمد طاحون: " في رعاية الناشئة إحسان إلى أنفسنا " مجلة الأزهر، ذي القعدة ١٤١٧ هـ، مارس ١٩٩٧، ص ١٤٨٢.

٣٧ - مجلة الدعوة: غرة شوال ١٣٩٨ هـ، ديسمبر ١٩٧٨، ص ٣٤.

٣٨ - أحمد بن محمد طاحون: مرجع سابق، ص ١٥٩١.

٣٩ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق ص ٣٤.

٤٠ - مجلة الأزهر: غرة ذي القعدة ١٤١٧ هـ، مارس ١٩٩٧، ص ١٣٣٠.

٤١ - على عبد الحليم محمود: " وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، المنصورة، ١٩٨٩، ص ١٤٣.

٤٢ - أحمد ربيع عبد الحميد: " الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، مكتبة وهبه، ١٩٨٤، ص ١٥٦.

٤٣ - المرجع السابق، ص ١٥٧.

٤٤ - مجلة المنار: ٥ ربيع أول ١٣١٧ هـ، ٢٠ يوليه ١٨٩٩، جـ ٢، ص ٣٠٠.

٤٥ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، جـ ٥، مرجع سابق، ص ٥٩.

٤٦ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، جـ ٧، مرجع سابق ص ٦٢.

٤٧ - مجلة المنار: غرة جمادى الأولى ١٣١٨ هـ، ٢٧ أغسطس ١٩٠٠، جـ ٣، ص ٤١٧.

٤٨ - أحمد بن محمد طاحون: مرجع سابق، ص ١٥٩١.

٤٩ - عبد العزيز عطية: مرجع سابق، ص ٦٠.

٥٠ - المرجع السابق، ص ٦٢.

٥١ - حسن البنا: " تربية النشء "، دار السعادة، (د.ت)، ص ٢٦.

٥٢ - مجلة الأزهر: ذي القعدة ١٤١٧ هـ، ١٤ مارس ١٩٩٧، ص ١٥٩٠.

٥٣ - محمد عبد السميع شبانه: مرجع سابق، ص ١٤٨٠.

٥٤ - على أحمد على: " الأطفال أضحية أو قرابين " مجلة الأزهر، ذي القعدة ١٤٢٣ هـ، يناير ٢٠٠٣، ص ١٨١٦.

٥٥ - محمد عبد السميع شبانه: مرجع سابق ١٤٨٠.

٥٦ - مجلة المنار: ٢ جمادى الآخرة ١٣١٧ هـ، ٧ أكتوبر ١٨٩٩، جـ ٢، ص ٤٧٣.

٥٧ - مجلة الدعوة: غرة ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ، مارس ١٩٧٩، ص ٥٠.

٥٨ - مجلة الدعوة: غرة رجب ١٣٩٩ هـ، يونيه ١٩٧٩، ص ٣٤.

٥٩ - مجلة الدعوة: غرة شعبان ١٣٩٩ هـ، يوليه ١٩٧٩، ص ٣٤.

٦٠ - مجلة الدعوة: ذو الحجة ١٣٩٦ هـ، نوفمبر ١٩٧٦، ص ٤٨.

٦١ - حسن البنا: مرجع سابق، ص ١٣٨.

٦٢ - المرجع السابق، ص ٢٦.

٦٣ - أحمد ربيع عبد الحميد: مرجع سابق، ص ١٣٥.

٦٤ - حسن البنا: مرجع سابق، ص ص ٢٤، ٢٥.

٦٥ - مدارس الجمعة: المركز العام للإخوان المسلمين، دار الأنصار، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠، ص ص ١٢ - ١٦.

٦٦ - المرجع السابق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠، ص ٦٦.

٦٧ - المرجع السابق، ص ٣٦.

٦٨ - مجلة المنار: ٢٦ ذي الحجة ١٣١٥ هـ، ١٠ مايو ١٨٩٨، جـ ٢، ص ١٦٤.
٦٩ - مجلة المنار: ٥ ذي القعدة ١٣١٨ هـ، ٦ مايو ١٩٠٠، جـ ٣، ص ص ٦٠٩، ٦١٠.
٧٠ - مجلة المنار: ٦ شعبان ١٣١٩ هـ، ٧ يونيه ١٩٠٢، جـ ٥، ص ٧٤.
٧١ - عبد المعز عبد الحميد الجزار: مرجع سابق، ص ٨٨.
٧٢ - المرجع السابق، ص ٤٣.
٧٣ - حسن محمد العينبسى: " أثر التلفزيون في سلوك أطفالنا " مجلة الأزهر، رمضان ١٤٠٣ هـ، يونيه ١٩٨٣، ص ١٣١٥.
٧٤ - المرجع السابق، ص ١٣١٦.
٧٥ - المرجع السابق، ص ١٣١٧.
٧٦ - المرجع السابق، ص ١٣١٨.
٧٧ - محمد عبد السلام ناصف: " وقاية الأطفال من الانحراف "، مجلة الأزهر، محرم ١٤١٨ هـ، مايو ١٩٧٧، ص ١١٠.
٧٨ - المرجع السابق، ص ص ١١٠، ١١١.
٧٩ - المرجع السابق، ص ١١١.
٨٠ - المرجع السابق، ص ١١٢.
٨١ - المرجع السابق، ص ١١٣.
٨٢ - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، جـ ٧، مرجع سابق، ص ١٨١.
٨٣ - مجلة الدعوة: صفر ١٤٠١ هـ، ديسمبر ١٩٨٠، ص ٣٥.
٨٤ - جيهان أحمد مصطفى: " أنيميا البحر المتوسط "، مجلة الأزهر، شعبان ١٤١٦ هـ، يناير ١٩٩٦، ص ١١٩٣.
٨٥ - المرجع السابق، ص ١١٩٤.

ثقافة الطفل العربي الإسلامية والعلمية

د. عبد الرحمن النقيب

مقدمة البحث وأهميته:

اختلفت الدراسات في تحديد مرحلة الطفولة باختلاف الأساس الـذي تقوم عليه. فالدراسات التي تناولت التركيب العمري لمجتمع ما عـل أســاس القدرة على العمل والإنتاج، قصدت بمرحلة الطفولة "الأطفال العاديين الـذين يبلغ عمرهم أقل من ١٥ سنة تمييزًا لهم عن السكان البالغين أو قـوة العمـل النظرية ما بين ١٥ - ٦٤ سنة"[١] أما الدراسات القانونية فقد اعتبرت الإنسان طفلاً إذا كانت سنة أقل من ثمانية عشر عامًا. وفي بعض الـدول المتقدمـة يمتد سن الطفولة بالنسبة للقانون إلى الحادية والعشـرين[٢]. وتـرى معظـم الدراسات التربوية والنفسية أن مرحلة الطفولة تمتد من الميلاد حتى المرحلـة الأولى من التعليم أي عندما تصل سنه إلى اثني عشر عامًا تقريبًا[٣].

وتفضل الدراسات التي عالجت ثقافة الطفل أن تعني بالأطفال "أولئك الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من أعمارهم، والذين يتهيأ لهـم أن يلعبـوا ويغنوا ويستمعوا إلى الموسيقى والبرامج ويشـاهدوا السـينما والتليفزيـون ويقرأوا الكتب والمجلات وتجمعهم المدارس والأندية والساحات والمكتبـات والمعسكرات"[٤]. ولعل هذا التحديد هو الأنسب لموضوع الدراسـة الحاليـة حيث يدخل الطفل بعدها إلى مرحلة الشباب والنضج والرشد. ولأن الدراسـة الحالية تقوم على أساس أن الطفل العربي بانتهاء تلك الفترة يفترض أن يكون قد حصل على الثقافة الإسلامية والعلمية المناسبة لتكـوين شخصـيته التـي يستقبل بها مرحلة الشباب.

ويمثل الأطفال بهذا المعنى فئة كبيرة من العدد الإجمالي لسكان العالم العربي، إذ يبلغ عددهم طبقًا لتقديرات ١٩٧٩م حـوالي ٤٤.٦% مـن عـدد السكان. ومن هذا العدد ٣٢% في سن أقل من ١٢ سنة[٥]. ورغم أن جميـع مراحل العمر تأخذ أدوارًا هامة في تشكيل الصورة النهائية لشخصية الفـرد،

غير أن أحدًا لا ينكر أن مرحلة الطفولة هي أكثر المراحل استجابة للتغير الاجتماعي والثقافي والفني. ولهذا تأتي أهمية العناية بتلك المرحلة لتزداد ثراءً وعطاء[٦].

ورغم الأهمية الظاهرة لتلك المرحلة، فقد أكدت الكثير من الدراسات على أن الاهتمام بالطفل العربي لم يشكل هاجسًا قوميًا، إذ أن الدراسات والأبحاث التي تتناول الطفل العربي من كافة النواحي العلمية والنفسية والثقافية لم تنجز بعد[٧].

وفي غيبة الدراسات التي تسعى لفهم الطفولة وتخطط لإعادة بنائها بما يتلاءم مع طموحاتنا المستقبلية، يتحول أطفالنا إلى أكثرية صامتة[٨] لا تملك الوعي لمعرفة مدى الظلم الذي تتعرض له عندما لا تعد الإعداد المناسب لمواجهة تحديات العصر. والدراسة الحالية محاولة أولية للفت النظر إلى بعد هام من أبعاد شخصية الطفل العربي المتصلة بثقافته الإسلامية والعلمية، ومدى كفاية تلك الثقافة لطفل القرن العشرين.

مشكلة البحث:

يمكن طرح مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

- ما هي عناصر الثقافة الإسلامية والعلمية الضرورية للطفل العربي ليكون قادرًا على الحياة العصرية بكل ما تمثله من تحديات ومتطلبات؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية هي:

- الثقافة الإسلامية والعلمية للطفل العربي لماذا؟
- ما أهم العناصر التي ينبغي أن تشتمل عليها ثقافة الطفل العربي من الناحية الإسلامية؟
- ما أهم العناصر التي ينبغي أن تشتمل عليها ثقافة الطفل العربي من الناحية العلمية؟

- ما هي الخطوات العملية لإيجاد تلك الثقافة الإسلامية والعلمية المستهدفة؟

حدود البحث:

تقتصر الدراسة الحالية على توضيح مدى حاجة الطفل العربي لنوعية متطورة من الثقافة الإسلامية والعلمية. مع وضع خطوط عامة لتلك الثقافة دون الدخول في التفصيلات الدقيقة. كذلك تقدم الدراسة تصورًا نظريًا لمنظمة إسلامية للطفل العربي، وتحدد مهام تلك المنظمة المقترحة دون الإسهاب في فنية الإجراءات والأنشطة العملية اللازمة لتحقيق تلك المهام، إن هذه الأمور ليست من عمل أي باحث فرد مهما كان، ولكنها من عمل مجموعة من الباحثين والقيادات الإسلامية والعلمية التي ستفرزها حتمية التحدي الذي تواجهه أمتنا العربي والإسلامية.

خطوات البحث:

١. توضيح أهمية توفير ثقافة إسلامية وعلمية متطورة للطفل العربي.
٢. عرض الخطوط العامة التي يفترض أن تشتمل عليها تلك الثقافة الإسلامية والعلمية المستهدفة.
٣. الدعوة إلى إيجاد منظمة إسلامية للطفل العربي يعهد إليها بوضع الإستراتيجية والخطط التنفيذية المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

أولاً: الثقافة الإسلامية والعلمية للطفل العربي: لماذا؟

تتبنى الدراسة الحالية وجهة النظر التي ترى أن ثقافة الطفل العربي من الناحية الإسلامية والعلمية تعتبر ثقافة ناقصة ومبتورة. ولا تعد الطفل العربي ليكون مسلمًا قويًا، ولا صاحب نظرة علمية للكون والحياة. ورغم أننا

نحن أبناء العالم الإسلامي أصحاب عقيدة دينية لهـا مبادئها وخصائصها. وهي قادرة على تحريك الأفراد والشعوب، ورغم أن الأيدلوجيات الأخرى قد غزت عالمنا الإسلامي وأصبح لها وجود خطير كما في اليمن الجنوبية وأفغانستان. ورغم قدرة التربية الإسلامية الصحيحة على مواجهة هذا الغزو الأيدولوجي، فإن الاهتمام بالتربية الدينية أقل من الاهتمام بالمواد الأخرى داخل مؤسسات التعليم. ففي مصر مثلاً نجد أن "حصص مواد اللغة الإنجليزية تبلغ ثلاثة أمثال حصص التربية الدينية، وحصص المواد الاجتماعية ضعف عدد حصصها، وكذلك بالنسبة لحصص مادة العلوم ومادة الرياضيات"(٩).

وحتى في الدول التي اهتمت بالتربية الدينية من حيث عدد الحصص كالسعودية حيث شكل التعليم الديني فيها ٣٢.٥% من منهج التعليم العام بالمرحلة المتوسطة(١٠)، وهي أعلى نسبة في العالم العربي والإسلامي، إلا أن المطالعة الأولية لموضوعات الكتب الدينية تظهر بوضوح عدم ملاءمة الموضوعات لقدرات التلاميذ ومراحل نموهم في كل صف دراسي، كما ابتعدت تلك الموضوعات عن معالجة القضايا المعاصرة التي تهم التلاميذ بالإضافة إلى أسلوبها الصعب الذي كتبت به في غير مستوى الطالب(١١).

ولا يقتصر الأمر عند قلة الحصص المخصصة للتربية الإسلامية أو صعوبة الكتب المقررة وعدم حداثتها ومناسبتها لأحداث العصر، بل يتعدى ذلك إلى استخدام طرق التدريس التقليدية والتي تقوم على الحفظ والتلقين دون المناقشة والبحث والحوار، واختفاء المناخ المدرسي المشبع بالقيم الإسلامية، وبالقدوة الصالحة التي تتمثل تعاليم الإسلام وتطبقه في سلوكيات تمتد جذورها في نفوس التلاميذ(١٢).

وإذا كان هذا هو حظ أطفالنا من التربية الإسلامية في مؤسسات التعليم العام، فإن الصورة أكثر قتامة إذا ذكرنا وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتليفزيون وكتب ومجلات أطفال. فمع القدر القليل من الاهتمام الذي يناله الطفل العربي من تلك الوسائل، إلا أن هذا القدر يحمل في الغالب مفاهيم وقيم وأسلوب تربية تختلف إلى حد ما عن المفاهيم والقيم وأساليب التربية الإسلامية[١٣].

ولعل حظ طفلنا العربي من التربية العلمية لا يقل سوءًا عن حظه من التربية الإسلامية الفعالة، ذلك أن كمية ونوع ما يحصل عليه الطفل العربي من العلوم يدعو للأسف لعدم كفايته. وواضح أنه أقل كمًا وكيفًا مما يمكن أو يجب تدريسه إذا كان في نيتنا أن ندخل عصر العلم والتكنولوجيا المدخل الصحيح. إذ يفتقر الطفل العربي بكل المعايير إلى مصادر التربية العلمية من مجلات وكتب علمية وحزم تعليمية باللغة العربية. ويوجز لنا أحد الباحثين ذلك بقوله:

"إن أي مقارنة عشوائية بين الكتب العربية المقررة لتدريس العلوم في كل مراحل التعليم مع مثيلاتها من الكتب المستعملة في الدول المتقدمة لتظهر لنا بونا شاسعًا في أسلوب ومنطق العرض والتصميم النظري للمادة ومستوى الطباعة والرسوم... فإذا انتقلنا إلى مكتبة المدرسة العلمية لوجدنا أن هناك القليل من المصادر العلمية المكتوبة بالعربية والتي يمكن للطالب أو المدرس الاستعانة بها. وهناك أقل من القليل من المجالات العلمية الجادة التي تساعد في تنمية الثقافة والشغف العلمي وزرع الهوايات والأفكار الجديدة"[١٤].

كذلك فإن أساليب التدريس المتبعة في مدارسنا ما زالت تقوم في معظمها على تقديم المعارف العلمية في صورة مجردة دون الاهتمام بالربط

بينها وبين مشكلات يحس التلاميذ بأهميتها، فهي تهتم بالتلقين والحفظ دون الفهم والتطبيق، ولا تعني بالتجريب وتشجيع المتعلمين على الكشف عن الحقائق بأنفسهم ومن شأن مثل هذه الأساليب أن تقلل من ميل التلاميذ نحو الدراسة العلمية(١٥)، ومن المعروف أن "قصر الاهتمام على الجانب الأكاديمي العقلي للمتعلم، لا يتمشى مع الصورة الحديثة للعلم التي تجمع في وحدة واحدة بين العلم وتطبيقاته. كما أن النقل المعرفي وحده غير كاف لتحقيق أهداف التربية العلمية التي تتضمن إنماء التفكير العلمي والنظرة العلمية الشاملة والاتجاهات والميول وأنماط السلوك وغيرها من جوانب الشخصية اللازمة للحياة في المجتمع العلمي الحديث والنهوض به"(١٦).

يضاف إلى هذا كله عجز مدارسنا العربية في معظمها عن توفير المناخ العلمي المناسب داخل المدرسة. ولعل من أهم عناصر هذا المناخ العلمي النشاط الذي يمكن أن يمارسه التلاميذ من خلال النوادي العلمية والرحلات والزيارات إلى المؤسسات العلمية ومواقع الإنتاج والمتاحف والمعارض والاستماع إلى المحاضرات والندوات العلمية المبسطة، ومشاهدة الأفلام العلمية، وتشجيع الطلاب على القراءات العلمية وتكوين مكتبة علمية مناسبة، إلى غير ذلك من أوجه النشاط غير الصفي الذي يساعد على نمو الاتجاهات والميول العلمية لدى الأطفال(١٧).

وفي دراسة عن الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية –وهي من الدول البترولية ذات الدخل المرتفع - تؤكد الدراسة على انه لم تصدر للطفل في المملكة دوريات متخصصة في أي مجال علمي أو ديني، كذلك فإن موضوعات العلوم والزراعة والصناعة والطب لا يوجد لها أي أثر في مجالات التأليف للطفل بحيث لم تجد الباحثة كتابًا واحدًا ينتمي إلى تلك الموضوعات. وعليه فقد دعت كتاب الأطفال أن يوجهوا كتاباتهم إلى

موضوعات علمية مثل: موضوعات العلوم البحتة والتطبيقية كعلوم الفيزياء والكيمياء والفلك، والعلوم الطبيعية كعلم الحيوان والنبات، والعلوم الرياضية كالهندسة وكتب الاختراعات[١٨].

وفي مقابل هذا التجاهل الواضح للتأليف العلمي للطفل العربي تذكر الدراسة ما يناله الطفل الغربي من رعاية علمية. إذ تصدر له السلاسل العلمية الأنيقة، بل والدوريات المتخصصة، ومن أشهرها مجلة Ranger Rick والتي تعتبر منجم ذهب من الأفكار والأنشطة للطفل المحب للطبيعة – ومجلة Odyssey وهي أول مجلة أطفال مصممة ومخططة لمعالجة الفلك والفضاء الخارجي من خلال الواقعية[١٩]. ولذلك تقترح الباحثة في نهاية الدراسة ضرورة ترجمة المؤلفات الأجنبية الخاصة بالأطفال، وخاصة المؤلفات التي تتناول علوم الطبيعة والرياضيات والصحة على أن تكون محققة للهدف منها وبأسلوب سهل يفهمه الطفل[٢٠].

مما سبق يتضح أن الطفل العربي لا تتوفر له الظروف المناسبة لإعداده الإعداد العلمي والإسلامي المناسب. ومن هموم تلك الدراسة أن تكشف خطورة استمرار ذلك الوضع التربوي المتردي إذ بدون إعداد الطفل العربي إعدادًا إسلاميًا وعلميًا فإنه لن يستطيع أن يواجه التحدي المفروض عليه مستقبلاً من قبل قوى عالمية شرسة تسعى إلى التسلط والسيطرة وفرض الوصايا على كل مقدرات الحياة في العالم العربي والإسلامي[٢١].

وعندما تركز الدراسة الحالية على "الثقافة الإسلامية" للطفل العربي، فإنها تراعي في ذلك العامل الديمغرافي، الذي يتمثل في كون االأغلبية الساحقة من الأطفال العرب مسلمين. إذ تريد نسبتهم حسب إحصاء ١٩٨٥م عن ٩٠% وترتفع في بعض الدول –كدول الخليج مثلاً- إلى ١٠٠% بينما تصل إلى حوالي ٦٠% في كل من لبنان وفلسطين المحتلة[٢٢]. وطبيعي

ونحن نخطط لحاجات الطفل العربي الثقافية أن نأخذ بعين الاعتبار ثقافة الأغلبية المسلمة.

يضاف إلى ذلك العامل الديمغرافي، العامل الأيدولوجي الذي يتميز به الإسلام كقوة قادرة على تعبئة الأطفال، وتنظيم استعدادهم بأسلوب عقائدي يستنهض الهمم ويستثير العقول النائمة، ويعبئ جماهير الأطفال العربية المسلمة كي يساهموا جميعًا في إقامة نمط جديد من المجتمع المسلم القادر على البناء داخليًا، ومواجهة التآمر العالمي الرأسمالي والشيوعي والصهيوني. وهي مواجهة لن يستطيع العرب أن ينتصروا فيها إلا باستخدام "الأسلوب العقائدي" في تعبئة القوى البشرية اللازمة لإدارة تلك المواجهة الطويلة الضارية[٢٣].

أما لفت النظر إلى أهمية البعد العلمي في ثقافة الطفل العربي، وهو البعد الغائب بصورة واضحة في تكوين الشخصية العربية، فهو استجابة للتطورات الدولية التي أدت إلى ازدياد الاهتمام بالعلوم، والإيمان المتزايد بأن تقدم الإنسان في عصرنا الحديث مرتبط إلى حد كير بتقدم العلوم وتطور القوى المنتجة[٢٤]، مما يستلزم ضرورة تسليح الطفل العربي بالعقلية العلمية حتى يستطيع الاستفادة من معطيات العلم الحديث، وتمكينه مستقبلاً من المساهمة في الإنتاج العلمي العالمي أخذًا وعطاء، تمثلاً وابتكارًا، دون أن يحمله ذلك على التنكر لتراثه الإسلامي وذاتيته الثقافية الخاصة به.

ولا ينازع احد على أن الأخذ بالعلم في أعلى مستوياته العالية هو سبيلنا الأكيد لمواجهة التحديات التي فرضت علينا. وأن صراع الوجود أو العدم بين أمتنا العربية والإسلامية وبين أعدائها، إنما هو بالدرجة الأولى صراع علمي، تقرر نتائجه العقول العلمية القادرة على إدارة الصراع بكفاءة ونجاح. وعليه فينبغي للعلم والثقافة أن يصبحا من المقومات الأساسية لكل

مشروع تربوي وثقافي يخصص للأطفال والشبان والراشدين، من أجل مساعدة الفرد على التحكم في الثروات الطبيعية والطاقات المنتجة(٢٥)، وحفز القوى الكامنة في المجتمع للنهوض والمشاركة في التنمية الثقافية والعلمية الملائمة لاحتياجات الأمة.

وعليه فإن هدف ثقافة الطفل العربي في تلك المرحلة ينبغي أن يكون تنمية الوعي الإسلامي لدى الأطفال، وغرس المبادئ الإسلامية في نفوسهم، وتلقينهم قيم الحضارة الإسلامية والحب والولاء للأمة العربية الإسلامية. وبجوار هذا الهدف الأيدولوجي الإسلامي ومعه في نفس الوقت، وبنفس القدر من الأهمية تأتي ضرورة تكوين المدركات العلمية المناسبة لدى الأطفال، وغرس الاهتمام بالعلوم الحديثة وتشجيع الميول والاتجاهات العلمية الأساسية اللازمة مثل: "حب الاستطلاع والتخيل والملاحظة وما شاكل ذلك -تلك الاتجاهات التي تعين الطفل على أن يصير إنساناً مبدعًا واعيًا"(٢٦).

إن حصر ثقافة الطفل العربي في الجانب الديني أو القومي لن يجعل منا أمة عصرية أو مسلمة، لأننا في مثل تلك الحالة سوف نضطر إلى استيراد الخبرة الأجنبية في كثير من شئون حياتنا كما هو حادث حاليًا، وهذا فضلاً على أنه يجعلنا أمة غير عصرية وغير مستقلة فهو في نفس الوقت يجعلنا أمة غير كاملة الإسلام، إذ يدعونا الإسلام إلى الدراسة والبحث والتعرف على السنن الإلهية في الكون المادي وفي الحياة البشرية. إن الجانب العقائدي يدفع المسلم إلى مزيد من العلم لفهم آيات الله ومظاهر قدرته(٢٧). وبذلك يزول عنده هذا التقسيم غير الصحيح بين العلوم الدقيقة والطبيعية من جهة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة أخرى. وهو تقسيم في وضعه الحالي مناقض لروح الإسلام، الذي يجعل علم الإنسان علمًا واحدًا يشمل معرفته بالله وسننه في الكون المادي والحيوي.

ثانيًا: عناصر ثقافة الطفل الإسلامية:

تمثل الثقافة الإسلامية العمود الفقري لشخصية الطفل العربي المسلم وأداة التوحيد الثقافي والتماسك الأيدلوجي القادر على مواجهة تحديات العصر. وعليه فإن تعميم حد أدنى من الثقافة الإسلامية بين الأطفال العرب لا يعتبر واجبًا إسلاميًا فقط، بل هو واجب قومي وحضاري فضلاً عن أنه ضرورة حياة. إن غياب الثقافة الإسلامية الصحيحة وعدم توفرها بالقدر اللازم يعتبر شرخًا خطيرًا في شخصية الطفل العربي المسلم.

وعلى النقيض تمامًا من عدم توفير ثقافة إسلامية فعالة للطفل العربي، نجد أن الطفل الإسرائيلي ينال حظًا مناسبًا وكافيًا من الثقافة العبرية التي تسهم في تكوين شخصيته مهما كان تخصصه في المستقبل. يقول مايربار ايلان:

"إن روح التلمود ومعرفة عامة بشرائعه وآدابه يجب أن يكون جزءًا من دراسة كل يهودي متعلم، ولو لم يكن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالاً للعمل. والأمر شبيه بتعلم الفيزياء والرياضيات. فمع أنه ليس كل تلميذ يتخصص فيهما ولا يستخدم جميع ما يتعلمه منهما في حياته العلمية إلا أنهما ضروريان له. كذلك بالنسبة للتلمود، يجب أن يحفظ كل تلميذ مقاطع معينة منه وأن يتشرب روحها"[٢٨].

وإذا كان هذا حظ التلمود وروحه من العناية في تربية الطفل الإسرائيلي فإن القرآن بما يحتويه من روح الوحدة والقوة والتميز الإسلامي أحق أن ينال مثل تلك العناية في تربية الطفل العربي المسلم.

وهنا تؤكد الدراسة على أهمية إيجاد "الروح الإسلامي الفعال" وعدم الاكتفاء بوجود روحانية خاملة داخل مؤسساتنا التعليمية. إن مجرد المناهج الباردة، والأنشطة الشكلية، والمعلم غير المعد وغير القدوة، وطرح

موضوعات بعيدة عن قضايانا ومشكلاتنا المعاصرة، لن تقدم للأطفال ما يريدون من حلول إسلامية لمشكلاتهم المعاصرة. يقول أحد الباحثين:

"إن الناظر إلى أحوال العالم الإسلامي عامة وإلى الدراسات الدينية لأبناء المسلمين في مراحل التعليم المختلفة يلمس أن هناك فرقًا كبيرًا بين جوهرها الذي يبعث على الإشراق والأمل وبين واقعها الممل الجاف الذي يشعر أبناؤنا من خلاله أنهم يدرسون مواد بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم المتحرك. والحقيقة أن الخطط والمناهج الدراسية وطريقة إعداد المعلم الذي يدرس المواد الدينية تحتاج كلها إلى إصلاح"[٢٩].

كذلك تحظى اللغة العبرية، والتاريخ العبري عبر العصور، بما في ذلك التاريخ المعاصر بأهمية بالغة في التربية الإسرائيلية ويدخل في ذلك الاهتمام بدراسة الأقليات اليهودية في العالم، دراسة تشمل تركيبها الاجتماعي والاقتصادي ومركزها السياسي والقانوني ومنظماتها وثقافاتها وعاداتها وارتباطها مع إسرائيل. والهدف من ذلك ربط الأجيال الإسرائيلية بيهود العالم، حتى لا ينسى الطفل الإسرائيلي شعوره بالانتماء للأمة اليهودية الواحدة داخل إسرائيل، أو خارج إسرائيل[٣٠]، وقد آن الأوان بالفعل أن يرتبط الطفل العربي شعوريًا وعلميًا بكل زملائه في العالم الإسلامي وخارجه -الأقليات المسلمة في العالم - واستثمار تلك المشاعر الإسلامية في التعاون على إيجاد حلول مناسبة لمشكلاتنا المعاصرة.

وبإيجاز فعند محاولة وضع حد أدنى للثقافة الإسلامية المناسبة للطفل العربي، فإن الدراسة توصى بضرورة إلمام الطفل العربي بمفاهيم إسلامية صحيحة عن الله والرسول والإسلام، وحفظ قدر مناسب من القرآن والحديث الشريف، وتوفير قراءات مناسبة لهذا السن في العقائد والأخلاق والفقه الإسلامي. كذلك فإن الطفل في تلك المرحلة لابد أن يكون المدركات العقلية

والعواطف والاتجاهات المناسبة نحو أهم القضـايا والمشـكلات الإسـلامية المعاصرة كقضية فلسطين، والوحدة الإسلامية، ومشكلات الحكم والاقتصـاد والاجتماع وحلولها الإسلامية، وقضايا المسلمين في الفلبين والهند وكشـمير واريتريا وغيرها. وحجم التحـديات والمـؤامرات الصـهيونية والشـيوعية والماسونية وجميع مظاهر التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية. وأن يلم بأحوال الأقليات المسلمة في العالم، ويتعاطف مـع تلـك الأقليـات ويعيش همومها. وأن تتوفر له دراسات مناسبة عن تاريخ الأمـة الإسـلامية وحاضرها. يضاف إلى ذلك وضع كتب مبسطة في الخط والإملاء والنحـو العربي وإيجاد قواميس اللغة المصورة والمبسطة والمناسبة لهذا السن[٣١].

إن تعميم هذه الثقافة الإسلامية بـين الأطفـال العـرب والتوسـعة التدريجية، والتصعيد المستمر لهذه الثقافة فضلاً على أنه سبيلنا الأكيد للوحدة والتوحد، فهو أيضًا طريقنا المناسب لإيجاد الأجيال الجديدة القادرة ايدولوجيا وفكريًا على إدراك حجم التحدي الذي تواجهه أمتنا العربية والإسلامية. كذلك فإن بلوغ البعد الأقصى وبالتدريج في تلك الثقافة الإسلامية هو الذي سـيوجد لنا أجيال الانتصار والتحرر. وطبيعي أن يتم ذلك كله وفق خطـة تربويـة ملائمة تستعين بجميع ألوان التعبير الممكنة، الشـفوي والكتـابي والصـورة الصامتة، فضلاً عن الوسائل السمعية والبصرية المتعددة[٣٢].

ثالثًا: عناصر ثقافة الطفل العلمية:

لم يعد العلم هذه الحرفة المقدسة التي يمارسها طائفـة خاصـة مـن الإنسان الأسمى وهم العلماء. ورغم أن العلماء ينبغي أن يحتلوا المكان اللائق بهم كركن جوهري من أركان ثقافتنا المعاصرة، إلا أن وجود هـذه الطائفـة يعتمد إلى حد كبير على وجود الإطار الثقافي العام الذي يشجع على البحـث

ويحترم حرية التفكير، أي أن وجود العالم يعتمد على البيئـــة الثقافيـــة التـــي تحيط به. إن العالم لا يصبح عالمًا بالوراثة بل نتيجة تنشئة علمية مناسبة تبدأ منذ طفولته وتستمر معه طوال مراحل تكوينه العلمي وتشارك فيه مؤسســـات المجتمع المتعددة[٣٣].

من أجل ذلك فقد حرصت دول العالم علـــى تـــوفير البيئـــة العلميـــة المناسبة لنمو المواهب العلمية لـــدى أطفالهـــا. وتـــوفير الوســـائل والأدوات المتعددة لشحذ تلك المواهب. فبجوار الكتب العلمية الطريفـــة المصـــورة ذات المعلومات الحديثة عن الإنسان والكون والطبيعـــة، وبجـــوار الموســـوعات العلمية المتعددة المستويات، والقواميس العلمية الملونة صـــممت العديـــد مـــن اللعب وصناديق العينات العلمية بجوار العديد مـــن المعـــارض والمتـــاحف العلمية[٣٤] والقباب السماوية (البلانتزيومات) والنوادي[٣٥]... الخ.

والذي يتابع التنشئة العلمية للطفل لدى الدول المتقدمة يلاحـــظ مـــدى حرص تلك الدول على توفير ثقافة علمية حية للطفل، وربط تعلـــيم العلـــوم البيئة بحياة الأطفال وما يحيط بهم من أرض وجو وهـــواء وكهربـــاء وآلات مختلفة بحيث يساعدون الأطفال على تكوين المدركات العلمية الصحيحة عما يحيط بهم من عناصر[٣٦]. مع الاهتمام بأصحاب الميول العلميـــة ورعـــايتهم وتشجيعهم على الاستمرار في دراسات العلوم والتكنولوجيا، وعدم الانصراف عنها أو اختيار ميادين تخصص أخرى[٣٧]، وتوفير المناخ العلمي المناســـب لذلك كله داخل وخارج المدرسة.

ولعل طفلنا العربي ما زال يفتقد الحد الأدنى مـــن الثقافـــة العلميـــة اللازمة لهذا السن، دع عنّك التعمق والتوسع في الأمـــور العلميـــة المتصـــلة بالضوء والطاقة والحرارة والصوت والجاذبية والكهرباء والآلات والنبـــات

والحيوان وجسم الإنسان وسطح الأرض والماء والهواء والطقس والفضاء[٣٨].

وليس هذا النقص في تكوينه العلمي عيبًا فيه أو قصورًا منه بل هو حصاد ظروف أسرية قاسية تتمثل ظروف اقتصادية متدنية وانتشار الأمية بين الآباء والأمهات[٣٩]. ويضاف إلى ذلك نظام تعليمي كسيح لا يرعى موهبة علمية ولا يضرم شرارة العلم في طفل موهوب[٤٠].

إن هذا الجذب العلمي الذي يعيشه طفلنا العربي هو المسئول عن ندرة المخترعين والعلماء البارزين عالميًا في أمتنا العربية والإسلامية قياسًا على الدول الأخرى المتقدمة بل حتى قياسًا على إسرائيل نفسها[٤١]، ومهما قيل عن التسهيلات العلمية والمادية التي تحصل عليها تلك الدولة من الخارج، وهو ما لا يتيسر لنا كأمة عربية إسلامية فإنه لا يغير حقيقة أن صراعنا مع هذا العدو سيبقى صراعًا أيدولوجيًا وعلميًا في نفس الوقت[٤٢] وأنه لا خيار لنا سوى تكوين جيل قادر عقائديًا وعلميًا على خوض هذا الصراع.

ويعني ذلك أنه لم يعد أمامنا إزاء التفوق العلمي والتكنولوجي الذي يملكه الغرب ويمنحه إسرائيل وأمام التحدي العلمي والحضاري والتقني المعاصر إلا أن نبدأ مع الإنسان العربي منذ الطفولة فنحيطه في جميع مراحل نموه في المنزل والمدرسة بنماذج علمية وألعاب تقنية ونفسح المجال أمامه لكي يقضي وقتًا مع هذه النماذج والألعاب ليتدرب عليها ويلتصق بها[٤٣]، ويقول شمعون بيريز:

"إن لعب الأطفال هي المدخل الصحيح للإلكترونيات ورحلات الفضاء، والمدرسة هي المكان الذي يبدأ منه كشف أسرار الذرة وتحطيم النواة، وعلى إسرائيل أن تبدأ مسيرتها من هذا المنطلق"[٤٤].

كذلك علينا أن نسارع بتطوير مناهج العلوم وطرق تدريسها بالمدارس العربية، مع الاهتمام بإعداد معلم العلوم، وإيجاد الأنشطة العلمية المختلفة داخل المدارس، وإنشاء نوادي العلوم، وتوفير الكتب والمجلات العلمية المناسبة وبذل جهد مضاعف لبناء أجهزة متمكنة متخصصة في العناية بتربية الطفل تربية علمية مناسبة تمكننا من اجتياز هذا المآزق العلمي والتقني. لقد أثبتت التجربة الواقعية "أن تطبيع التقنية وتحديثها لا يمكن أن يتم بأيد مستوردة، ولا بأفكار وتصورات وقيم غربية، ولا بمهارات فنية وإدارية واقتصادية أجنبية، وأن كل حالة تم فيها ذلك كانت فرصة طيبة لتدريب أبناء المسلمين ولكنها أُهدرت وإلى الأبد"(٤٥).

ونحن في عالمنا العربي في حاجة إلى تربية علمية تبدأ منذ الطفولة لتكوين العقلية العلمية المنظمة التي تعمل وهي مؤمنة بنفسها، وبقدرتها على ملاحقة العصر العلمي. وإذا كانت إسرائيل واليابان وغيرهما قد استطاعتا بنجاح تجاوز تلك الأزمة العلمية والتكنولوجية فليس أمامنا إلا النجاح في هذا المجال أو الكارثة.

رابعًا: الحاجة إلى منظمة إسلامية للطفل العربي:

لقد تردد الحديث عن ضرورة إنشاء منظمة عربية للطفل العربي خلال السنوات القريبة الماضية(٤٦)، وشُكلت بالفعل "لجنة علمية لثقافة الطفل المسلم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية" عام ١٤٠٨هـ(٤٧) كما تأسس "المجلس العربي للطفولة والتنمية" عقب اجتماع عقد لهذا الغرض في عمان في ١٤٠٧/٨/٣هـ(٤٨)، ولكن يلاحظ أن تلك المحاولات قد أخذت الطابع الجزئي لا الكلي الشامل. إذ تركز بعضها على البعد الإسلامي، بينما تركز الأخرى على البعد القومي، رغم أن التحدي الذي تواجهه أمتنا العربية

الإسلامية هو في صميمه تحد أيدولوجي عقائدي من ناحية، وتحد علمي في نفس الوقت. ولذلك فإن الاهتمام بالبُعد القومي بعيدًا عن الإسلام، أو بالبعد الإسلامي بعيدًا عن العلم، هو الاهتمام بالجزء دون الكل فضلاً عن أنه تجاهل لطبيعة الصراع وأبعاده الحقيقية.

إن الطفل العربي ما زال بحاجة ماسة إلى منظمة إسلامية لتثقيفه إسلاميًا وعلميًا على الوجه الذي سبق تحديده، وتثقيف الطفل كما نعلم عملية تربوية متشعبة الأبعاد والجذور تشترك فيها مؤسسات عديدة منها الأسرة ودار الحضانة والمدرسة والمسجد والمادة المطبوعة والإذاعة المسموعة والمرئية والصور المتحركة والثابتة وأندية تثقيف الطفل، بل والظروف الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشها الطفل في عالمنا العربي[٤٩]. ومن ثم تأتي أهمية وخطورة وصعوبة عمل المنظمة الإسلامية للطفل العربي المقترحة.

إن عمل تلك المنظمة يتركز في دراسة ثقافة الطفل العربي المسلم كما هي في الواقع، ثم وضع الخطط الملائمة لتطوير تلك الثقافة للوصول بها إلى المستوى الإسلامي والعلمي المطلوب. ويتطلب مثل هذا العمل تجنيد عدد مناسب من علماء الدين والنفس والتربية وعلماء اللغة والأدباء والعلماء والباحثين حتى يأتي العمل متكاملاً ومبرمجًا بطريقة علمية سليمة وشاملة[٥٠]. كما ينبغي أن يتوافر لهذا العدد الإرادة القوية والالتزام الكامل بأهداف تلك المنظمة مع توفر الإمكانيات المادية والتكنولوجية اللازمة لتحقيق هذا الهدف.

وطبيعي أن تتعدد الأنشطة التي ستقوم بها تلك المنظمة، وتختلف نوعيتها بما يناسب الظروف المتاحة وصولاً إلى البعد الأقصى الذي يتمثل في إيجاد أجيال جديدة تجمع بين الإسلامية والعلمية الحديثة. ويمكن أن يسير

عمل تلك المنظمة على النحو التالي أو قريبًا منه -إذا تـوفرت لهـا القيـادة والكوادر العلمية والإسلامية المناسبة -:

١. جمع ما ورد في القرآن وكتب السنة الصحاح وكتب التـراث الإسـلامي حول الطفل وتربيته وتأديبه وتثقيفه، يضاف إلى ذلك ما صدر عن المنظمات والمؤتمرات القومية والعالمية بهذا الشأن، مع رصد تجارب الدول المتقدمـة في هذا الميدان (تثقيف الطفل) وخاصة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحـدة وإنجلترا واليابان وفرنسا وألمانيا وكذلك إسرائيل، والاستعانة بذلك كله فـي وضع إستراتيجية ملائمة لتثقيف الطفل العربي إسلاميًا وعلميًا.

٢. إجراء دراسات شاملة لكل ما يقدم للطفل العربي حاليًا من مـواد ثقافيـة وعلمية سواء داخل دور الحضانة والمدارس الابتدائية والإعدادية أو خـارج تلك المؤسسات النظامية التي تثقف الطفل مثل: المجلات والقصص والأفـلام والبرامج الإذاعية والتليفزيونية... الخ لمعرفـة مـدى إسـلاميتها وحداثـة معلوماتها العلمية. وذلك تمهيدًا لوضع تصور علمي لما ينبغي أن تكون عليه تلك المواد إسلاميًا وعلميًا.

٣. محاولة إيجاد البدائل الإسـلامية "النمـوذج": دور الحضـانة النموذجيـة إسلاميًا وعلميًا، المدرسة الإسلامية النموذج، مجلة الأطفال، الأفلام والبرامج الإذاعية والتليفزيونية، الموسوعات والمعاجم ومفكرات الطفل المسلم، ومكتبة الطفل المسلم، النادي العلمي، المتحف العلمي... الخ، على أن يتـوفر لتلـك البدائل التجريبية كل إمكانات التطور التربوي والعلمي الحديث.

٤. إجراء دراسات مستمرة على تلك البدائل الإسلامية من أجـل تطويرهـا وجعلها أكثر مناسبة وملائمة لجميع الأعمار والبيئات الإسلامية المتعددة، مع وضع خطة تسويق خلاقة لتلك البدائل تكفل شيوعها وانتشارها والإقبال عليها في البلدان العربية. وذلك حفاظًا على استمرار وتكثيـف الـزخم الإسـلامي

والعلمي الذي تستهدفه تلك البدائل، مع استخدام جميع الوسائل التكنولوجية الممكنة لتحقيق هذا الهدف.

٥. متابعة ما يقدم للطفل المسلم داخل المؤسسات التعليمية وخارجها من مواد ثقافية وعلمية وتقويم تلك المواد بصفة مستمرة. وتقديم هذا التقويم لمن يهمه الأمر من سلطات رسمية وقوى شعبية ضاغطة، مع ضرورة نشر هذا التقويم بين جماهير الشعب المسلم في محاولة لإيجاد وعي تربوي يحرص على تربية أبنائه تربية إسلامية وعلمية مناسبة للعصر وتحدياته.

٦. تقديم الخبرة والمشورة والنصح للجهات الحكومية والشعبية التي ترغب في إقامة مؤسسات تتصل بتثقيف الطفل العربي مثل: إقامة نواد علمية للطفل، رياض أطفال، متاحف علمية، أفلام تعليمية، دوائر معارف، ألعاب ونماذج وعينات علمية، مدن أطفال... الخ.

٧. التمكن مستقبلاً من إيجاد "المنظمة الإسلامية العلمية للطفل" والتي تحقق الأهداف السابقة على مستوى العالم الإسلامي كله باختلاف شعوبه ودوله. مع امتلاك القدرة المادية والفنية على مساعدة أطفال الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم، وإمدادهم بالمواد والمؤسسات الثقافية والعلمية التي تمكنهم من مواجهة محاولات محو هويتهم الإسلامية داخل ثقافة الأغلبية غير الإسلامية.

خاتمة الدراسة:

من كل ما سبق يتضح أن ثقافة الطفل العربي الإسلامية والعلمية هي دون المستوى المطلوب لجيل فرض عليه أن يواجه التحدي من قبل قوى عالمية شرسة تحاول أن تفرض عليه الوصاية والاستسلام. ومن المؤكد أن مستقبلنا العربي والإسلامي لن يكون أفضل من حاضرنا لو تركنا أطفالنا بدون تلك التربية الإسلامية والعلمية المناسبة. وهذا يفرض علينا تعميم

مستوى ثقافي إسلامي وعلمي معين، على أن نتوسع في هذا المستوى ونصعد فيه بالتدريج حتى نبلغ المستوى الأعلى من الناحية الإسلامية والعلمية، وستكون من مسئوليتنا أن نحافظ على هذا الزخم الإسلامي والعلمي لأطفالنا حتى يمكنهم الحياة. في ظل ظروف أفضل من ظروف جيلنا المجروح.

وإذا كان الطفل العربي فريسة ظروف غير مساعده سواء داخل المدرسة أو خارجها، مما يحول دون حصوله على ثقافة إسلامية وعلمية ملائمة، فقد أكدت الدراسة على ضرورة وأهمية "إيجاد منظمة إسلامية للطفل العربي"، تتوافر لها القيادة الملتزمة والإرادة القوية اللازمة لوضع الخطط والأنشطة والإجراءات العلمية لإيجاد ثقافة الطفل العربي الإسلامية والعلمية المرجوة. على أن يكون لتلك المنظمة من الكوادر البشرية والإمكانات المادية والتكنولوجية ما يمكنها من أداء تلك المهمة.

وهذا عمل مهما كانت صعوبته الحالية فسيظل مطلبًا ملحًا من مطالب التغيير والانتقال بعالمنا العربي الإسلامي من التفتت إلى الوحدة ومن الضعف إلى القوة العقائدية والعلمية والتكنولوجية.

* * *

الهوامش والمراجع

١. السيد خالد المطري: **دراسات في سكان العالم الإسلامي**، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٤م، ص٣٩٦.

٢. فتحية حسن سليمان: **تربية الطفل بين الماضي والحاضر**، دار الشروق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٧٩م، ص.١٠

٣. مصطفى فهمي: **سيكولوجية الطفولة والمراهقة**، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧م.

٤. هادي نعمان الهيتي: **أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه**، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٧٧م، ص.١٢

٥. زيدان عبد الباقي: **الأسرة والطفولة**، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص.٣٢٤

٦. سيد عثمان: **الإثراء النفسي: دراسة الطفولة ونمو الإنسان**. الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢ -٣١.

والياس زين: "الطفل العربي والإنماء". **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، العدد العاشر، ١٩٧٩م، ص.١٢٧

٧. ذكاء الحر: **الطفل العربي وثقافة المجتمع**، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٤م، ص.٥

٨. تعبير مناسب عن واقع الطفولة العربية مأخوذ من: الاتحاد العام لنساء العراق، سكرتارية الدراسات والبحوث: **التخطيط لاحتياجات الطفولة في الخليج العربي**، دراسة مقدمة إلى الدورة الخامسة للجنة المرأة العربية، إدارة التنمية الاجتماعية، جامعة الدول العربية المنعقدة في البصرة في ٢٢ -٢٦ تشرين الأول ١٩٧٦م الاتحاد العام لنساء العراق، بغداد، ص.٥٦

٩. عبد الله حامد الدسوقي: دراسة مقارنة لمناهج التربية الإسلامية في المرحلة الإعدادية بكل من جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية التربية - جامعة عين شمس، ١٩٨٠م، ص.١٥٧

١٠. نفس المرجع والمكان.

١١. علي بن سعيد بن فقار الزهراني: تقويم كتاب العلوم الدينية للصف السادس الابتدائي. رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية التربية - جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ، وما يذكره الباحث عن كتاب الصف السادس ينسحب في الواقع على معظم كتب التربية الدينية بشتى المراحل.

١٥٢. وداد أحمد عبد الكريم الظهار: القيم الأخلاقية في برامج التربية الدينية بالمرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية التربية - جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ، ص١٥٩ -.١٧٢

١٣. أنظر مثلاً، بحوث مختلفة في:

- **ماذا يريد التربويون من الإعلاميين**، ندوة عقدها مكتب التربية العربي بالرياض، من ٢٩ مايو - ١يونيو ١٩٨٢م مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٢م، ج١ ص٢٨٥ -٣٩٨، ج٢ ص٧ - ١٠٧.

- حازم النعيمي: "مجلات الأطفال العربية ودورها في تكوين المفاهيم" في **المستقبل العربي**، بيروت: العدد السابع ١٩٧٩م، ص١٢٥ -.١٤٣

١٤. عصام النقيب: "دور المعلم في التنمية والتغيير في الوطن العربي: أفكار أولية"، **ندوة تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر ١٩٨٥م، ص.٨٥

١٥. رشدي لبيب: التغيير في الميول العلمية بين جيلين من التلاميذ. الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص.١٣٠

١٦. رشدي لبيب: **معلم العلوم مسئولياته، أساليب عمله، إعـداده، نمـوه العلمي والمهني،** الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١١، ١٢.

١٧. نفس المرجع السابق، ص٢٣١ - ٢٥٦.

١٨. هدى محمد أحمد باطويل: الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكـة العربية السعودية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبـة، قسـم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، جـدة، ١٩٨٦م، ص٣٠٤، ٤٠٥.

١٩. نفس المرجع السابق، ص ١٢٦.

٢٠. نفس المرجع السابق، ص٤١٤.

٢١. جميل عبد الله محمد المصري: **حاضـر العـالم الإسـلامي وقضـاياه المعاصرة،** "جـزءان"، مكتبـة الحلبـي، المدينـة المنـورة، ١٩٨٦، ج٢، ص٦٤٥ - ٦٤٨، ولمزيد من التفصيل، انظر نفس المرجع، ص١٢٥، ٦٤٨.

٢٢. نفس المرجع السابق، ص١٥ - ١٧.

٢٣. في قدرة الإسلام على المواجهة، أنظر: تركي رابح: **التعلـيم القـومي والشخصية الجزائريـة،** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص١٩٧ - ٣٤٥.

إسماعيل الفاروقي: **إسلامية المعرفة،** المعهـد العـالمي للفكـر الإسـلامي، واشنطن، ١٩٨٦م، ص٢٣ - ١١٧.

٢٤. ماري شكلز: **تكوين مدركات الأطفال العلمية: خبرات فـي الصـخور والتربة والهواء والماء،** ترجمة محمد صابر سليم وتقديم محمد السيد روحه، مؤسسه فرنكلين، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٩.

وأدجارفور وآخرين: **تعلم لتكون،** ترجمة حنفي بن عيسى، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م، ص١٤٦.

٢٥. نفس المرجع السابق، ص.١٤٧

٢٦. ماريان بيسر: **التنشئة العلمية**، ترجمة احمد محمـــود ســـليمان، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ب.ت، ص.٦

٢٧. انظر في ذلك: جودت سعيد: **حتى يغيروا ما بأنفسهم**. مطبعة زيد بـــن ثابت الأنصاري، دمشق، ١٩٨٤م.

ومحمد المبارك: **الإسلام والفكر العلمي**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٨. عارف توفيق عطاري: **التربيـــة اليهوديـــة فـــي فلســـطين المحتلـــة والدياسبورا**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م، ص.٧٠

٢٩. محمد أحمد طاحون: الاتجاه الديني لدى تلاميذ المرحلـــة الثانويـــة فـــي مدارس التعليم العام، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية التربية - جامعـــة الأزهر، ١٩٨٨م، ص١٣٢ - .١٣٣

٣٠. عارف توفيق عطاري: **التربيـــة اليهوديـــة فـــي فلســـطين المحتلـــة والدياسبورا**، (مرجع سابق)، ص٧٣ - .٧٥

٣١ -. سعيد حوى: **جند الله ثقافة وأخلاقًا**، مكتبة وهبة، القـــاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٥ - ١٤١.

- عبد الحميد أبو سليمان: **دليل مكتبة الأسرة المسلمة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، د.ت.

- عبد الله ناصح علوان: **تربية الأولاد في الإســـلام**، دار الســـلام للطباعـــة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ج٢، ص١٠٦٣ - ١٠٨٢.

حيث يقترح أصحابها أسماء مؤلفات عديدة ينصح بقراءتها لتغطية هذا النقص في ثقافة المسلم في تلك المجالات المشار إليها في الدراسة الحالية إجمالاً.

٣٢. حسين حمدي الطوبجي: **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعلـــيم**، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨م.

Vernon S. Gerlach, Donald, P. Ely, Rob Melnick. **Teaching and media, A Systematic Approach**, Prentice-Hall Inc., Engle-wooe Cliff, New jersey, U.S.A. 1980.

٣٣. أنظر في ذلك:

- ماريا بيسر: **التنشئة العلمية**، مرجع سابق.

- أسامة أمين الخولي وآخرون: **تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي**. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد المجيد شومان، مرجع سابق، ص١٦٧ - ٤٤٠.

٣٤. لعله مما يدلنا على مقدار حرمان طفلنا العربي من فرص التنشئة والتثقيف العلمي المناسب انه يوجد بأمريكا على سبيل المثال ما يزيد على مائتي معرض علمي للأطفال.

ماريان بيسر: **التنشئة العلمية**، مرجع سابق، ص٣٠٦.

حتى إسرائيل تحرص على توفير ذلك لأطفالها، انظر مثلاً:

عارف توفيق عطاري: **التربية اليهودية في فلسطين المحتلة والدياسبورا**، مرجع سابق، ص٧٨ - ٩٨.

٣٥. "البلانتزيومات" أماكن ذات سقوف منحنية دائرية ملتحمة على جدران دائرية تعرض فيها أفلام للأجرام السماوية حيث تشاهد الكواكب ونجوم كأنك تتطلع إلى السماء الصافية ليلاً".

نقلاً عن: ماريان بيسر: **التنشئة العلمية**، مرجع سابق، هامش ص٢٤.

٣٦. من الدراسات العربية التي لفتت النظر إلى ضرورة دراسة نمو المفاهيم العلمية الصحيحة لدى الطلاب، دراستا:

رشدي لبيب: **نمو المفاهيم نمو المفاهيم العالمية**، الأنجلو العلمية، القاهرة، ١٩٧٤م، والتغير في الميول العلمية بين جيلين من التلاميذ. مرجع سابق.

٣٧. ماري شكلز: **تكوين مدركات الأطفال العلمية**: خبرات في الصخور والتربة والهواء، مرجع سابق، ص.١١

٣٨. استفادت الدراسة في تحديد تلك العناصر العلمية بالرجوع إلى:

Peter C. Gega: **Science in Elementary Education,** John Wiley& Sons Inc., New York, 1982.0 Jean Harlan: Science **Experience for the Early Years,** Charles Merril Publishing Company& Abell, Hawell Company, London, 1980, Edwood Victor: **Science for Elemtnary** School, Macmillan Publishing Co. Inc., New York, 1980.

٣٩. حسن عبد العال: أصول تربية الطفل في الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، ١٩٨٠م، ص٤٢٤ - ٤٢٦، الاتحاد العام لنساء العراق، سكرتارية الدراسات والبحوث: التخطيط لاحتياجات الطفولة في الخليج العربي، مرجع سابق، ص٢٩ - .٤٥

٤٠. خليل محشي: "التربية المدرسية والعطاء العلمي في البلاد العربية، في أسامة الخولي وآخرين: **تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي**، مرجع سابق، ص٢١٩ - .٢٤٠

٤١. للمقارنة بين الواقع العلمي في إسرائيل والوطن العربي، انظر: أنطوان زحلان: **العلم والتكنولوجيا في الصراع العربي الإسرائيلي**. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م.

أنطوان زحلان: **العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٤٢. أنظر: عبد الله عبد الله الدايم وآخرون: **الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي**، وقائع المؤتمر العلمي الذي نظمته كلية التربية بجامعة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م.

عارف توفيق عطاري: **التربية اليهودية في فلسطين المحتلة والدياسبورا**، مرجع سابق.

٤٣. محمود محمد سفر: **دراسة في البناء الحضاري، محنة المسلم مع حضارة عصره**، سلسلة كتاب الأمة رقم ٢١، مركز البحث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٩هـ، ص٩٩، ١٠٠.

٤٤. عارف عطاري: **التربية اليهودية في فلسطين المحتلة والدياسبورا**، مرجع سابق، ص.٧٨

٤٥. زغلول راغب النجار: **قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر**، سلسلة كتاب الأمة رقم ٢٠، مركز البحث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٩هـ، ص.٨٧

٤٦. الاتحاد العام لنساء العراق، سكرتارية الدراسات والبحوث: **التخطيط لاحتياجات الطفولة في الخليج العربي**، مرجع سابق، ص٥٠، .٥١

٤٧. أرسل رئيس اللجنة للباحث رسالة في ١٤٠٧/٧/٢٢هـ بتشكيل تلك اللجنة. وطلب من الباحث إرسال ما يوجد لديه من دراسات وتقارير وتصورات حول الموضوع. وقد كان التقرير الذي أرسله الباحث لرئيس اللجنة، هو النواة الأولى لتلك الدراسة.

٤٨. جريدة **الاتحاد**، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٧/٤/١٣م.

٤٩. فاروق عبد الحميد اللقاني: **تثقيف الطفل وفلسفته وأهدافه ومصادره ووسائله**، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٧ - .١٨٨

٥٠. في أهمية العمل الشمولي لتخطيط ثقافة الطفل، انظر:

ذكاء الحر: **الطفل العربي وثقافة المجتمع**، مرجع سابق، ص١٥٠، ص.١٥١

٥١. ظهرت في السنوات الأخيرة محاولات جادة لتقـديم موسـوعة علميـة للطفل العربي لعل من أهمها:

-بهجة المعرفة، **موسوعة علمية مصورة**، إشـراف الصـادق نيهـوم، دار المختار للطباعة والنشر، جنيف، سويسرا، ١٩٧٦م.

- زهير الكومي، محمد سعيد صباريني، سهام العقـاد العـارف، **الأطلـس العلمي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م.

وهذه الموسوعات وإن كانت ذات أسعار عالية لا يقدر عليها جمهور الأطفال العرب، إلا أنها تعد خطوة على الطريق.

٥٢. يراجع كنموذج لمحاولة محو الهوية الإسلامية داخل ثقافة الأغلبية: عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: "أثر الثقافة السوفيتية علـى الأقليـة المسـلمة بالاتحاد السوفيتي - دراسة حالة" من أبحاث **المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي** المنعقد بالرياض، الفترة مـن ١٢ - ١٧ جمـادي الأولى ١٤٠٦هـ.

في، عبد الرحمن النقيب: **بحوث فـي التربيـة الإسـلامية** (٣)، القـاهرة، ١٩٨٧م، ص٦٥ - ٨٨.

٥٣. ينبغي الإشارة هنا إلى ضرورة الاستفادة بكل ما صدر عن المـؤتمرات العالمية الخمسة للتربية الإسلامية من بحوث ودراسات وتوصيات فـي هـذا الشأن وهي: **المؤتمر العـالمي الأول** الذي عقد بمكة المكرمـة فـي إبريـل ١٩٧٧م، والثاني: في إسلام آباد بباكستان، مارس ١٩٨٠م، والثالث: في داكا ببنجلاديش في مارس ١٩٨٠م، والرابع: في جاركاتا باندونيسـيا، أغسـطس ١٩٨٢م، والخامس: في القاهرة مارس ١٩٨٧م.

"أدب الطفل أبعاده وسبل مواجه مشكلاته"

ا.د.منى محمد على جاد
أستاذ تربية الطفل
العميد الأسبق لكلية
رياض الأطفال جامعة القاهرة

تعريف الأدب:

يعرف ابن منظور الأدب في لسان العرب بقوله الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ وسمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع إليه الناس: مدعاة ومأدبة. ولكلمة الأدب في المعاجم العربية معانٍ متعددة، منها: أَدَبَ القومَ: دعاهم إلى طعامه. وفي لسان العرب أن كلمة أدب تعني: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سميّ أدباً؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وفي القاموس المحيط: الأدب: الظَّرف وحسن التناول أما التعريف الاصطلاحي للأدب، فذكر أنه " فنّ من الفنون الإنسانية الرفيعة، يحقّق هدفه بواسطة العبارة ". وهو أيضا: " الأدب تعبير عن الحياة، وسيلتهُ اللغة " (علي الحديدي، ١٩٩٦،١٢)

وعرف الأدب أيضا بأنه: الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية.. واعتبره البعض " مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة "، كما يعرف بأنه " تجربة إنسانية معبرّ عنها بالألفاظ والجمل، مع شرط مراعاة مطابقة التعبير وحسن اختيار اللفظ وتناغم الحرف، وتناسق الجمل، وملائمة الكلمات مع الموضوع، والعناية بالصور، واستخدام الخيال عنصراً ضرورياً ومتمماً في بناء التعبير بناءً جيداً " (على أحمد مدكور، ١٩٩٧، ٩).

وقد عرف ابن خلدون علم الأدب "المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم (" أحمد نجيب، ٢٠٠٠،٧) ويعرف هادي نعمان الهيتي الأدب بقوله: " الأدب هو تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية العامة ويعني بالتعبير والتصوير

فنيا ووجدانيا عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرهــا مــن عناصر الثقافة أي أنه تجسيد فني تخيلي للثقافة ويلتــزم عــادة بعــدد مــن المقومات التي أصطلح عليها في كل عصر وفي كل بيئة ثقافية ويشمل هــذا المفهوم الأدب عموما بما ذلك أدب الأطفال الكبار من حيث الموضوع الــذي يتناوله، والفكرة التي يعالجها والطريقة التي يتم تناوله بها والأسـلوب الــذي يقدم بها(هادى نعمان الهيتي، ٨)

ويمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة تعريفــا شــاملا ينظــر للأدب على أنه بناء لغوي يوظف كلّ إمكانيات اللغة الصوتية والتصــويرية والإيحائية والدالة في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة، ويقصد بال " بناء لغوي " صياغة فنية محكمة، كالبنيان المحكم غير المتصدّع، حيث يشترط في لغة الأديب أن تكون واضحة وصحيحة لا ضعف فيهــا، تجـذب القارئ إليها. فكما تكون الحجارة في البنيان ألواناً متراصــة فــي انســجام، فكذلك ألفاظ الأديب. وكونه أنه يوظف إمكانيات اللغة الصوتية والتصــويرية والإيحائية والدالة، فهي الأثاث الذي يكمل ذلك الصرح ويعطيه قيمته العالية، فنبرة الصوت أمر مطلوب في الأدب، وإلا فلماذا نقدم أحياناً لفظة أو نــؤخّر أخرى؟ أو لماذا نبدّل تركيباً بتركيب وكلاهما صحيح ومعناهما واحد؟ كــذلك التصوير - أيّاً كان نوعه -. أمّا " الدالة " فيقصد منها دلالــة اللغــة علــى المعاني والأفكار، وهذه الإمكانات لابد أن تكون موحية مؤثّرة في القــارئ، فتنقل إليه شحنة من الشعور والأفكار هي الخبرة الجديدة المضافة.

أدب الأطفال وأدب الكبار:

هناك تشابه واختلاف بين أدب الأطفال وأدب الكبار، فهما يتفقان في المبادئ العامة، ويختلفان في الخصوصية، فأدب الأطفال خبرة لغويــة فــي شكل فني، يبدعه الفنان للأطفال بين الثانية والثانية عشــرة أو أكثــر قلــيلاً،

يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة، وينمّي فيهم الإحساس بالجمال، ويقوّي تقديرهم للخير ومحبتهم له، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان.

ولا ينبع التمييز بين أدب الأطفال وأدب الكبار من المستوى الفني لكليهما فحسب، بل يقع الاختلاف بينهما من حيث المستوى اللغوي والأسلوبي وطريقة معالجة القضايا واختيار الموضوعات في كلٍّ منهما فأدب الأطفال " شكل من أشكال " كتابة " التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل، ومع الحصيلة الأسلوبية للسنّ التي يؤلف لها، أو ما يتصل بمضمونه ومناسبته لكل مرحلة من مراحل الطفولة " أو هو " الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وإحساسات وأخيلة تتّفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة والشعر والمسرحية والمقالة والأغنية " (محمد جمال عمرو،٥،١٩٩٠).

ولا يختلف أدب الأطفال في كثير من الخصائص والسمات الفنية عن أدب الكبار، ولكن نظراً لاختلاف خصائص الأطفال عن الكبار أصبح لأدب الأطفال قواعده ومناهجه، سواء منها ما اتصل بلغته وتوافقها مع قاموس الطفل اللغوي، ومدى موائمتها للمرحلة العمرية التي توجه لها . وأدب الطفل هو "جنس أدبي متدرج يوجّه إلى مرحلة من مراحل الطفولة وفقاً لما انتهى إليه علم النفس من الخصائص النفسية، والجسمية، والمعرفية للطفل.

و لكلمة الأدب في المعاجم العربية معانٍ متعددة، منها: أَدَبَ القومَ: دعاهم إلى طعامه. وفي لسان العرب أن كلمة أدب تعني: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سميّ أدباً؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وفي القاموس المحيط: الأدب: الظَّرف وحسن التناول.

أما التعريف الاصطلاحي للأدب، فذكر أنه " فنّ من الفنون الإنسانية الرفيعة، يحقّق هدفه بواسطة العبارة ". وهو أيضا: " الأدب تعبير عن الحياة، وسيلتهُ اللغة ". و هو الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية.. واعتبره البعض " مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة "، كما يعرف بأنه " تجربة إنسانية معبرّ عنها بالألفاظ والجمل، مع شرط مراعاة مطابقة التعبير وحسن اختيار اللفظ وتناغم الحـــرف، وتناســـق الجمل، وملائمة الكلمات مع الموضوع، والعناية بالصور، واستخدام الخيـــال عنصراً ضرورياً ومتمماً في بناء التعبير بناءً جيداً " (محمد عبـــد الـــرؤف الشيخ،٥٣،١٩٩٤).

أدب الأطفال:

عرفت البشرية منذ وجودها أدب الطفل ــ وإن لم يكن مكتوباً ــ فهو من أنواع الأدب المختلفة، يعبر عن الأمـــة: عقيـــدتها، وهويتهـــا، وآمالهـــا، وأساليب عيشها. وأدب الطفل له تأثير كبير على تكوين الآراء والمعتقـــدات والموقف الجمالي من الفن والواقع الموضوعي, لذلك يجب أن يضع كاتـــب أدب الطفل نصب أعينه تكوين العقائد الحياتية والذوق الفنـــي الســـامي لـــدى الأطفال, فيرعى فيهم الإحساس بما هو رائع والقدرة على التحليل المســـتقل, للوصول إلى نتائج إيجابية تهدف إلى تكوين الشخصية بشكل متكامل. وهـــذا يتطلب ضرورة دراسة المؤثرات (الجماليـــة - الطبيعيـــة والفنيـــة تحـــديثها وتطويرها من مكتبات وحدائق ومســـرح و دور ســـينما ومراكـــز ثقافيـــة ومعارض فنية ومتاحف وأماكن تراث, للارتقاء بالتذوق الفنـــي والتربـــوي الموجه للطفل.

وحيث أن إنسان العصر الحديث أحوج مـــا يكـــون إلـــى التربيـــة الجمالية لأنه بحاجة إلى الوعي الجمالي الذي يوقظ فيـــه الإحســـاس بـــالقيم

والحق حيث يتم حشو أذهان الطلاب بالمعارف والمعلومات, وقلما نحــرص على تزويدهم بالقدرة على الدهشة والإعجاب و التفتح الوجداني, فالتربية عن طريق الفن الجمالي هي تربية على طريق الإبداع والتربيــة علــى طريــق الإبداع سواء استخدم في الفن أو العلم فإنها تعني تربية من أجــل المســتقبل الأفضل لمجتمعنا ويعتبر **أدب الأطفال** هو نوع من الفن الأدبي يشمل أســاليب مختلفة من النثر والشــعر المؤلفــة بشــكل خــاص للأطفــال والأولاد دون عمر المراهقة .بدأ تطور هذا النوع الأدبي في القرن السابع عشر في أوروبا، وأخذ يزدهر في منتصف القرن العشرين مع تحسين أنظمة التعليم في جميــع أنحاء العالم، مما زاد من طلب المؤلفات المخصصة للأطفال بلغات مختلفــة، ومع ظهور أدباء يكرسون معظم وقتهم لكتابة مؤلفات للأطفال.

ويعرف أحمد حسن حنوره أدب الطفل بأنه: هو مجموعة الانتاجات الأدبية المقدمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم؛ أي أنه في معناه العام يشمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجســد المعاني والأفكار والمشاعر. (أحمد حسن حنوره،١٩٨٩،١٠) ويعرف علــى احمد مدكور أدب الأطفال: " لا يختلف أدب الأطفال في المرحلــة الابتدائيــة عن أدب الكبار. فالأدب في كلا الحالتين هو تعبير فني هادف ينبثــق عــن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، لكن أدب الأطفال – مع ذلــك – يختلف عن أدب الكبار من حيث الموضوع الــذي يتناولــه، والفكــرة التــي يعالجها والطريقة التي يتم تناوله بها والأسلوب الذي يقدم بهــا(علــى أحمــد مدكور،١٩٩٧، ٤٥)

وعرف نجيب الكيلاني أدب الأطفال وأهدافه بقولــه: هــو التعبيــر الأدبي الجميل المؤثر الصادق في ايحاءاته ودلالاتــه، والــذي يســتلهم قــيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساساً لبناء كيان الطفل عقليا ونفســيا

ووجدانياً وسلوكيا وبدنياً ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطريـــة وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية، وبـــذلك ينمـــو ويتـــدرج الطفل بصورة صحيحة تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض فيســـعد حياته ويسعد به ومعه مجتمعه، علي أن يراعي ذلك الأدب وضـــوح الرؤيـــة وقوة الإقناع والمنطق (نجيب.كيلاني، ١٩٩٣،١٥)كذلك عرف بيتر هنت " Peter Hunt "أدب الأطفال بأنه هو مجموعة من الكتب التي فـــي الواقـــع تعتمد على العلاقة بينهما وبين مجموعة خاصة من القـــراء هـــم الأطفـــال) (Hunt Peter,1996,6

وتتعدد تعاريف أدب الأطفال، وببساطة يمكن أن يعرف أدب الأطفال، بأنـــه حصيلة ما يكتب للأطفال خصيصاً من نتاج أدبي، روعي فيـــه خصائصـــهم اللغوية والنفسية والعقلية، متمثلا في الأشكال الأدبية المتنوعـــة مـــن قصـــة وشعر ومسرحية وأغنية. كما يعرف بأنه كل ما كُتب وصُوِّر وقُـــرئ مـــن شعر أو نثر(قصة وشعر ومسرحية وأغنية) ليقرأه ويراه ويسمعه، الطفل فهو أدب للطفل.

فأدب الأطفال هو نوع من الفن الأدبي يشمل أساليب مختلفـــة مـــن النثر والشعر المؤلفة بشكل خاص للأطفال دون عمر المراهقة. ولقـــد بـــدأ تطور هذا النوع الأدبي في القرن السابع عشر في أوروبا، وأخذ يزدهر فـــي منتصف القرن العشرين مع تحسين أنظمة التعليم في جميع أنحاء العالم، ممـــا زاد من طلب المؤلفات المخصصة للأطفال بلغات مختلفة، ومع ظهور أدبـــاء يكرسون معظم وقتهم لكتابة مؤلفات للأطفال. ومن أبرز كتابه العرب: أحمـــد نجيب، كامل كيلاني. محمود مفلح في ديوانه غرد يا شبل الإســـلام، يعقـــوب الشاروني، ويحيى علوى فرد، محمد سعيد العريان، أحمد عبد السلام البقالي، أحمد شوقي في ديوانه للأطفال.

وأدب الطفل هو جنس أدبي متدرج يوجّه إلى مرحلة من مراحل الطفولة وفقاً لما انتهى إليه علم النفس من الخصائص النفسية، والجسمية، والمعرفية لذلك الطفل. وبناء على ما سبق فإن أدب الأطفال هو: التعبير الأدبي الجميل عن الشعور الصادق والأفكار المناسبة لمرحلة الطفولة، يستخدم اللغة التي تتفق ونموه العقلي والنفسي والاجتماعي مستهدفا بناء شخصيته ومتفقا مع خصائص المجتمع.

من التعريفات السابقة نستنتج أن أدب الأطفال وإن كان رافدا يصب في تيارات الأدب العام لكنه له شخصيته المستقلة وهويته المتميزة وخصائصه التي تنأى به عن التعقيد والأساليب المتداخلة وتراعي حاجات الطفولة واهتماماتها وقدراتها. فأدب الأطفال هو: التعبير الأدبي الجميل عن الشعور الصادق والأفكار المناسبة لمرحلة الطفولة، يستخدم اللغة التي تتفق ونموه العقلي والنفسي والاجتماعي مستهدفا بناء شخصيته ومتفقا مع خصائص المجتمع.

إن أفضل تعريف وأيسره هو: أن كل ما كُتب وصُوِّر وقُرئ ليقرأه ويراه ويسمعه الطفل فهو أدب للطفل. هذه بعض تعريفات أدب الأطفال، وإن كانت متقاربة في المضمون عموماً. ولا تعارض بين التعريفات السابقة، بل هي متكاملة، وإن كان التعريف الأخير أشمل لإشارته إلى دور علم النفس، وعلاقته بمرحلة الطفولة.

أهم أهداف أدب الطفل

ونحن ماذا نريد من أدب الطفل؟ إننا نريد منه أن يحقق لنا عدداً من الأهداف الكثيرة التي تدخل تحت أربعة أهداف رئيسة هي:

١ - أهداف عقائدية.

٢ -أهداف تعليمية.

٣ - أهداف تربوية.

٤ - أهداف ترفيهية.

وذلك التقسيم لكيلا تتداخل الأفكار، وإلا فكل الأهداف تـدخل تحـت الهدف العقدي؛ لأننا أمَّةٌ عقيدتنا تشمل جميع شؤون الحيـاة الكبيـرة منهـا والصغيرة.

أولا: أهداف عقائدية:

كتب أهل كُل أمَّة أدبهم مستمدين ذلك من عقائدهم، فتجد آثار تلـك العقائد ظاهرة في آدابهم جليَّة، وبما أن ديننا الإسلام خاتم الأديان والمهـيمن عليها وجب علينا أن يكون هذا الأدب معبراً عن تلك الحقيقة، فنجعل عقيدتنا تصل إلى الأطفال عن طريق الربط بينها وبين جميع حواسهم وملاحظـاتهم ومداركهم؛ لأنه لا خوف من ذلك؛ فعقيدتنا لا تصطدم بشيءٍ مـن الحقـائق العقلية، فتكون كلمة التوحيد موجودة في ذلك الأدب حتى تنمو معـه. ولقـد حرص الإسلام على أن يكون أولَ ما يطرق سمع الصبي الشهادتان، وكـان سلفنا أول ما يحرصون عليه أن يتكلم الطفل بالشهادة، فتنمو معه ويزداد حبُّه لها. ويقول الغزالي في كتابه إحياء أصول الدين: «اعلم أن ما ذكرنـاه فـي ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشـوئه ليحفظـه حفظـاً لا يزال ينكشف له معناه في كِبَرِه شيئاً فشيئاً".(نجيب.كيلاني، ١٩٣،٤٦)

لا بد من ترسيخ حب الله ــ سبحانه وتعالى ــ ومعرفة قدرته، وأنـه خالق الإنسان ومسيِّر الكون، وأن المرجع والمآل إليه، فينشأ الطفـل غيـر مشوش التصور وضعيفه، تهزُّه أول كلمة شك، أو ينساق وراء الجهل، فيقـع في الشرك أو البدع المهلكة. وما أجمل تلك الأناشـيد التـي تمجـد الخـالق سبحانه وتعالى وتحث على التدبر في مخلوقاته، أو تلك القصص والصـور التي تزيد الطفل يقيناً بعظمة الخالق وقدرته، فيزداد حباً لربه ويقيناً بعقيدتـه

التي تدعوه إلى التضحية في سبيل الله كما فعل سلفه الصـــالح. ومـــن تلـــك الأهداف العقدية محبة رسول الله - صـــلى الله عليـــه و ســـلم - والأنبيـــاء والرسل، وذلك عن طريق السيرة النبوية وقصص الأنبيـــاء المســـتمدة مـــن القرآن الكريم والسنة الكريمة لا من الإسرائيليات، فما أروع تلـــك القصـــص عندما تكون تفسيراً مبسطاً لقصص الأنبياء والمرســـلين التـــي وردت فـــي القرآن، فيزداد ارتباطه بالقرآن، ويعلم علم اليقين أنه المصدر الســـابق لتلـــك القصص، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون ذلك درعـــاً للدفاع عندما يصل إليه المشككون، كما يصبح له ذلك طريقاً لـــتعلم القـــرآن وقراءته ومحبته والارتباط به. ومن الأهداف كذلك تحبيب الأطفال بالرســـول - صلى الله عليه و سلم -، ومعرفة حقه، ووجوب طاعتـــه؛ ففـــي عـــرض سيرته مجملة أو مقسمة خير مرسخ لتلك المحبـــة، والتركيـــز علـــى صـــلته بأصحابه وعرض محبتهم له وفدائهم له، وما أكثر تلك المواقـــف القصصـــية في سيرته وسيرهم. كما تعرض لهم علاقته مع أهل بيته، وليكون الطفل على دراية بدور الأم والأب والأولاد.

ولا بد في أدب الطفل من استلهام كل أمرٍ عقدي من القرآن الكـــريم؛ حتى يعرف الطفل عن طريق تلك الآداب أن القرآن مصدر عقيدته لا يدخلـــه شك ولا شبهة ليكون ذلك خير دفاع في نفســـه فـــي وجـــه تيـــارات الكفـــر والضلال، فينشأ الطفل قادراً على التكيف لا تتنازعه الأهواء، ويكون أكثـــر اتزاناً؛ لأن العقيدة الصحيحـــة غُـــرســـت في قلبه وفكـــــره بتمثلهـــم لهـــا عـــن طـــريق تلك الآداب. يقول الإمام الغزالي: «ويرسل إلى المكتب مبكراً فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار ليُغرَس فـــي نفســـه حـــب الصالحين». وليس الأمر في ذلك بحشو أدب الطفل بتلك الأسس حشواً، بـــل تكون أسساً يركز عليها ذلك الأدب. فقد تكون القصة أو التلوين أو الفـــيلم أو

الأنشودة في بابها أو تحوي بين ثناياها تلك الأسس لتصل إلى الطفل مقرونة بشيء من المحسوسات؛ لتكون أسرع رسوخاً في ذهن الطفل، مبسطة حتى يمكن لعقل الصغير إدراكها، وفي القرآن الكريم أمثال لذلك من ضرب الأمثال على التوحيد، وعظمة الخالق، وقصص النبيين (نجيب .كيلاني،٤٨،١٩٩٣).

ثانيا: - أهداف تعليمية:

لا بد أن يضيف الأدب إلى أهله شيئاً قد يكون مفيداً أو ضاراً؛ وأُمَّةُ الإسلام يجب أن يضيف أدبها ــ أيًّا كان نوعه ــ ما يفيد سوادها ــ ومن ذلك أدب الأطفال الذي يجب أن يستغل حب الأطفال للاستطلاع والمعرفة. يقول عبد الفتاح أبو مِعال «ولما كان الإحساس بالحاجة إلى المعرفة عند الأطفال جزءاً من تكوينهم الفطري لأن غريزة حب الاستطلاع تنشأ مع الطفل وتنمو معه، ومحاولة الطفل التعرف على بيئته تعتبر من العوامل الهامة التي إذا عولجت بحكمة؛ فإن ذلك يؤدي إلى تنمية ما يمكن أن يكون لديه من إمكانات وقدرات» (عبد الفتاح أبو معال،٢٠٠١، ١٥).

ومن ذلك أن يكون هذا الأدب يدرب الطفل على قراءة القرآن، وإجادة تلك القراءة مع فهم مبسط لمعاني ما يقرأ لكي يتذوق القرآن ويفهم ما يقرأ. وفي القرآن رصيد ضخم للمعارف بأنواعها مما يفتح عقل الطفل ويزيد تعلقه بكتابه؛ ففي بعض سور القرآن كسورة الفيل، والمسد، والشمس، قصص مبسطة وقصيرة تناسب الأطفال. وكلما تقدم الطفل كان الأدب مراعياً لذلك التقدم، كما يتعلم عن طريق الأدب ما يُقَوّم لسانه من لغته العربية، فيزداد تعلقاً بها ومحبة لها، مع مراعاة القاموس اللفظي للطفل، ولذلك لا يستطيع كل أديب الكتابة للأطفال.

وليكن الأدب محفزاً الطفل على اكتشاف كل جديد، ومعرفة خفاياه من علوم دنيوية تحيط به كمكونات جسم الإنسان وآليته، وخلق الحيوانات والأرض والأفلاك وغيرها، ليعرف إبداع الخالق وعظمته مع ربط ذلك بالقرآن الكريم الذي يحوي الكثير منها. كما يعلمه الأدب علوم الإنسان كالتاريخ والجغرافيا والفيزياء والحاسب الآلي والأقمار الصناعية؛ ليشبع في نفسه حب المعرفة ولتنمية ما لديه من هوايات لتصبح مهارات يتميز بها. وأدب الطفل يعين على اكتشاف الهوايات والحصول على المهارات الجديدة، ويعمل على تنمية الاهتمامات الشخصية عند الطفل.ويمكن تشجيعه على استعمال تلك المعارف في حديثه مع غيره، وفي إلقائه ومخاطبته للجمهور، ولنعلم مدى فائدة تلك الآداب للطفل لننظر إلى الأفلام المتحركة المدبلجة أو المنتجة؛ فلغتها الفصحى علمت أكثر الأطفال هذه اللغة المحببة، وأصبح السواد الأعظم من أطفالنا المتابعين لها يعون ويفهمون لغتهم الفصحى وإن لم يستطيعوا الكلام بها بشكل جيد، وظهر أثر ذلك في كتاباتهم، فزادت مفردات الفصحى وأساليبها، وأثَّرت في حديثه وكتابته.

ثالثا: - أهداف تربوية:

إن التربية التي يتلقاها الطفل عن طريق الأدب ليست بأقل مما يتلقاها في مدرسته أو على يد والديه أو عن طريق مجتمعه؛ لأن الطفل عندما تكون هذه التربية بالأدب أياً كان نوعه يقرؤها أو يسمعها أو يراها؛ فإنها ترسخ في ذهنه؛ فابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عندما أوصاه الرسول - صلى الله عليه و سلم - بالوصية الجامعة كان غلاماً، ورغم ذلك طبق تلك النصيحة ونقلها إلى غيره من الناس، وطبعت حياته بطابعها الإيماني. فالطفل بطبعه ميال إلى تقليد غيره بالحسن وبالقبيح؛ فالتربية لا بد أن تراعي ذلك الجانب؛ فإنه عندما يرى فيلماً أو يقرأ أو يسمع قصة يتمثل أو

يحاول أن يتمثل دور البطل أو الشخصية التي تناسبه فيهـا، فيحـاول قـدر الإمكان تقليدها؛ لذلك وجب علينا أن نستفيد من ذلـك وخاصـة فـي الأدب المرئي للطفل؛ لأنه أسـهل طريـق للتربية لا يحتاج إلى كبيـر جهـد وعناء.

إذن يجب أن يكون هذا الأدب مربياً للطفل على الأخلاق الحسـنة الفاضلة متصفاً بالتوحيد؛ فما أحسن تلك الأفلام المتحركة أو غيرهـا التـي تصور طفلاً ينشأ على الفطرة الإلهية موحداً متصفاً بأخلاق حسنة وصـفات نبيلة يتمثلها الطفل ويعجب بها أيما إعجاب، وما أكثر ما بلينا بتقليد أطفالنـا لكل بطل أجنبي بسبب قصور أدب الطفل المرئي لدينا، إن لم نقل انعدامـه، فشكل لنا جيلاً منفصلاً عن أمته، بل وعن محيطه الصغير ممن هم أكبر منه سناً، وما أعظم تأثير قصص أبناء الصحابة والصغار الصالحين؛ لأنه سيتمثل تلك المواقف لتصبح جزءاً من تكوينه.

لا بد أن تكون الأهداف التربوية في هذا الأدب أهدافاً سامية منتقـاة من تاريخ أمتنا، لا بد أن ننمي فيهم عن طريق أدبهـم روح الجهـاد وبـذل النفس والمال في سبيل ديننا؛ لأن التربية الأنانية وحب الذات قادنا لنكون أمة كغثاء السيل الذي أخبرنا به النبي - صلى الله عليه و سلم -، كما ننمي فـيهم روح المبادرة والقيام بالأعمال المفيدة، بل أن ننمي فيهم انتظـار المعجـزات التي لن تكون، ونربي بهذا الأدب الاعتماد على القرآن والسنة لتصديق أمـر ما بدلاً من تحكيم غيرنا الذي قادنا لنؤمن بالخرافات والخزعبلات، فانتشـر كثير من المسلمين بين القبور والقباب، وضـاعت هممهـم بـين الأناشـيد والأذكار الصوفية، ونجعل هذا الأدب يطبعهم بطابع العـزة والأنفـة وعـدم الانحناء أمام ملذات الدنيا، ويصور لهم أن الحياة خير وشر وسعادة وعنـاء، حتى نبعدهم عن اليأس والضغوط والتشاؤم، ولا زلنا نتذكر تلـك القصـص

المفزعة عن السحالي والوحوش والعفاريت التي عودت الأطفال والكبار على الخوف والرهبة من كل شيء، فلا بد أن يكون هذا الأدب منمياً لأطفالنا على حب الجهاد وعدم الخوف.

رابعا: - أهداف ترفيهية

لا بد أن يكون هذا الهدف داخلاً في الأهداف السابقة؛ لأن الطفل يحب التسلية والترفيه ويمل من الجد؛ فعندما نقدم له العقيدة والتعليم والتربية عن طريق الترفيه فلا بد أنه سيُقبل عليها وتتغرس في ذهنه أكثر مما لو كانت خالية من التسلية والترفيه. ولا أدل على ذلك من تعلق التلاميذ بالأفلام المتحركة، رغم أهميتها في التعليم والتربية إلا أننا نجعلها للترفيه. قال عبد الفتاح أبو مِعال: «والفيلم المصور المسجل بالصوت والمصاحب للحركة يساعد الأطفال على إيصال المادة التعليمية إلى جميع فئات الأطفال؛ فهذه العناصر: الصوت والصورة والحركة، تقوي سرعة البديهة والذاكرة، وتغرز القدرة على الفهم والحفظ»(عبد الفتاح أبو معال،٢٠٠١، ٣٥).

لكن طلب تلك التسلية والترفيه للطفل لا يصرف هذا الأدب إليه خاصة بدون نظر إلى الأهداف السابقة؛ لأنها المهمة وهو الوسيلة، لننظر إلى واقعنا حينما صرفنا أطفالنا نحو التسلية؛ فكثير من آداب الطفل نقصد بها التسلية والترفيه لكنها غرست في نفوسهم ما يصادم الدين والأخلاق؛ لأنه لا يوجد أدب ترفيهي منعزل عن الأهداف الأخرى؛ فالطفل عندما يلون قصة أو يشاهد فيلماً أو يقرأ فإنه يستمتع بذلك ويتسلى به، ولكنه يكتسب من تلك التسلية قيماً ومفاهيم إن صيغت بما نريد أفادت، وإن صاغها غيرنا قد تفيد ولكنها تضر أيضاً، فهي كالخمر والميسر حينما قال عنهما الله ــ تعالى ــ: (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) (البقرة: ٢١٩) ويعتبر استخدام أدب الأطفال في التربية ليس جديدا، فقد سبق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في استخدام

القصة في التربية وتكوين الشخصية المتكاملة. فأدب الأطفال كـأداة تثقيفية موجهة إلى الأطفال لا يحتمل التهاون معها في مسألة الالتزام أو الانطلاق من أهداف واضحة تتصل بأهداف التربية وأغراضها العامة التي تحددها فلسفة المجتمع الذي تنتمي إليه. والحديث عن أهداف أدب الأطفال لا يرسم حدودا لهذه الأهداف بل يبرزها دون أي تحديد قسري لها ويبلور ملامحها داخل أطر متداخلة هي

١ - **الإطار المعرفي:** من حيث زيادة المعلومات والمعارف وتصحيح القديم منها ونمو مفاهيم جديدة .

٢ - **الإطار المهاري:** من حيث تنمية مهارات: حسية وحركية وعقلية لدى الطفل

٣ - **الإطار الوجداني:** ويهتم بمراعاة حاجات النمو ومطالبه عند الطفل لتكوين اتجاهات إيجابية له

ويمكن تلخيص أهم الأهداف التي يسعى أدب الأطفال إلى تحقيقها بصفة عامة في النقاط التالية:

١. يثري الأدب لغة الأطفال من خلال ما يزودهم به من الألفاظ وكلمات جديدة، كما إنه ينمي قدراتهم التعبيرية والدينية والحقائق العلمية.
٢. يبني الطفل بناء سليما عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا ويعده لتحمل مسؤولية الغد بعزيمة ووعي وكفاية وإخلاص.
٣. يصقل سلوك الأطفال وفق قيم وقوانين ويعمل على تربيتهم تربية أخلاقية.

٤. أن يشعر الأطفال بالاستقرار والأمن لان هذا الإحساس هو الأساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة.
٥. أن تقوي روح التضامن والتعاون بين الأطفال.
٦. أن يكسب الأطفال المهارات المختلفة التي تساعد على الإنتاج أولا وعلى كسب الثقة ثانيا وان تزدهر قدراتهم ومواهبهم.
٧. تنمية الشجاعة والجرأة في نفوس الأطفال لان الشجاعة والجرأة غذاء النفس ومورد للعقل.
٨. يعتاد الطفل على عادات طيبة وينفر من العادات السيئة.
٩. ينمي لدى الطفل الحس الفني الجمالي فالقراءة المتواصلة تهذب الذوق وتعلمه أن يقدر الكتاب الجيد والصورة الجميلة وأن يميز بينها وبين الكتاب أو الصورة الأقل جودة وجمالا.
١٠. تنمو لدى الطفل القدرة على التعبير الخلاق فحينما يقرأ الطفل كتابا ما يحس أحيانا بالحاجة إلى الكتابة والتعبير عن المشاعر الخاصة.
١١. اكتساب المواهب الأدبية والفنية في مرحلة مبكرة عند الطفل وذلك بدفعة إلى الممارسة.
١٢. تحبيب العلم إلى نفوس الأطفال واكتشاف المواهب العلمية لديهم من خلال القص العلمية والمكتشفات الحديثة وقصص العلماء والباحثين.
١٣. ينمي لدى الطفل حب المغامرات في سبيل رفع المستوى المعيشي أو بغية الاستكشاف والاستطلاع.

الأجناس الأدبية ومجالات أدب الطفل:

الأجناس الأدبية:

تعتبر القصة أكثر الأجناس الأدبية انتشاراً وشيوعاً بين الأطفال، وهي تستعين بالكلمة في التجسيد الفن، حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية في

الغالب، كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من إبداع خلق الشخصيات وتكوين المواقف والحوادث، وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكاراً فحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات بناءة لدى الطفل؛ إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية والقصة باختصار جنس أدبي، فيه تُسرد واقعة، أو مجموعة وقائع تُستمد من الواقع، أو الخيال، أو منهما معاً، وتُبنى على قواعد معينة. والقصة أكثر الأجناس الأدبية انتشاراً وشيوعاً بين الأطفال، وهي تستعين بالكلمة في التجسيد الفن، حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية في الغالب، كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من إبداع خلق الشخصيات وتكوين المواقف والحوادث، وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكاراً فحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات بناءة لدى الطفل؛ إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية من خلال الموضوع المستهدف. فيبدأ بقصة مبسطة، كلماتها بسيطة وأحداثها بسيطة جداً وجمل قصيرة مكتوبة بخط كبير وواضح بجانب الصورة، وهذا التدرج مهم جداً حث يراعى التدرج في نمو الطفل.

الحكاية الشعبية منبع لأدب الطفل

تشترك شعوب الأرض مهما اختلفت لغاتهم وثقافاتهم وأعراقهم في محبة الحكاية الشعبية، لأنها كما شرحها المعجم العربي (مروية حاكها الخيال ثم توارثتها الأجيال)، وعرّفها المعجم الألماني على أنها (الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل شفوياً من جيل لآخر)، والإنجليز يصفونها (بالحكاية الحقيقية القابلة للتطور مع تغير العصر وأسلوب راويها) (سميح أبو مغلي، ١٩٩٣، ١١٥).

وكلما كانت الحكاية زاخرة بالإثارة والخوارق البطولية، زاهرة بالعجائب المدهشة، ومروية بأسلوب تشويقي؛ كلما ازداد تعلق الشعوب بها

وتورثيها جيلاً بعد جيل. وغالباً ما تتصل الحكاية الشعبية بالأحداث التاريخية العظيمة، وبالحروب، والأبطال، وأحياناً بالعالم السفلي أو الحيوانات أو ما شابه. التراث العربي حافل بالحكايات والمرويات الشعبية ذات الدلالات الهادفة والمفيدة للطفل العربي والعالمي، هذه الحكايات تغافل عنها المهتمون بأدب الطفل في الوطن العربي، وأصبح تركيزهم على أدبيات مستوردة من التراث الأجنبي، لا تمت لثقافتنا بصلة، مثل (مبكي ماوس) (وأليس في بلاد العجائب) وغيرها،، في ما تختلجه صدور وذاكرة جداتنا وأجدادنا من حكايات سمعوها من آبائهم وأجدادهم، تلك الكنوز لو أمكن استخراجها وأعيد صياغتها وسردها، ومن ثم عرضت بشكل أدبي وفني لاسترجعنا بعضاً من وهج الأدب العربي بعمومه وأدب الطفل بشكل خاص، فلم يزل العالم الغربي يستقرئ ويلذ بأدبيات أجدادنا الشعبية إلي اليوم، ولا زال الطفل الغربي يجد المتعة في قراءة (علاء الدين) و (السندباد) و (وعلي بابا) وغيرها من قصص التراث العربي , فالحكاية الشعبية المصاغة في قالب الخُلق الحميد، المنضبط بضابط الأدب الرفيع؛ لها انعكاساتها المثمرة على الأطفال لا سيما في الشأن التربوي، ولا نبالغ إن قلنا بأنها ذات تأثير أبلغ من بعض المؤسسات التربوية المتخصصة، رغم تغلب النمط الخيالي فيها على حساب الواقعية المجردة، ورغم الحضور الطاغي لخوارق الممكن والمعقول.

فالمتلقي – خاصة الصغير – يتجاهل خروقات القصة الشعبية وتجاوزاتها المنطقية حينما يلمس فيها عقلانية الغاية ونبل ما ترنو له تلك المبالغات والمعجزات، ولا أكثر عقلانية من انتصار قيم الخير والحب والعطاء على أنانية الذات وحمأة الطمع وأذية الآخرين، و يتجلى ذلك في انفعالات الطفل العاطفية تجاه أبطال الحكاية، وميله العفوي لنُصرة المظلوم وإن كان حشرة، والأخذ على يد الظالم ولو بلغ ضخامة سمك القرش، يندفع

بكل حواسه مع نشوة الانتصار، وتجتاحه موجة الهزيمة والانكسار، حسب مسارات ومعطيات القصة، كما لو كان حاضراً متجسداً لإحدى شخصياتها. (زهراء الحسيني،٢٠٠١، ٦٧).

شعر الأطفال

تذكر زهراء الحسيني (٢٠٠١،١١١) عن الشاعر عبد المنعم عواد يوسف «شعر الأطفال»، أنه يميز مثل كثيرين سبقوه بين مفهومي «الشعر عن الأطفال»، و«الشعر للأطفال»، واستعرض جهود الرواد في كتابة الشعر للأطفال، وهم محمد عثمان جلال وأحمد شوقي وعبد الله فريج ومحمد الهراوي وكامل كيلاني وإبراهيم العرب وجبران النحاس والصاوي شعلان وعلي عبد العظيم ومعروف الرصافي ومحمود غنيم وعادل الغضبان ومحمود أبو الوفا ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم، وأشار إلى جهود نشر بعض أعمال هؤلاء الرواد. وذكر شيئاً عن الاهتمام العربي المتأخر بشعر الأطفال إبداعاً ودراسة، وختم بحثه بالشروط الفنية الواجب تحققها في شعر الأطفال، وهي:

أولاً: أهمية أن يكون الموضوع داخلاً في اهتمامات الطفل، ملبياً لحاجة من حاجاته النفسية والمعرفية.

ثانياً: أن تكون المفردات اللغوية المستخدمة ضمن المعجم الخاص للطفل وفق العمر العقلي لمن نتوجه إليه بالكتابة مع بساطة التراكيب ورشاقتها.

ثالثاً: تكون الصور الفنية في حدود إدراك الطفل واضحة المعالم، بعيدة عن التداخل والتعقيد.

رابعاً: تستخدم في الصياغة الموسيقية الأوزان البسيطة بحيث يحتوي شطر البيت على تفعيلة صافية أو تفعيلتين على الأكثر.

ويلاحظ أن هذه الشروط سبق ووردت في تقديم الشاعر يوسف لمجموعة هيثم يحيى الخواجة للأطفال «درب القمة»، وهذه الشروط من متواتر القول الشائع، وقد جاوزتها الكتابات النظرية حول أدب الأطفال في العقد الأخير.(زهراء الحسيني، ٢٠٠١، ١١٢)

المسرح الشعري للأطفال

اهتم أحمد سويلم، وهو باحث في أدب الأطفال وشاعر وممن كتبوا الشعر والمسرحية الشعرية للأطفال، بالمسرح الشعري للأطفال، ووضع مقدمات وجيزة أقرب إلى الإشارات، عن الشعر والمسرح، و الدراما والطفل، والطفل والشعر، والشعري، وألمح إلى تجارب ريادية لمحمد الهراوي وأحمد شوقي وسليمان العيسى وحسيب كيالي وخليل خوري وإبراهيم شعراوي وسمير عبد الباقي وعبد الرزاق عبد الواحد وفاروق سلوم وفاروق يوسف. وتوقف عند تجاربه في كتابة المسرح الشعري للأطفال ومن أهم أهداف المسرح الشعري للأطفال الأهداف التالية:

١. تسدّ هذه المسرحيات نقصاً في مكتبة الطفل العربي، وتضيف هذا اللون الذي تأخر وجوده كثيراً، فهي مسرحيات شعرية باللغة العربية الفصحى.

٢. تستمد مادتها، من حكايات التراث العربي العريق، في محاولة لكسر حصار القوالب الجاهزة المترجمة، وربط الطفل العربي بماضيه وكنوزه الثمينة بعد أن تغرب عنه طويلاً.

٣. تتخذ هذه المسرحيات أسلوب اللغة الفصحى المبسطة والقريبة من وجدان الطفل.

٤. يكون الشعر في هذه المسرحيات مبسطاً، يعتمد على إيقاعات متكررة (الشعر الحديث) في سياق الحوار بين أبطال العمل، ومطعماً

بالأغاني التي تلتزم مجزوءات البحور وتغيير القوافي، كسراً للملل، ووصولاً إلى وجدان الصغير، وهذا أيضاً من شأنه أن يخدم حاسة الطفل الفنية.

٥. تتميز الموسيقى والألحان بالإيقاعات البسيطة غير المعقدة، والتي يسهل للطفل ترديدها أو الترقيص عليها دون صعوبة، مما يمتع الوجدان، ويجعل الطفل كائناً متذوقاً، يشعر بالجمال، ويعيش عوالمه المجنحة.

٦. تعتمد المسرحيات على وجود رواية مع الأطفال يربط بين الأحداث، تقريباً من أدوار الأب أو أم أو الجد أو الجدة.

٧. تهدف المسرحيات إلى تعريف الطفل بخصائص فن المسرح وإمكاناته الفنية.

٨. المسرحيات تتيح الفرصة كاملة لأن يؤديها الأطفال فقط، أو يشترك معهم الكبار، أو يؤديها الكبار فقط..

٩. تهدف المسرحيات كذلك إلى إحياء المسرح المدرسي، على أسس جديدة تجمع بين الشخصي (عبد الفتاح أبو معال،١٠٥،٢٠٠١)

أهم مجالات الاستفادة من أدب الطفل

استخدام الأدب للتربية الخلقية والفضائل: يسعى هذا الاتجاه إلى توظيف الأدب في خدمة التربية إذ أنه يقدم أحياناً ــ في الرواية خاصة ــ نماذج أبطال تجسد في ممارستها الحياتية القيم الحياتية التي يسعى المجتمع المتلقي إلى غرسها في أفراده وتكمن فعالية الأدب بما يملكه من عوامل جذب تجعل المتلقي مهيأ للتأثر بهؤلاء الأبطال، بل ربما تدفعه إلى تقليدهم،واستخدام الأدب في تعليم الفضائل الحياتية على القيمة التعليمية التربوية في تعريف الأطفال و الطلاب بالشخصيات التي تتسم بتلك المزايا من شجاعة، وأمل، وتفاؤل، وطموح، ومبادرة فردية، وحب الوطن، وحب الأسرة، واهتمام بالبيئة، واستنكار للظلم الاجتماعي. ويمكن للأدب أن

يمارس وظيفته الحياتية بوساطة الأجناس الأدبية الأخرى فليس تمثل القيم بالشخصيات الروائية هو الوسيلة الوحيدة وإنما الخطاب المباشر والشعر قد يملكان التأثير إذا ما كانت العناصر الجمالية متوافرة فيهما حيث يتوجه إلى العقل والشعور في آن واحد.

ويمكننا أن نذكر هنا ما يتضمنه الأدب العربي من حكمة، وأمثال شعبية تمثل خلاصة تجربة الشعوب والتي لعبت دوراً فعالاً في ترسيخ القيم السامية، وتوجيه الفرد نحو الفضيلة، كما تتضمن الرسائل المشهورة في تاريخ الأدب العربي كثيراً من القيم التي أسهمت في تهذيب الفرد لكي يكون عضواً صالحاً في المجتمع. وتعتبر الرسائل والوصايا الموجهة من الوالدين للأبناء أحد هذه الأشكال الأدبية.

ويلاحظ من يقرأ هذه الوصايا أنها تنطوي على قيم أخلاقية وتربوية كثيرة. وقد لا يدرك الكثيرون قيمة الكتابة الموجهة إلى الطفل، فالكاتب عليه أن يتلبس عقل الطفل ونفسيته في المرحلة العمرية المستهدفة، وعليه كذلك أن يحدد الكيفية التي تعينه على تمرير ما يريد من خلال الكتابة بعيدا عن التلقين والحشو وهذا خطأ وهذا صواب. بل يجب التركيز على الاهتمام بعقله وتثقيفه، تماما مثلما نهتم ببدنه وتحصينه ضد الأمراض.

وهذه الفكرة لابد أن يتم غرسها منذ الصغر في الأسرة، والمدرسة، وأن تتكاتف كل الجهود، ومعها الأقلام التي تكتب للطفل وليس عن الطفل من أجل تقديم كل القيم بسهولة ونعومة بعيدا عن الوعظ الذي يصيب الطفل بالسأم. فمن المعروف أن هناك قيما أساسية تتشارك فيها كل الأديان مثل الصدق والحق والجمال وغيرها، وكان السؤال هو كيف ننزل بهذه المسميات الضخمة إلى مستوى الطفل وكيف يكتسبونها عن اقتناع وحب؟ أدرك الجميع أهمية التحاور من أجل الطفل الذي يجب أن نترك له فرصة التفكير

والاختيار والإبداع وكل هذا ممارسة فعلية لمفهوم الحرية التي يسئ الـــبعض فهمه حتى من الكبار لا من الصغار فقط.

ويعتبر أدب الطفل وسيلة لتدريب الطفل من خلال كل أشكال الكتابة على أن يمارس حرية الفكر والاختيار، وأن يتعرف على القيم الأساسية، وأن يشعر أن من أول خطوات الحرية أن يشـــعر بواجباتـــه والتـــي تصـــاحبها مجموعة من الحقوق عليه أن يعرفها أيضا. فالهدف هو أن يتعلم الطفـــل أن يتقبل الشيء عن حب واقتناع وهذا من أول الحقوق التي يجب أن يتمتع بها، مع مراعاة حقوق من حوله في إبداء رأى مخالف لرأيه كما يطالب هو بـــأن يكون له الحق نفسه.

وتكمن أهمية دور أدب الأطفال في غـــرس كـــل القـــيم، وأن دور كاتب الطفل لا يقل أهمية عن دور الأم والأب فـــي البيـــت، والمعلـــم فـــي المدرسة، ورجل الدين في المسجد والكنيسة. أن حل الكثيـــر مـــن مشـــكلاتنا تكمن في زرع فكرة المواطنة والانتماء في عقل الطفل من أجل الحفاظ على هويته المستقلة، والتي قد تضيع عندما يجد أمامه هذا العالم المفتوح من خلال التليفزيون والنت ويجد أن كل الخيارات متاحة أمامه في العالم الافتراضـــي، ثم يفاجأ أن هناك فرصا قليلة جدا للتعبير عن رأيـــه ســـواء فـــي البيـــت أو المدرسة.

أدب الطفل الديني أو العقائدي

يجب أن يكون الأدب موجهاً حسب معتقداتنا وتكويننا العقائدي مـــن غير أن نصفه بأنه أدب إسلامي، لئلا نجعله منعزلاً، عندما نقول للأم ســـأقدم أدباً إسلامياً لطفلك قد تتخوف، وتشعر بالرهبة والهيبة،، فأهم شيء بالنســـبة لأدب الطفل أن يكون محتواه تربوياً وموجهاً لغايات إسلامية، لنجعل محتواه ومضمونه إسلامياً دون أن نصفه بصفة أدب إسلامي

والمسؤولية في تقديم أدب موجه توجيه إسلامي، لا تقتصر على قصص دينية، القصة التي تعلم الطفل كيف يبني شخصيته، وكيف يتعلم القيم الإنسانية، هذا كله يدخل تحت مفهومنا للأدب الإسلامي، أو الأدب الموجه توجيهاً إسلامياً، الأدب الإسلامي أكثر شمولية من أن نحدده، أن نقصره على قصص دينية مكتوبة للأطفال، أي قصة تعالج حاجات الطفل وميوله ورغباته وتحقق غاياتنا في التربية الإسلامية تعتبر في نظري أدباً صحيحاً يتدرج تحت مفهومنا العام للتربية الإسلامية.

وللحكم على القصص الاجتماعية والتربوية، في ضوء حاجات الطفل، ميوله ورغباته، يجب ألا نجعل مفهومنا للأدب الإسلامي ضيقاً جداً، ويندرج فقط تحت القصص الدينية. المسؤولية مشتركة، الكاتب، دار النشر، الجهات المعنية بأدب الطفل، وزارة التربية والتعليم، وليس فقط المؤسسات الحكومية، كما أنها مسئولية الأفراد والأسرة والمعلمين والمربين في المجتمع؛ إذ إن جميع أفراد المجتمع وهيئاته تقع عليهم مسؤولية تقديم أدب موجه توجيهاً محليا وإقليميا وعالميا للطفل. كما يجب أن تبنى الكتابة للأطفال على الإبداع والمعرفة الصحيحة بالمستوى اللغوي عند الطفل ومن المهم تعويد الطفل على القراءة والتوجه له بأدب يتناسب مع عمره وتفكيره فالطفل خيال واسع يجب أن يستغله الكاتب في كتابة قصص ومسرحيات تحاكي هذا الخيال بإسقاط هذا الخيال على الواقع المعاش والخروج منه بقيم إسلامية ليتم غرسها في عقل الطفل المستعد لتقبل كل ما نمنحه له، لا أن نتركه هكذا أمام التلفاز يضعه أمام عولمة فكرية وثقافية.

أدب تبسيط العلوم للأطفال

يعتبر تبسيط العلوم وبخاصة للأطفال، مطلب حضاري وعلامة مميزة لتقدم الأمم والشعوب، لإعداد الأجيال للحاضر والمستقبل، خصوصا

علوم العصر الحديثة مثل التقنيات متناهية الصغر المسماة تكنولوجيا «النانو» (النانو يساوي جزءا من المليار)، والخلايا الجذعية، وهندسة الأنسجة وطب التجديد، والروبوتات والذكاء الصناعي، وتكنولوجيا الحاسبات والمعلومات، وغيرها، وهناك سباق حاليا في دول العالم المتقدمة نحو تبسيط هذه العلوم لعموم الجمهور والأطفال من خلال الكثير من الأساليب غير التقليدية المبتكرة التي تسهم في عرض الحقائق العلمية بأسلوب جذاب وممتع يسهم في تنمية الخيال والإبداع لدى الأفراد وتشجيعهم على الاهتمام بهذه العلوم وارتيادها وتعلم المزيد عنها.

وتعتبر القصص العلمية من الفنون والأساليب التربوية المهمة والمميزة لتبسيط العلوم والمحببة لدى الأطفال، التي يمكن من خلالها تقديم مادة علمية مثيرة مبسطة تستشرف الحاضر والمستقبل، تناسب أعمارهم وتنمي وتنشط خيالهم وإبداعهم لتسهم في إعداد جيل مفكر واع بآفاق التطورات العلمية الحديثة والمستقبلية المتسارعة. فمن خلال القصة العلمية وما تحتويه من مثيرات، يمكن تشجيع روح الإبداع والابتكار لدى الأفراد، خصوصا الأطفال والشباب، كما يمكن أيضا تنمية الخيال العلمي لديهم.

ولقد أدركت الدول المتقدمة أهمية القصص العلمي وأدب الخيال العلمي في تنمية الإبداع والكشف المبكر عن المبدعين والموهوبين، فقامت بإدراجه في المناهج الدراسية في رياض الأطفال والمدارس والجامعات لتشجيع الأطفال والطلاب على التفكير العلمي وتوقع ما سيكون عليه المستقبل والاستعداد لمواجهته؛ إذ بينت الدراسات الحديثة أن تدريس العلوم من خلال القصص العلمية والخيال العلمي يشكل أهمية خاصة وضرورة مهمة من ضرورات تنمية التفكير العلمي ومهارات التفكير الإبداعي والنقدي، كما يسهم الخيال في إيجاد اتجاهات وقيم إيجابية عند الأفراد تجاه العلم

والعلماء، مما يدفعهم إلى محاولة تتبع خطاهم وبالتالي التوجه نحو الاهتمام بدراسة العلوم وإشاعة المنهج العلمي والرؤية المستقبلية في المجتمع.

ومن بين العلوم الحديثة المستقبلية المهمة التي ستغير أوجه حياتنا في الكثير من المجالات: تكنولوجيا «النانو»، فقد أصبح من المهم حاليا تثقيف الأفراد، وبخاصة الأطفال، وإعدادهم لهذه التقنية المثيرة الواعدة.

وقد أدرك "منير نايفة"، أستاذ الفيزياء النظرية والنانوتكنولوجي بجامعة إلينوي الأميركية ونائب رئيس المجلس العلمي العالمي لمعهد الملك عبد الله لتقنية النانو بجامعة الملك سعود، أهمية تعريف الأطفال والناشئة العرب بهذه التقنية، من خلال أساليب مبسطة وجذابة، فقام بتأليف سلسلة قصص علمية بعنوان «هذا النانو لكم» ومن خلال شخصية الدكتور «نانو» التي تجسد شخص البروفسور نايفة، بالحديث عن تقنيات النانو وتطبيقاتها وآفاقها الواعدة في الحاضر والمستقبل، وقد تعاونت معه وشاركته في إعداد هذه السلسلة جامعة الملك سعود، وقد صدر منها بالفعل عن الجامعة النسخ الأولى التجريبية.

فجاءت القصة الأولى بعنوان «الزيارة والكعك». أما «الدكتور نانو» كعلامة تجارية مميزة، فقد انبثقت من خلال نقاش عائلي. أكد أن فكرة هذه القصص تتميز ببساطة ومتعة أسلوبها في تعليم الأجيال الناشئة أساسيات علوم وتقنيات النانو والتطورات والاكتشافات العلمية الحديثة والمستقبلية التي تتم في هذا المجال الحيوي. والفئة العمرية المستهدفة من هذه السلسلة القصصية تلاميذ الصفين الرابع والخامس بالمرحلة الابتدائية.

وعن هذا النوع من الكتابة، فهي قصص مغزولة بأفكار وحقائق علمية موجهة للأطفال بهدف تعليمهم أساسيات النانو على نمط الأسلوب الذي استخدمه كل من الفيزيائي البريطاني ستيفن هوكينغ وابنته لوسي في كتابهما

عام ٢٠٠٧ للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة والحادية عشرة بعنوان «مفتاح جورج السري للكون» (Georg's Secret Key to the Universe)؛ حيث يحكي قصة طفل صغير يدعى «جورج» وعالم فلك مرح يدعى «إيريك» الذي يجسد شخص البروفسور هوكينغ نفسه؛ حيث يفتح جهاز الكومبيوتر الناطق الخاص به نافذة على الكون الغامض والمجهول؛ حيث يرتدي الاثنان ملابس رواد فضاء ويستخدمان جهاز الكومبيوتر للبحث عن الكواكب التي يمكن للبشر السفر إليها هربا من سخونة الأرض، وخلال الرحلة يتعلم جورج الطفل الصغير والقارئ أساسيات الفيزياء الفلكية وعلم الفلك من خلال خيالات وصور توضيحية.(**رافع يحيى**،٣،٢٠١١)

أن أعمال القصص العلمي والخيال العلمي الجيدة تعتبر ركيزة مهمة نحو نشر الوعي العلمي بين أفراد المجتمع؛ حيث توفر قدرا كبيرا من المتعة الذهنية للقارئ وتستثير وتنشط خياله نحو حاضره ومستقبله ومستقبل المجتمع الذي يعيش فيه أو حتى مستقبل البشرية كلها، وبخاصة استخدام التساؤلات مثل: «ماذا يحدث لو..؟»؛ حيث تشجع على التفكير العلمي الجاد وارتياد مجالات جديدة للبحث والاكتشاف والابتكار والاختراع.

أفلام الخيال العلمي

لقد تحولت مجموعة لا بأس بها من أفلام «الساينس فيكشن» إلى حقيقة قي وقتنا الحالي.، فإن تقنية الوسائط المتعددة أو «الملتميديا» وتطبيقاتها على الإنترنت تقدم مثالا لا يحتاج إلى شرح، ويمكن إنها لو عرضت على أهل العقول في القرن التاسع عشر، لما ترددوا في اعتبارها من الخوارق والخزعبلات والبدع، وربما أضيفت إلى قائمة المستحيلات الثلاثة في التراث العربي، والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فهناك نظريات علمية تتكلم عن إمكانية انتقال الإنسان عبر الزمن ومن قارة إلى قارة في

ثوانٍ معدودة، والمشكلة الوحيدة أن العلم لم يصل حتى الآن إلى ما تحتاج إليه من تقنيات لتنفيذها أو طرحها للاستخدام العام، الحل إذن في تناول العلوم بطريقة جماهيرية، وبصيغة أقرب إلى العامية والشعر الشعبي، لأن الإنسان عدو ما يجهل، والعلم في نظر شريحة واسعة ومؤثرة من المجتمع يدخل في خانة المجاهيل، وقد يقترب أحيانا في علاماته وأرقامه وعباراته من كتابات وطلاسم السحرة والمشعوذين، ويطرق باب الممنوع الاجتماعي والديني، وهذا الأمر ليس جديدا، فقد بدأه المهتمون بالعلوم في بريطانيا القرن التاسع عشر، عندما اعتمدوا على المفردة الدارجة أو العامية في تسويق الأفكار العلمية صحافيا، وكان نشرها في عناوين غير علمية يزيد من احتمالات الإقبال عليها، ومن الشواهد، عمود أندرو ويلسون في مجلة «اليسترايتد لندن نيوز» والأخيرة صدرت لأول مرة سنة ١٨٤٢، وعمود ويلسون في المجلة حمل ترويسة: «ساينس جاوتنغز»، أو بالعربية «مواجيز علمية»، وهو منهج سار عليه ويلسون وزملاؤه، والمعنى أنهم تكلموا عن إنتاجهم الأدبي في محاضرات، ونشروا المحاضرات في مقالات ومواد صحافية، ثم قدموها في مؤلفات وكتب.

دخول العلم الخالص إلى صحافة القرن التاسع عشر له بعد سياسي، والدليل أن الإنجليزي هربرت جورج ويلز (١٨٦٦/١٩٤٦)، صاحب المهن الكثيرة ومؤلف روايات الخيال العلمي المشهور، ذكر في مجلة «نيتشر» البريطانية سنة ١٨٩٤ أن الكتابة السهلة والممتعة مطلوبة للوقوف ضد تحكم الحكومات في تمويل الأبحاث، وأن وجود منافذ إضافية ـــ يقصد الصحافة والأعمال الأدبية ـــ مطلب ضروري لتعميم الثقافة وتطور العلوم. وبعض روايات ويلز عرفت طريقها إلى السينما العالمية، ومنها: «ذي تايم ماشين ـــ ١٨٩٢» التي أنتجت فيلما سنة ١٩٦٠، و«ذي ور أوف ذي ورلدز ـــ

١٨٩٨» المصورة في أعوام (١٩٥٣، ٢٠٠٥)، وهربرت ويلز صدرت لـــه مئات الكتب، وكتب أكثر من خمسين رواية.

ثم إن الكتابة الصحافية أو الأدبية عن العلوم ساهمت فـــي تـــرويض قضايا علمية صارمة ومعقدة، كالفيروسات والنشاط الإشـــعاعي والتفـــاعلات الكيميائية، ولم تعد تستهلك جهدا أو تشترط حضور خبيـــر لفهمهـــا، بعـــد أن كانت متروكة للمختصين وحدهم، بل وساعدت في اكتشاف أسباب الأمراض وليس تشخيصها فقط، ويوضح ذلك أستاذ الاجتماع الفرنسي برونـــو لاتـــور (١٩٨٧،١٩٩٩) الذي تابع مسيرة العمل العلمي مـــن المعمـــل إلـــى الأدب، وكتب بعدها أن العلم يبني سلطته وشروطه الموضـــوعية فـــي اللغـــة التـــي يوظفها لإيصال الرسالة إلى الجمهور، وأن المعلومات العلمية غيـــر الثابتـــة تصبح مقبولة بمجرد أن يقدم المختصون أدلة تؤكدها، ولو تجـــاوزت الأدلـــة المذكورة خلاصة النتائج المعملية أو البيانات الإحصائية، وأنها لا تنظـــر لأي اعتراض ما لم يكن معززا بنتيجة علمية مختلفة، وكلام لاتور مرفوض عنـــد لورين داستون (٢٠٠٠)، فقد قالت بأن تمرير العلوم في قالب مفهوم للمجتمع يسلط الضوء عليها ويعطيها خصوبة وحيوية، واســـتبعدت لـــورين مســـألة التلفيق، وقالت بأنها استنتاجات تحتمل الخطأ، وتقبل ما يترتب عليه من سؤال ومحاسبة مدروسة ومتوازنة.

من هنا، فالكتابة الجذابة والمشوقة ــــــ دون تبســـيط وهشاشـــة أو فلسفة ثقيلة ــــ فكرة أساسية في تسويق العلـــم والتحـــريض عليـــه، وهـــو تحريض جميل ومطلوب، تماما كما تفعل شخصية «شرلوك هولمز» الروائية للكاتب والطبيب الاسكتلندي السير آرثر كونان دويـــل، والمقصـــود وصـــف القضية العلمية وكأنها حل للغز مربك، والكاتب العلمي المحتـــرف يســـتطيع الانتقال بين اللغة اليومية والعلمية، دون أن يضحي بمن يقرأ أو يتـــابع، ولا

يستعين باللغة العلمية إلا في أضيق الحدود .وللمدرسة الجماهيرية في الكتابات العلمية امتداد تاريخي طويل في بريطانيا، وأهم ما يميزها التركيز على البناء العام للنص، واقتصادها في استخدام الكلمات العلمية الغامضة، والفكرة تناولها كارل بيرسون في مؤلفه: «غرامر أوف ساينس ـــ ١٨٩٢»، وتدور حول التصاعد في عرض الموضوع العلمي وبطريقة أشبه بكتابة القصة أو الرواية، والصعوبة هنا تتركز في أنها تعطي للكاتب حرية التحكم في المحتوى، وتوجيه مسار الكتابة إلى النتيجة التي يريدها، بالضبط مثلما يفعل القاص والروائي، وهذا النوع من الكتابات العلمية الخفيفة نشرت له «هاردويك ساينس ـــ غاسيب» المهتمة بالإشاعات العلمية، ومنافستها «نوليج»، والثانية أول من استخدم الصور العلمية وأخرجها من أدراج المختصين إلى الشارع، ووظفت العناوين والصور العلمية المثيرة، وخصص مساحات مفتوحة للإعلانات.(بيتر هنتHunt Peter، ٢٠١١،٣٨)

ثقافة الحوار ومضمون أدب الطفل

يجب أن يركز مضمون أدب الطفل العربي على استخدام وترسيخ مصطلحات وسلوكيات أدب الحوار لدى الطفل مثل: عندما تطلب شيئًا فتقول:"إذا سمحت" "آسف" "شكرا" ما أروعك. ". عندما تخطئ ولو كان خطؤك صغيرًا جدًا فتقول: "أنا آسف !.." "وما أجملك. " لو سمحت. !.وما أهذبك. .عندما تُقَدّم لك خدمة أو أي شيء فتقول: "شكرًا .."

فبعض الأطفال يأخذون أغراض وممتلكات غيرهم... دون أن (يأخذوا) إذنهم على ذلك بكلمة (لو سمحت)..! وكثيرون أيضًا.. (يخطئون) ويسيئون للآخرين باختلاف أخطائهم..وقد لا يبخلوا عن

شتم..سبّ..أو سوء الظنّ بالأخر.. ولكنهم يبخلون بكلمة (آسف)..!

وأكثر من هؤلاء.. (تخدمهم).. تساعدهم.. تساندهم..وقد تنقذ حياتهم..!! وأكثر من ذلك.. ولكنك للأسف..لا تحظى منهم بكلمة "شكرا"

كثير من الناس لا يقدّرون هذه الكلمات الثلاث.. وقد يعتبرون قولها (سذاجة).. أو.. (ضعف شخصيه)... وقد يعتبرونها... (كلام فاضي لا منه ولا إليه..!).. ولكنهم لا يعلمون.. بأنهم عندما يقولون لمن جرحوه أو أخطئوا في حقه (أنا آسف).. بأنهم قد وضعوا بلسمًا على ذاك الجرح. !.أيضًا. .هم لا يعلمون.. بأنهم عندما يقولون لمن قدّم لهم معروفًا.. ومن أحسن معهم وإليهم.. (شكرا).. بأنها ستكرم الفاعل..وتعطيه حقه.. وتزيد من حماسه لفعل الخير.. وأنهم بذلك فتحوا باب (الودّ) معه. !.كذلك. .فهم لا يعلمون.. بأنهم عندما يقولون في حاله رغبتهم في شيء ما أو طلب أمر ما (لو سمحت) بأنها ستفتح أبواب (المحبة) بينهم وبين من سألوه. .ولأن هذه الكلمات. .تفتح باب الودّ والمحبة.. وتحفظ للآخر قدره ومكانته... وتحترم شخصه.. وتداوي الجرح.. وتطيب الخاطر.. وتزيد من حماس المعطي.. وتقدّر بذله.. لأجل كل هذا..يجب مراعاة تعمد استخدامها في مجالات وأجناس أدب الطفل المختلفة حتى تصبح جزءاً أساسيا من الممارسات اليومية الحياتية للطفل عن رضا وفهم وقناعة لاستخدامها.

أدب الطفل والتربية السياسية

تعتبر التربية السياسية هي التعليم الرسمي وغير الرسمي، المخطط وغير المخطط للقيم والمعتقدات المكونة للثقافة السياسية وتهدف إلى مواجهة التحديات التي يواجهها المجتمع سواء كانت داخلية أم خارجية، ويبدأ هذا التعليم في مرحلة مبكرة من الطفولة ويستمر طوال الحياة تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان،ففيها تنمو قدراته وتتفتح مواهبه وتتكون شخصيته لذلك فان أي إستراتيجية للنهوض العربي لا بد وأن تجعل من الاهتمام بالطفولة ضلعا أساسيا فيها، إلا أن أغلب الجهود ركزت على قضايا الرعايا الصحية والنفسية والاجتماعية بينما لم تحظ الطفولة سوى باهتمام ضئيل من قبل علم السياسة والمشتغلين بها.

ويشهد العالم اهتماماً كبيراً بالمعرفة الموجهة إلى الطفل، لأن الطفل هو المستهدف الأول في عمليات التغيير المستمرة باتجاه المستقبل؛ فالمعرفة ليست حكراً على الكبار، وإنما هي ملك للجميع، تصل إليهم وفق ضوابط منهجية ونفسية وعقلية معينة على مدى العمر كله . وإذا كانت معرفة الطفل هي الحاضن الأشمل لكل أنواع النشاطات التي توجه إليه، فإن ثقافة الطفل تعنى بشكل رئيسي بأدب الطفل، وهو ذلك الأدب الذي اختلف الناس حول طبيعته وحول تعريفه أيضاً، لتداخله الواضح مع أدب الكبار من ناحية، ولاختلاف مستواه اللغوي ومضمونه الفكري تبعاً للمراحل العمرية المختلفة.

إن من أهم ما يميز أدب الأطفال أنه يتمثل في كشف جوانب معرفية للطفل وإضاءتها، وتقديم مادة ما بمستوى أدبي مع التركيز على كيفية عرضها، وكذلك في التوجيه والإيحاء من خلال النص بأسلوب ميسر. إنه يعمد إلى إشباع حب الاستطلاع لدى الطفل، وإلى تنمية خياله، وإلى

مخاطبته حول طبيعة الإنسان والإنسانية عامة وإنجازاتهـــا، وصـــولاً إلـــى استكشاف العوالم المختلفة حوله.هذا الأدب عليه أن يـــوفر المتعـــة والفهـــم ومحاولة ترك الأثر - أثرٍ ما في نفسية الطفل وفي أفعاله. إن أدب الطفل هو مفتاح لدخول عالم الأدب عامة، فمن واجباته أن يحقق الثقة لـــدى الأطفـــال، وأن يوفر بديلاً للواقع – غير المرضي عنه أحيانًا - أو موازيًا له، وأن يقدم الأمان العاطفي أو الروحاني، وكذلك أن يغرس الشعور بالانتمـــاء، ويوثـــق روابط المحبة مع من حوله. وأهم من ذلك أن يحفز الطفل على اســـتقلاليته، بحيث يدعوه إلى أن يتغلب على المصاعب ضمن رؤية هادفة، هذه الرؤيـــة التي ترى أنه لا بد له من تضامن أو تعاون مع الآخرين .

فإذا انطلقنا من ضرورة استقلاليته عرفنا أهمية أن يقوم هو بفعاليات تساعده على أن يتم عمله وينجزه بنجاح.... ويبني شخصيته

وتهتم كثير من الـــدول، خاصـــة ذات التوجهـــات الديمقراطيـــة والمتقدمة أو تلك ذات السياسات الاستعمارية، بالتربية السياســـية للطفـــل، وتتخذ من أدب الطفل مدخلا وإسلوبا مناسبا وقريبا من ميول واهتمامـــات الأطفال للتربية السياسية وتبسيط مفاهيمها. ونقصد به هنـــا أدب الأطفـــال الحر الغير رسمي شكل القصص والشعر بأنواعه، والنصـــوص المســـرحية وغير ذلك من الأجناس الأدبية، المكتوبة بواسطة أدباء من المجتمع نفسه، أي ليس ذلك الأدب المترجم عن لغات أخرى غير لغة المجتمـــع، ولـــيس ذلـــك الأدب المنقول والمستوحى من قصص عالمية.

واهتمت إسرائيل بالتربية السياسية منذ نشأتها وقيامها من خـــلال نظام التعليم لتربية العقل اليهودي على التمسك بتلك الأرض التي تحقـــق الحلم الصهيوني في الوجود والاستمرار، وبعد حرب ٦٧ فرضت التعلـــيم اليهودي الرسمي الذي لا يهتم بأماني العرب وتاريخهم حتى تمنـــع علـــى

المدى البعيد تشكيل الاتجاهات الرافضة لوجودها حتى بين أبناء العــرب الفلسطينيين. فتتخذ من أدب الأطفال مجالا لدراسة التربية السياسية، وذلك لأن أدب الأطفال هو الوسيلة الرسمية والمتحررة من القيود السياسية.بــل هو أجدى أسلوب تتأصل به القيم الاجتماعيــة والسياســية، وتتأكــد بــه العواطف الدينية والقومية عند الناشئين.

تطور أدب الأطفال عالمياً وعربيا

أولا: تطور الأدب العالمي الموجه للأطفال:

لقد تقدم أدب الأطفال تقدماً ملحوظاً في العصور الحديثة، ونبغ فــي مجاله كتاب كثيرون. ونتتبع فيما يلي •تاريخ تطور أدب الأطفال عالميــاً :

فرنسا :إن أول ما ظهر أدب الأطفال كان في فرنسا ولــم يكــن هــذا الأدب مألوفاً بين الأدباء حيث كانت معالجته تنزيلاً لقدر الأديب إلى أن جاء الشاعر " تشارلز بيرو" وكتب قصصاً للأطفال تحت عنوان " حكاية أمــي الأوزة" و "سندريلا". غير أن الكتابة في أدب الطفل لم تصبح جدية إلا في القرن الثامن عشر بظهور "جان جاك روسو" وانتشار تعاليمه من خلال كتابه "إميل" حيث اهتم بدراسة الطفل كانسان حر.

وفي القرن الثامن عشر أيضاً ظهرت قصص " ألف ليلة وليلة" بعــد ترجمتها، وصدرت أول صحيفة للأطفال تحت اسم " صديق الأطفال". بعــد ذلك ظهر الشاعر "لافونتين" الذي قرأ له شوقي. وقد كان "لافونتين" من أشهر كتاب الأطفال في فرنسا، حيث أطلق عليه اسم أمير الحكاية الخرافيــة فــي الأدب العالمي.

انجلترا :كانت الكتابات فيها خلال القــرنين ١٧ و ١٨ تهــدف إلــى الوعظ والإرشاد، دون الاهتمام بعقلية الطفل ونفسيته ككتاب " وصية لإبــن"

لفرانسيس اوزبورن. وبقيت الكتابات هكذا إلى أن جاء عام (١٧١٩)، حيث ترجم "روبرت سامبر" "حكاية أمي الأوزة" لتشارلز بيرو وذلك بقصد التسلية والترفيه. وفي بداية ق١٩، اخذ الكاتب " تشارلز لامب" يكتب للأطفال ويترجم عم مؤلفات "هانز أندرسون"، كما نشرت أول مجموعة للأطفال " أليس في بلاد العجايب" للكاتب "لويس كارول". ثم جاء القرن العشرون، وجاء معه العصر الذهبي لأدب الأطفال، وظهر كتاب عظام مثل "ديكنز" و" بيتر ديكنسون".

ألمانيا :كتب الأخوان "يعقوب ووليم جريم" "حكايات الأطفال والبيوت" واشتهرت هذه المجموعة كتراث ألماني، حيث كتبت بلغة الشعب ومطلعها دائماً "كان ياما كا".

إن الحكايات الجميلة التي سحرت وما زالت تسحر أطفال العالم كتب العديد منها الأخوان جريم مثل حكايات "ليلى والذئب" و"بيضاء كالثلج" و" الساحرة الشريرة" و" الأميرة النائمة" التي لم تستيقظ من نومها الذي استمر ألف عام إلا بعد أن قبلها أمير جميل. ونجد اليوم في ألمانيا حوالي (٣) آلاف كاتب للأطفال و(١٤) دارا للنشر تصدر حوالي (١٥٠) كتاباً للأطفال سنوياً .

الدنمارك: يعتبر "هانز اندرسون" من أشهر كتاب الأطفال في الدنمارك، ويعد بحق رائد أدب الأطفال في أوروبا حيث كانت كتبه ينبوعاً للتسلية والثقافة، وكانت تجاربه وطريقة معيشته مصدراً غنياً لقصصه وأساطيره. كتب "هانز" الشعر والقصص التي تدور حول الجنيات والأشباح، وكان خلال ذلك يعلم الطفل أن يتقبل الحياة بحلوها ومرها، مثال على ذلك قصة "البطة القبيحة."

ومن الذين كتبوا عن "هانز أندرسون" بول هازارد في كتابـــه "كتـــب وأطفال ورجال".

ايطاليا :ابتعد كثير من كتاب ايطاليا عن قصـــص الأســـاطير بعـــد صدور كتاب "تشارلز بيرو" أساطيرنا كانت كذباً. ولكن نجد اليوم في ايطاليا اتجاهات جديدة لبعث التراث الشعبي، فالكاتب "ايتالو كـــالفينو" جمـــع ونقـــل قصصاً للأطفال من اللهجات الايطالية إلى اللغة الايطاليـــة الحديثـــة، وجـــاء بحقيقة مؤداها أن الإنسان يشترك بصفات عامة قبل أن يصبح أمماً مختلفـــة. لقد امتاز أدب الأطفال في ايطاليا بارتباطه الوثيق بالواقع. ومن أشـــهر مـــن كتبوا للأطفال في ايطاليا "جين روداري" حيث كتب قصة "جيب فـــي جهـــاز التلفزيون" وهي شبيهة بقصة " أليس في بلاد العجائب". وفي ايطاليـــا اليـــوم العديد من القصص المليئة بالمغامرات والمعرفة.

بولندا :يوجد في بولندا منذ عام ١٩٢٠ مؤسســـات للطبـــع والنشـــر متخصصة قي أدب الأطفال مثل "مكتبتنا" و "مؤسسة النشر للشباب."

بلغاريا :كتب "ران بوسبليك" العديد من القصـــص والأشـــعار مثـــل "الطفل والعصا" و "الفتاة الحكيمة" التي استطاعت بطيبتها وحكمتها أن تـــدخل قصر الملك وتستحوذ على حبه.

أمريكا :بدأت القصص والحكايات الشعبية عن البطولة والقوة على يد الكاتب "بول بنيان" كقصة "أمريكان لامبرجاك" أي الأمريكي الخشـــاب، ثـــم كتب "جول هاريس" "مغامرات العم ريموس" وقـــد تطـــرو الاهتمـــام بـــأدب الأطفال في أمريكا وأصبحت هناك حجرات خاصة يتلقى فيها الأطفال الأدب حسب سنهم، ومن أشهر كتاب الأطفال في أمريكا الكاتبة "هارييت بيتشر".

روسيا :نشرت أول مجموعة من قصص الأطفـــال تحـــت عنـــوان "أساطير روسية" ثم أخذ كبار الأدباء يساندون أدب الأطفال مثـــل "بوشـــكين"

الذي خاطب الأطفال بقصيدة "الصياد والسمكة". و "تولستوي" الذي كتب للأطفال قصصاً هدفها المحبة والسلام.كما كتب الشاعر "كريلوف" للأطفال على لسان الحيوانات تمثل الواقع الروسي أبان حكم القياصرة.ونجد اليوم في روسيا مئات الكتب بأسعار زهيدة، ومكتبات الأطفال في كل مكان.
اليابان :اهتم اليابانيون بأدب الأطفال، وهناك كثير من المؤلفين أمثال السيدة "كيوكو ايواسكي" حيث الفت كتباً عن الحيوانات والطيور والأزهار، وكان هدفها تعليم الأطفال أهمية الطبيعة للناس. (بيتر هنت ,25-32,) 2011,Hunt Peter)

تاريخ وتطور أدب الأطفال عربياً

بدأت القصة وتطورت عند الإنسان الأول حين بدأ يفكر بالظواهر المحيطة به. كالموت، المرض، والطبيعة ومظاهرها، حيث أخذ يبحث عن أسباب وحلول لكل ما يراه، ومن هنا ظهرت الأساطير، وأول القصص المكتوبة التي عرفتها البشرية هي القصص المصرية المكتوبة على ورق البردي، كقصة "ايزيس" التي غاب عنها زوجها "أوزوريس" فأخذت تطوف البلاد بحثاً عنه إلى أن وجدته أشلاء وكل قطعة من جسده في منطقة، فجمعت أشلاءه وفاءاً منها وإخلاصاً. وتقدمت القصة ليصبح لها تأثير على الجماعة كالولاء للقبيلة والحفاظ على التقاليد حيث كان هدفها غرس السلوك القبلي في نفوس الأفراد.

أدب الأطفال عند العرب قديما:

العصر الجاهلي :كانت القصة عبارة عن حكايات وأساطير شعبية تروى في مضارب الخيام للكبار والصغار، وكانت المرأة تحكي للأطفال

قصصاً عن المعارك والفروسية وعن الأمم الماضية والأسلاف وكان هدفها تعزيز السلوك القبلي والانتماء للقبيلة.

العصر الإسلامي:

عصر الرسول والخلفاء الراشدين:

بمجيء الإسلام ظهرت القصة الدينية إذ كانت الأمهات تحكي للأطفال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإعماله وأخبار من معه من المسلمين، وكان من عادة الآباء قراءة المدائح النبوية والتراتيل الصوفية، وكان هدفها تثبيت العقيدة وتوجيه الناشئين إلى الحق، التعويد على الصبر والثبات والحث على الجهاد.

وقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى ظهور عدد من القصاصين أمثال "تميم الداري" وهو أول شخص قصّ في مجلس الرسول و "أبو اسحق كعب بن نافع" الذي استلهم قصصه من التوراة ومن ملوك اليمن.

العصر الأموي :استغلت القصص في عهد معاوية، في بث الدعوة السياسية من خلال الأماكن المختلفة خصوصاً المساجد، وكانت القصص في العهد الأموي دينية، تاريخية وسياسية.

العصر العباسي :أدى الاختلاط بالأعاجم إلى امتزاج الثقافة الإسلامية بثقافات البلاد المفتوحة كالفارسية، الرومانية، اليونانية، المصرية...، وفي هذا العصر امتلأت البيوت بالجواري اللواتي كن يحكين القصص للأطفال، ومن أهم القصص "حي بن يقظان" لابن طفيل "وسيف بن ذي يزن" "وعنترة بن شداد" وقصص أخرى عديدة عن الخلفاء الراشدين .وفي الحقيقة، كان الذين يكتبون القصص في العصرين الأموي والعباسي يدونونها للكبار، إلا أنها أصبحت من أغنى مصادر أدب الأطفال في عصرنا الحاضر.

وبشكل عام كان أدب الأطفال عند العرب والمسلمين قديماً يهدف إلى تقديم نموذج أخلاقي حسن للطفل، وتعويده على السلوك الحميد وتنمية خياله، وتقديم القدوة والمتعة والتسلية له وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال" علّموا أولادكم السباحة وركوب الخيل والرماية واروا لهم ما حسن من القول." (نجيب.كيلاني،١٩٩٣، ٤٠)

أدب الأطفال عند العرب حديثاً مصر :

ظهر أدب الأطفال في مصر حديثاً زمن محمد علي عن طريق الترجمة نتيجة للاختلاط بالأجانب، وكان أول من قدم كتاباً مترجماً عن اللغة الانجليزية إلى الأطفال "رفاعة الطهطاوي" الذي كان مسؤولاً عن التعليم في ذلك الوقت.

ومن قصصه المترجمة "حكايات الأطفال" و" عقلة الصباع". أدخل رفاعة قراءات القصص في المنهج الدراسي ولم يظهر بعد وفاته من يفكر برعاية الأطفال إلى أن جاء شوقي الذي عرف أدب الأطفال أثناء وجوده في فرنسا، فكتب قصصاً للأطفال على ألسنة الحيوان والطيور ومنها حكايات "الصياد والعصفورة" و "الديك الهندي"و "الدجاج البلدي" إلى غير ذلك من الحكايات في ديوان "الشوقيات" ومن قوله في قصة "الثعلب والديك." برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا ويقول الحمد لله اله العالمينا...الخ ألف شوقي الأغاني والأناشيد وأكثر من ثلاثين قصة شعراً وكان لقصصه مغزى وهدف وتسلية وفكاهة. كتب شوقي لخليل مطران وطلب منه السير معاً في الكتابة للأطفال، ولكن خليل لم يرغب في الخوض في هذا النوع من الكتابة. قرأ شوقي للشاعر "لافونتين" واطلع على حكاياته للأطفال ولكنه لم

يقلدها ثم تضاءل اهتمامه بأدب الأطفال للأسباب التالية:

١ - لعدم تقدم المجتمع ككل.

٣ - نظرة الاستخفاف لأدب الأطفال.

٤ - كون المجتمع مجتمع رجال.

وكتب، شوقي، على فكرى" مسامرات البنات" وغيرها، وجاء كامل الكيلاني وكتب "السندباد البحري" وكان يهدف من كتاباته ترغيب الطفل بالقراءة ليقوى ميوله وخياله ويعمل على صقل مواهبه، وتأثر الكيلاني بأبي العلاء المعري وشخصية جحا، وكان يستخدم أحياناً ألفاظاً أعلى من مستوى الأطفال، لكنه لجأ لوضع مفردات لبعض الكلمات الغامضة. وقد ترك للأطفال مجموعة قصص مثل القصص العلمية وشكسبير، ومكتبة الكيلاني، وترجمات.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين أخذت دور النشر تتنافس لتخرج للأطفال كتباً بطباعة جميلة وألوان زاهية، وقدمت كتباً للأطفال تتضمن قصصاً وأساطير، كتباً دينية، علوماً مبسطة "العالم من حولنا"، وكتباً عن حياة المجتمعات، أغاني وأناشيد وسلسلة اقرأ واكتب وكتباً مطبوعة بطريقة بريل. رغم أن بعضاً من هذه الكتب لا يتناسب مع قدرات الأطفال. وتصدر دار الهلال اليوم مجلتان للأطفال. وتصدر دار الهلال اليوم مجلتان للأطفال، سمير وميكي، ويبلغ عدد الدوريات حوالي (٨)

لبنان :تميزت الكتب في لبنان بالطباعة النيقة والرسوم والألوان الجميلة الزاهية ومن كتاب أدب الأطفال " كارمن معلوف"، كما صدر عن مركز دراسات الوحدة "ربوع بلادي" سلسلة كتب مصورة لـ "شريف الراس"، وأقبلت دور النشر على ترجمة الكتب الأجنبية وأنتجت دور

المطبوعات كثيراً من المجلات مثـل سـوبرمان، والوطـواط وطـرزان.

سورية :أخذت مطبوعات الأطفال تنتشر في سوريا بشكل ملحوظ ومن أشهر كتاب الأطفال، "زكريا تامر" الذي كتب حوالي (١٠٠) قصة للأطفال وأخـر مجموعة صدرت له هي "لماذا سكت النهر" وقد ظهر كتاب آخـرون منهم "معين بسيسو" و"سليمان العيسى" وتصدر في سوريا مجلة "أسامة" للأطفال.

العراق :بدأ الاهتمام بالطفل ككل، وذلك بوضع خطة شـاملة دخلـت حيز التنفيذ لتأسيس دور حضانة ومدارس ونوادي، وهناك اهتمام بالطفل في الإذاعة والتلفزيون، وتصدر في العراق مجلة "مجلتي."

الكويت :هناك اهتمام كبير بالأطفال، ويوجد بها مجلة "سعد" للأطفال.

الجزائر :تصدر كتباً للأطفال باسم "سلسلة الأب كستور."

تونس :توجد فيها مجلتان للشباب "شهلول وعرفان" وقد ظهـر فـي تونس عدد كم كتاب الطفل مثل "محمد العروسي."

ليبيا :كتب يوسف الشريف ومحمود فهمي " قصص ليبية للأطفـال."

البحرين :ظهر بعض الكتاب المهتمـين بالطفـل مثـل "حميـدة خمـيس."

الأردن وفلسطين :بدأت محاولات الكتابة للأطفال فـي العشـرينات، وفـي الأربعينات جمع محمد إسعاف النشاشيبي أناشيد الأطفال في كتاب " البستان"، واصدر اسحق الحسيني، "الكلب الوفي" وألف راضي عبـد الهـادي قصـة للأطفال بعنوان "خالد وفاتنة" وتميزت هـذه الفتـرة بقلـة الإنتـاج. وفـي الخمسينات أصدر روكس العزيزي كتاب "الزنابق" للصف التمهيـدي. وفـي الستينات كتب العديد من الكتاب للأطفال مثل حسني فريز ونبيـل صـوالحة الذي كتب "رحلتي الملونة في الأردن" ويوجد الآن كتاب طفل متخصصـون في الأردن مثل "روضة فرخ الهدهد" التي أخذت على عاتقها كتابـة سلسـلة حكايات بطولية بدأتها بقصة عز الدين القسام. ومن مجـلات الطفـل مجلـة

"سامر" و"طارق والحقيقة أن هناك اهتمام كبير بأدب الأطفال في البلاد العربية، ولكنه يحتاج لمزيد من الدراسة والتخطيط، ومراعاة لنمو الأطفال وقدراتهم وميولهم، والابتعاد عن نقل الكتب الأجنبية حرفياً للغة العربية(حنان عبد الحميد العناني، ١٩٩٦، ٨٠).

أهمية أدب الأطفال في العصر الحالي:

إذا كانت هذه هي البدايات الأولي لنشأة أدب الطفل فإن النشأة الحديثة لهذا الأدب جاءت متزامنة مع مجيء العصر الحديث وامتداد الآفاق أمام الدراسات الإنسانية علي مختلف أشكالها وصورها وبدأ أدب الأطفال يظهر بصورة مبلورة محددة في القرن السابع عشر في أوروبا وبالخصوص في ايطاليا وفرنسا وانجلترا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية وكذا في روسيا وأمريكا.

وإذا كان أدب الطفل كان قد خرج في بداياته في شكل حكاية أو هدهدة للنوم. فإن مفهوم أدب الطفل قد تغير في عصرنا الحاضر، فبدلاً من التركيز علي حفظ التراث ونقله إلي الصغار علي شكل قصة أو نشيد أو أغنية أو معلومة، أصبح متعدد الأهداف وعلي رأس تلك الأهداف تعويد الصغار علي أسلوب التفكير العلمي، وهذا الهدف ليس بالمهمة السهلة نظراً لاعتماد الكثير من كتاب الطفل علي أساليب تفكير قديمة غير علمية، وهي كتابات وأفكار منحازة لحزب ما، للميول والرغبات دون الاهتمام جيداً بالمعايير العلمية والصدق للارتقاء بالأطفال مع أن أهم واجبات الأديب الملتزم الاهتمام بأسلوب التفكير العلمي والدقة والأمانة في تقديم أدب راق يتماشي مع عقلية الصغار لتطوير قدراتهم وتجديد إبداعاتهم.

فأدب الطفل كنصوص إبداعية تحمل خبرات لغوية موجه للأطفال يقصد بها التربية الاجتماعية والنفسية والتربوية والفنية والجمالية , فضلاً عن

التنمية العلمية والفكرية واللغوية ومستويات التخييل , من خلال تقديم خبـــرة لغوية تتناسب مع عمر الطفل ومستواه الإدراكي بأســلوب جميــل ومشـــوق ومناسب. وترجع أهمية أدب الأطفال إلى أنه أداة من أدوات تنشئة الطفولـــة التي تعتبر عماد المستقبل وأساسه وهو يساهم في بناء شخصية الطفل التـــي يقوم عليها المستقبل. إن أدب الأطفال يوجد حيث توجد الطفولة لكنه لم يحـــظ قديما بالدراسة والتسجيل والتبويب وخاصة أن أدب الأطفال فـــي الســـنوات الأولي كان من واجبات الأسرة، الجدة، أو الأم أو الأب وغيرهم من أفـــراد الأسرة، ولذلك كان خاضعا للاجتهاد الشخصي والتقليد وتوارث التراث جيلاً بعد جيل، شأنه في ذلك شأن الكثير من روايات وأشعار الكبار التي يتناقلهـــا الرواة المتخصصون. بل حتى الشعوب والأمم التي أســـهمت بنصـــيب فـــي تراث العالم القصصي، كالهند والفرس والعرب والإغريق، لـــم يـــذكر لنـــا التاريخ أنها عنيت بتسجيل أدب خاصة بالأطفال، وكان كل ما وصل إلينا من تراث تلك الأمم موجها إلي الكبار أساساً، فقصص وأساطير الهند والشـــرق الأوسط وفارس وحتى الإغريق لم تكتب أصلا للصغار، وإنمـــا قصـــد بهـــا إرضاء الجوانب العاطفية والفنية للكبار.

الطفل بين الأدب والثقافة

يعتبر كل من مفهوم الأدب والثقافة بشكل عام مفهـــومين شـــاملين، يدخل في نطاقهما معنى أو مفهوم أدب الأطفال وثقـــافتهم اصـــطلاحا، نـــى للأدب عنه في إبراز الشعور والأفكار. ويقال ثَقُفَ فلان يثقُـــف ثَقْفـــاً وثَقَفـــاً وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فَطِناً. وثقّف الشيء: أقام المعوجّ منه وسوّاه. وثقّف الإنسانَ: أدّبه وهذّبه وعلّمه. والثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يُطلـــب الحِذْق فيها .وفي كتب الاصطلاح ورد أنّ الثقافة هي " كلّ مظاهر العـــادات

الاجتماعية في المجتمع المحلي واستجابات الأفراد نتيجة لعــادات الجماعــة التي يعيشون فيها ومنتجات النشاط الإنساني ". فهي إذن: ما صنعه الإنســان في مجتمعه معنوياً كان أو مادياً كالمخترعات والاكتشافات والآداب والفنــون وغير ذلك.

وتعتبر ثقافة الطفل هي كل الوسائط الفنيــة والثقافيــة والإعلاميــة والمكتبية والمعلوماتية التي يراد من خلالها التربية المتكاملــة لــذلك الطفــل المنشود. فالثقافة: أسلوب الحياة السائد في مجتمع الأطفال؛ هــذا الأســلوب المتفق مع خصائص الأطفال في مراحل نموهم.

أهم المشكلات المعاصرة التي تواجه أدب الطفل العربي

في تقرير مشترك صدر عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسف" والجامعة العربية، أكد أن أكثر من عشرة ملايين طفل خارج المدرســة فــي العالم العربي.

وفي إحصائية عن نصيب الطفل من الكتب في العام وجد أن:

*الطفل الأمريكي: نصيبه من الكتــب فــي العــام ١٣٢٦٠ كتابــاً.

*الطفــل الإنجليــزي: نصــيبه مــن الكتــب فــي العــام ٣٨٣٨ كتابــاً.

*الطفــل الفرنســي: نصــيبه مــن الكتــب فــي العــام ٢١١٨ كتابــاً

*الطفــل الإيطــالي: نصــيبه مــن الكتــب فــي العــام ١٣٤٠ كتابــاً

*الطفل الروسي: نصيبه من الكتب في العام ١٤٨٥ كتاباً في العــام، أمــا الطفل العربي فلا يوجد له تصنيف أو رقم معين وقد بلغ عدد كتب الأطفــال الصادرة في أحد الأعوام ٣٢٢ كتاباً فقط.(محمد السيد حلاوة،٢٠٠٠، ١٢٠)

وحول واقع كتاب الطفل العربي، ففي إحصــائية حديثــة لمنظمــة التربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" وجد أن متوسط قراءة الطفل فــي العــالم العربي لا يتجاوز ٦ دقائق في السنة، وأن مجموع ما تستهلكه كــل الــدول

العربية مجتمعة من ورق ومستلزمات الطباعة أقل من استهلاك دار نشر فرنسية واحدة.

كل هذا يحدث بينما يطلق على الجيل الحالي..جيل الإنترنت..وأصبح تقدم المرء مرتبطا بتعامله مع ما يطلق عليه بالشبكة العنكبوتية.. وأصبح الدخول على الإنترنت لكثير من الأطفال العرب أمرا يسيرا ومعتادا. وأصبح الإنترنت سلاحاً ذو حدين.فأدب الطفل مجال واسع لنشر التبعية الثقافية والإعلامية؛ إذ يستخدم للغزو الثقافي والإعلامي، ويتلقى الطفل المنتوجات الأدبية والفنية الغزيرة في شتى الفنون والوسائط ومنها الإنترنت بقصد التأثير على تكوين الناشئة، والترويج للنمط الثقافي التابع.

لذلك أفرز لدينا مفاهيم خاطئة أنتجت انفصالاً بين الطفل وعقيدته ومجتمعه؛ لأنه يرى ما يصادم ما يقال له وفي النهاية يكون عقل الطفل مجالاً للصراع.

كما يركز كثير من كتاب الأطفال على النزعة الفردية التي تسير الحدث دون ذكر للمجتمع المحيط بالبطل؛ مما يجعل الطفل معتزاً بذاته ميالاً للانفراد برأيه مهملاً آراء الآخرين. وكما أن الكتابة موهبة فهي أوضح في الكتابة للصغار؛ لأنك تتعامل مع مصدق لما يراه أو يسمعه أو يقرؤه،، ولا بد أن نعي أننا نصارع عدواً شرساً له باع طويل في التعامل مع أدب الطفل إن لم نشمر ساعد الجد لم نلحق به، ناهيك عن أن نسبقه.

ويقول عبد التواب يوسف: «والأطفال لدينا اليوم ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى: (كتب الأطفال)، وضاقوا ببساط الريح وسندريلا وغيرها».

ويرى حازم العظم: «إن معظم ما تنشره دور النشر للأطفال مترجم أو مؤلف بغير خبرة كافية؛ فالأدب الخاص قليل ويمر بأزمة وجود، وهذه الأزمة أتاحت لبعض الناشرين في غيبة الرقابة والنقد: البحث عن

مجلات وكتب الأطفال الرائجة [أقول والأفلام المتحركة ولعب الكمبيوتر] فقدموها لأطفالنا مترجمة بالصور نفسها بغير تمحيص، مع أنها تحوي قيماً تربوية غير ملائمة لعقيدتنا وقيمنا الروحية، أو مرفوضة حتى في البلاد التي تصدر عنها».

بل بُلينا بمن يكتب قصصاً للأطفال تهدي إلى الخوف والجبن بدل أن تهدي إلى الشجاعة والجهاد، وتدعو إلى الركون إلى الحظ كقصص السحرة والشياطين والعفاريت.

ويرى بعض التربويين إن كثيراً مما كتب للأطفال في واقعه ليس صالحاً للأطفال لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب للأطفال، أو لعدم تضمنه قيماً أخلاقية تسهم في تربية الأطفال وتنشئته.

أزمة الكتابة للطفل عن مشكلات أدب الطفل يشير كثير من المهتمين بشؤن وأدب الطفل أن الكتابة للطفل كتابة صعبة جدا لأن الطفل لا يقتنع بسهولة بكل ما يكتب له وعلينا أن نكون في مستوى أطفالنا الآن وهو المستوى المعرفي الذي تجمد لدى بعض كتاب الأطفال منذ زمن، وأنه لابد أن يهتم أدباء الأطفال بكتابة الخيال العلمي وهي من المواد النادرة في مجال أدب الطفل العربي. فكتابة الخيال العلمي تعتمد على حقيقة علمية أو نظرية مغزولة بالخيال الخصب الذي يضيف إلى حياة الطفل الكثير .

وهناك ندرة في الكتابة للأطفال بواسطة الشعر فالشعراء الذين يكتبون للطفل في غالبيتهم لا يراعون أهمية جانب التذوق الفني في كتابتهم أو أنهم يكتبون في موضوعات قتلت بحثا ولم تعد على الطفل في شيء، وهناك ثلاثة أجيال من الكتاب للأطفال الجيل الأول يمثلهم «ماما نعم الباز» و«ماما لبنة» وعبد التواب يوسف والراحل احمد نجيب ويعقوب الشاروني

وهناك جيل الوسط وجيل الشباب، وهناك ندرة أيضا في مسرح الطفل العربي وأغنيات الأطفال فمازلنا نغني الأغنيات القديمة وهذه إحدى المشكلات التي تعاني منها ثقافة الطفل إضافة إلى قلة المجلات ومطبوعات الأطفال.

ومن مشكلات الكتابة للطفل تحوّلها إلى مهنة، بحيث تشير بحوث ودراسات عديدة في ذات الشأن على أن من امتهن كتابة أدب الطفل في الحقيقة هم أدباء كتبوا بفشل أدباً للكبار، فتحولوا للكتابة للصغار، متناسين الأبعاد التربوية، أو الشروط الثقافية في ظلِّ غزو الفضائيات وأفلام الكرتون الغربية لثقافة الطفل العربي، بالتالي فإن كمّ الإنتاج من الكتب الأدبية للأطفال ضئيل ويعاني من مشكلة تفريغ معظمه من القيم المطلوب تضمينها .

وهنا تبقى الإشكالية الكبرى تطرح تساؤلاً كبيراً، حول أهمية العودة للتراث الشرقي بشكل عام وإعادة إحياء ما اندثر منه فيما يخص ثقافة وأدب الطفل، وتنقيته، وتقديمه للطفل على أنه أدب خاص، بالإضافة لمضاعفة الجهود بإنتاج أدب طفل شرقي وعربي يحمل خصوصية المنطقة وثقافتها، عبر تقديم الدعم لكتّاب أدب الطفل المختصين وليس الأكاديميين فقط في هذا المجال، بالإضافة لإيجاد مراكز تحوي باحثين مختصين في مجال الطفل للبحث عن أطفال موهوبين يستطيعون الكتابة لتقديمه للطفل، لأن الطفل أوعى وأقدر على إدراك وعي جيله.

أننا بحاجة لدراسات في فن الكتابة للأطفال وهي قليلة جدا في العربية، بينما نجدها بالعشرات في اللغات الأجنبية، لماذا لا نبدأ ترجمة عدد من أمهات الكتب التي تتحدث عن فن الكتابة للأطفال وهي كثيرة باللغة الإنجليزية والفرنسية، لماذا لا نترجم روائع الأدب العالمي خاصة تلك التي فازت بجوائز؟!.

ويواجه أدب الطفل العربي مشكلات تحول دون انتشار كتب الأطفال العربية ووصولها للطفل. وتتركز أهم هذه المشكلات في التوثيق والتسويق والتوزيع.

فعلى صعيد الانتشار فهناك عدد من الكتب الجيدة صدرت في فترات زمنية مختلفة في القرن العشرين والقرن الحالي ومازالت ولكنها إما غير معروفة أو لا يمكن الحصول عليها لعدم توافرها بسبب عدم وصولها لمناطق عديدة من البلد الذي صدرت فيه،و البلاد المجاورة،كما أن نفاذ نسخ الطبعة الأولى وعدم صدور طبعات تالية من الكتاب تؤدي في النهاية إلى اندثاره،وهذه المشكلات ترتبط بتأخير إنشاء لجان ومؤسسات مهمتها توثيق ما يصدر من الكتب وإصدار دليل دوري بها من أجل رصد حركة تطور أدب الطفل وتسهيل عدد المكتبات العامة وضعف نظام الفهرسة بها.

وكذلك فإن تكلفة إصدار كتاب للطفل،وضعف الإقبال عليه قد يقفان عائقاً أمام بعض الكتاب والناشرين يحول دون إصدار طبعات تالية أو كتب جديدة.

وهناك مشكلة العزوف عن قراءة الأدب وهى ترتبط بنظرة المجتمع العربي إلى القراءة وأهميتها في النهوض بالمستوى الفكري للمجتمع وتكوين محصلته الثقافية،وهنا تكمن المشكلة،والخلل هنا لا يكمن في حضارتنا التي ترتكز على القاعدة العقائدية الأولى«اقرأ» ولكنه يكمن في عدم تطبيق تلك القاعدة،وتوارثنا هذا الإهمال حتى وصلنا إلى نسب مخجلة حقاً في غياب القراءة عن حياتنا اليومية،مشكلة العزوف عن القراءة ليس بين الصغار فقط وإنما بين الكبار أيضاً،إن الأدب المقدم للطفل منذ بداية نشأته في مجتمعنا وحتى العقد الأخير ما قبل الأخير من القرن العشرين، في مضمونه وأهدافه وطريقة تقديمه للطفل يعاني قصوراً واضحاً في عناصره وبالتالي فهو لم يجد

إقبالاً من الأطفال ولم ينجح في حفر موقع له على خريطة الأدب المحلــي،أو عن الأدب العالمي،ويكمن قصور معظم ما قدم في عدم مراعــاة خصــائص الطفل النفسية والإدراكية واللغوية،حيث يكتب الأديب بلغــة تفــوق مســتواه وحول موضوعات لا يحب الطفل أن يقرأ عنها.

مشكلة ما يكتب للطفل العربي تعليمي أكثر ما ينبغي، وتلك هي سمة الأعمال الأدبية الموجهة للأطفال وطابعها التربوي.

و هذا أمر ملاحظ، فقصصنا وقصائدنا حتى أناشيدنا المقدمة للطفــل وعظية في غالبها، تركز على الأهداف التربوية على حساب الصياغة الفنية، فتأتي كدروس إرشادية واضحة ينفر الطفل منها ولا يتأثر بمحتواهــا. وقــد تعجز تلك الأعمال عن مخاطبة الطفل بلغة يفهمها، بموضوعات تعــالج مــا يشغل باله و يرغب في معرفته.

و يظهر قصور الأدب المقدم للطفل أيضاً في شكل الكتاب وطريقة إخراجه وطباعته التي لا تلبي عنصر الجذب. إذ يقل الاهتمام بنوعية الورق وحجم الخط ومستوى الرسوم الفني وجودة إخراج الكتاب

ومن الملاحظ في كثير من طبعات أدب الأطفال العربــي أنــه لا يحدد على أغلفة الكتب المستوى المعدّل أو معدّل المستوى، كأن يُكتب علــى الغلاف – معد لأبناء الرابعة -السادسة -. مــثلاً، بــل يتركــون للآبــاء أن يتصفحوا وأن يقرءوا، وأن يقرروا، بينما كان من المفروض تحديــد الفئــة العمرية من جهة، وتظهير الكتاب ببضعة سطور تبين المضمون / الملخــص الذي يعالجه الكاتب. وبهذا نوفر على الآباء جهد التصفح والقرار، ذلــك لأن القرار السريع من قبلهم قد يكون غير موفق.

على أن أهم ما يمكن التطرق إليه في هذا الصدد هو الإشارة إلــى الشعراء والكتاب الذين يتوجهون بإبداعهم إلى الطفل، إذ يحق لنا أن نتســاءل

عن ثقافتهم المكتسبة حول الطفل تربوياً ونفسياً وثقافيـــاً واجتماعيـــاً، وعـــن تحصيلهم النقدي حول مفهوم الفنون المختلفة التي تتوجه إلى الطفل، فما هـــو اطلاعهم على الدراسات اللغوية التي تشير إلى معجم الطفل فـــي المراحـــل العمرية المختلفة؟ وما مدى الجدية التي يبدونها في التهيـــؤ للكتابـــة للطفـــل؟

وقبل ذلك كله ما الدوافع الحقيقية وراء الكتابة للطفل؟ أهي دوافـــع فنيـــة أم تربوية أم أخلاقية أم إرشادية أم هي كل ذلك معاً؟ أم هي دوافع ماديـــة مـــن أجل تحقيق ربح مضمون بسبب رواج سوق كتاب الطفل أحياناً ممـــا يجعـــل احتمال التضحية بالهدف الأساسي وارداً؟ الهدف الأساسي لكتاب أدب الطفـــل يجب أن ينطلق من غاية تربوية تعليمية ثقافيـــة، لأن أدب الطفـــل يجـــب أن ينهض به المبدعون المؤهلون الذين يقبلون عليه بـــوعي وحـــب وإخـــلاص ورغبة في خدمة الطفل يحركهم دافع فني قوي في العيش في عالمـــه وفـــق الأسس التربوية الثقافية الأخلاقية وإذا كان كتّاب الطفـــل يجـــب أن يكونـــوا مهيئين للكتابة وفق الشروط التي ذكرنا سابقاً، فإن ثمة علاقة قوية بـــين أدب الطفل وعملية القراءة نفسها؛ فحب الطفل للقراءة ينشأ من سنواته الأولى قبل أن يقرأ فعلياً، فالأم أو الأب أو المربية أو المعلمة حين تقرأ على الطفل مـــن كتاب، أو تروي عليه شفاهياً يظل معلقاً بالمصدر شغوفاً بأن يتمكن هو نفسه من قراءة ما فيه في قابل الأيام .فعلى المربين ألا يفوتوا هذه الفرصة النادرة التي تضع الطفل على خريطة القراءة الدائمة، والتـــي أصـــبحنا نـــرى لهـــا مبادرات جادّة مخلصة في وطننا العربي، فعلينا جميعا أن نتفاعل مـــع هـــذه المبادرات، وأن نتجه مدفوعين بحبنا للأطفال ووعينا بأهمية تـــربيتهم علـــى حب الكتاب والقراءة إلى جعل القراءة الذاتية جزءاً أساســـياً مـــن شخصـــية الطفل، لا تفارقه ولا يفارقها حتى آخر. ويشير واقعنا الحالي إلى أنه بالرغم

من إن القصص من أهم المصادر التي يعتمد عليها الطفل في معرفة حقـــائق الحياة , وبالتالي تنمية ثقافته إلا أننا نقدمها لأطفالنا دون مراعاة ما يلي:

- القصص التي تقدم لأطفالنا تؤكد لديهم قيماً أو نماذج سلوك خاطئة أو منحرفة.

- وجود كثير من مواقف العنف ومنافاة الأخلاق.

- بعد هذه القصص من الجاذبية والتشويق.

- قلة الكم المقدم للأطفال.

- قلة عدد كُتاب الأطفال مقارنة بعدد باقي أنواع الكُتاب الآخرين

- تكرار الأفكار والموضوعات مما يجعل الطفل يصاب بالملل.

- تمجيد القوة البد نية والعنيفـــة مثـــل قصـــص " طـــرازان " أو " سوبرمان ".

- ابتعاد بعض القصص عـــن أي قـــيم إنســـانية أو أخلاقيـــة مثـــل الجاسوسية.

- ندرة القصص التي تهتم بغرس أهمية استخدام العقـــل فـــي حـــل المشكلات بدلا من القوة البدنية.

- فضلا عن تمجيد الشر فانه لا يراعي أن القصص تثيـــر العطـــف على الشرير وتبرر بذلك انتصاره على الشرطي، حتى وإن انتصر الخير في النهاية فحجم ومساحة الشر وانتصاره يكون طـــوال القصـــة حتـــى نهايتهـــا فينتصر الخير , وبالرغم من أن مؤلفي هذه القصص يقولون إنهم يعرضـــون صور السلوك الخاطئة ولكن هذا خطأ، لأن الأطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التي يقرؤنها أو نحكيها لهم، لما في تلك المواقف من حركة وتشـــويق ولا ننسي التأثير السيئ والعميق في الأطفال منها.

- بعض القصص تقوم على السخرية من الآخـــرين، ومثـــال لـــذلك موضوع " توم وجيري " وبمشاهدة الطفل لها يتركز في وعيه نمط خـــاطئ من السلوك، ويسهل تقليده والتمثل به، لما فيه من تنمية للإحســـاس بـــالتفوق على الآخرين وآثر ذلك على الآخرين من أذى وأضرار.

- بعض القصص تدعو إلى ازدراء الأجناس أو احتقار نوعية مـــن البشر مثال القصص التي تدور حول إبادة الهنود الحمر، أو قصص طرازان التي تؤكد تفوق الرجل الأبيض، وعدم أهمية الآخر فمن حق الرجل الأبيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة.

- تهوين الحياة الإنسانية في وجدان الأطفال لتقديم القتل كأنه عمـــل عادى جدا وهذا عكس ما يجب أن يكون من احترام الحياة الإنسانية والحفاظ عليها وتقديرها، بل تقديسها مهما اختلف لون البشرة.

- بعض القصص ترسخ قيم سلبية مثل الفوضـــى وعـــدم الالتـــزام بالقانون وإعلاء مستويات ذكاء اللصوص والمجرمين عن مستويات رجـــال الشرطة والقضاء.

- فضلا عن ذلك تزييف الحياة وذلك بسهولة الحصول على المـــال والبذخ والإسراف في إنفاقه وعدم تقدير العديد من القيم الإيجابية.

- وبعض القصص يشار إليها علي إنها تنمي الخيال العلمـــي ومـــع مراجعتها نجدها بعيده كل البعد عن تنمية " أسلوب " التفكير العلمـــي، الـــذي يعتمد على الملاحظة والاستنتاج والتجربة والخطأ، ووضع الفروض واختبار الفروض ولكن تحت غطاء الخيال العلمي نجد جوهرهـــا اســـتخدام البطـــل لمعظم الأجهزة والوسائل الحديثة في الدمار والقتل ويطلـــق عليهـــا يعقـــوب الشاروني قصص " الهذيان العلمي " الذي يستعير من العلم أشكاله الخارجية، دون مضمونه الحقيقي.

- ومن القصص أيضا ما يربي الخوف والفزع عند الأطفال , ومـــا ينعكس ذلك على شخصيتهم وعدم تنمية العقلية الايجابية التـــي تنطلـــق إلـــى الإبداع.

وتركيز قصص ومجلات الأطفال بشكل خاص وأدب الأطفال بشكل عام على تقديم وتكرار صور التمييز بين الرجل والمرأة يؤدى إلى التركيـــز على تلك المفاهيم في المجتمع والمفـــروض أن يحـــدث العكـــس أي نقـــوم بتصحيح اتجاهات المجتمع الخاطئ لما تقدم نجد أنه من المهم أن ينشأ الطفل على مصاحبة الكتاب فيكون صديقاً للكتاب منذ سن مبكرة، ولاسيما الكتـــاب الأدبي، ولعل أفضل كتب الإبداع الأدبي هي القصة التي تمنح الطفل التنميـــة الحقيقية الواسعة في شتى الأبعاد لأنها الأقدر على استيعاب مجالات المعرفـــة المختلفة، ولأنها الأكثر استيعاباً للحقول التعبيرية والدلالية المختلفة.

فالطفل الذي يصبح صديقاً للرواية أو القصة أو المسرحية منذ سنيه الأولى يراكم المعارف وينمي اللغة نحوها وصـــرفها ومعجمهـــا ودلالاتهـــا، ويبرع في القراءة الصحيحة ويتمكن من تنمية مهاراتها المختلفـــة، فيصـــبح نموذجاً جيداً لمكتسب اللغة، ويقلل من ميزانيات الإنفاق التي تنفق على تعلـــم اللغة الصحيحة دون طائل أحياناً كثيرة.

إن القصة، على الرغم من أنها وسيلة تربية وتسلية وإمتاع، تصـــبح هنا وسيلة أساسية لتعويد التلميذ على القراءة بمفهومها العـــام أي فـــي كـــل الحقول والمعارف، فقراءة القصة ليست مهمة لذاتها وحسب، ولكنهـــا مهمـــة لتعويـــــد الطفـــــل علـــــى القـــــراءة مـــــن المهـــــد إلـــــى اللحـــــد .

وتبدو قيمة القصص المتقنة، فوق ما فيها من قيم جمالية، في تعويد الطفـــل على القراءة السليمة نحوياً وصرفيا، لأنها تعنى بضبط أحرف الكلمـــة بنيـــة وإعراباً، مما يسهل على الطفل أن يستوعب بنية الكلمة وأن ينطقهـــا نطقـــاً

سليماً، وأن يتعرف معاني الكلمات وهناك أمر آخر من وراء قراءة الأعمال الأدبية، ولاسيما الفنون السردية، هو إقرار الأطفال على محاولة الكتابة المبكرة، خاصة الكتابة الإبداعية، فالهيئات التي تشرف على أمور التربية تبذل وقتاً طويلاً في المراحل المختلفة لإصلاح ما جرى عليه التلاميذ من معارف ومهارات لغوية خاطئة تتصل بكل العلوم والمعارف، ولو أنهم تنبهوا على ما في هذا الأمر من فائدة محققة لوجهوا جهودهم المخلصة في هذا الاتجاه الذي يلبي الحاجات اللغوية الأساسية للمتعلم في مراحل حياته جميعها.

فقراءة القصص والفنون السردية المختلفة تجذب الطفل، بما تتضمنه من عناصر جاذبة وتشويق ومغامرات وطرائف، إلى عالم الكتاب، وتغريه بأن يتجه إلى محاولة كشف أسراره، فتقوده طوعا إلى محاكاتها والبناء على نمطها، والرغبة في أن يكون له كتابه الخاص الذي يمارس فيه الكتابة راغبا حرا مستمتعا

تحديات تواجه تنمية القراءة الأدبية لدى الأطفال في عصر العولمة: -

يواجه الطفل العربي في عصر العولمة والإنترنت والمستحدثات التكنولوجية المستمرة العديد من التحديات من بينها:

١ - الأمية الثقافية، وقلة العناية بالمكتبة المنزلية، وقلة القدوة أمام الصغار من والديهم

٢ - غلبة أجهزة التليفزيون على وقت الصغار في البيوت، واستهلاك الوقت في مشاهدتها، ومتابعة ما يدور فيها من مسلسلات، وأفلام الكارتون، والمباريات الرياضية

٣ - احتفاء الصغار، والكبار بالأشرطة المسجلة من كل لون ونـــوع واستهلاك وقت كثير في الاستماع إليها.

٤ - استهلاك بقية أوقات الفراغ في اللعب خارج المنزل.

٥ - ارتفاع ثمن الكتاب ارتفاعاً كبيراً تعجز عنه مستويات الـــدخول لدى غالبيه الأسر.

٦ - ارتفاع أسعار كتب الأطفال، فضلا عن أن معظمها مترجم عن غير العربية.

٧ - قلة عدد مجلات الأطفال العربية، ومعاناة الموجود منها من تدنى جودة الإخراج.

٨ - قلة عوامل جذب التلاميذ إلى القراءة في المكتبة المدرسية، إمـــا لسوء الكتب، أو لموضوعاتها التي لا تشغف التلاميذ، أو لتدني في مستويات القدرة على القراءة.

٩ - ضيق وقت اليوم الدراسي، وذلك لو كان هناك نظـــام فتـــرات، مما يجعل وقت القراءة الحرة قليل " **أزمة وقت** ".

١٠ - " **أزمة مكان** " حيث لا يوجد قاعات متعددة للقراءة، ومكتبات مختلفة حسب مستويات القراءة في المرحلة الابتدائية.

١١ - ارتفاع أسعار بيع كتب وقصص ومجـــلات الأطفـــال وكـــذلك ارتفاع أثمان تذاكر دخول مسارح الأطفال إن وجدت.

١١ - " **أزمة ميزانية** "ضعف الميزانيات المخصصة لشراء الكتـــب، والقصص، والمجلات، وتزويد المكتبات بها.

١٢ - النظر إلى الكتب والمكتبات على اعتبار أنها نوعاً من الترف، وأن القراءة خارج كتب المدرسة نوعا من الفســـاد يهـــدر وقـــت المـــذاكرة والتحصيل الكمي للمعارف المدرسية.

ومن أسباب انخفاض عدد كتب أدب الأطفال نذكر منها:

١ - ترفع الكتاب والأدباء الكبار عن اقتحام عالم الطفل البرئ، فلم يقبل أحد منهم التنازل للهبوط إلى مستواه وامتهان لكرامته وحط لمنزلته ولهذا تأخر ازدهار كتاب الطفل وأدب الطفل في المكتبة العربية.

٢ - وكذلك سوء طباعة الكتاب للطفل حيث إن ذلك يرجع إلى أن الناشر يخشى إذا أرتفع سعر الكتاب نتيجة لما تتكلفه العناية بمظهره الفني، أن لا يسدد نفقاته ولا يعود عليه بالربح، وهنا عامل اقتصادي كان له دور في تخلف الكتاب العربي عن نظيره في الخارج

٣ - ونذكر أيضاً عدم وجود رسامين يحترفون الرسم للأطفال حيث أن الرسوم ركن أساسي في قصص الأطفال التي تجعلها محببة إلى أنفسهم.

ويرى البعض أن الكتابة للطفل بسيطة وسهلة وهنا تأتي كتابتهم ساذجة لا يستسيغها عقل طفل اليوم الذي يتعامل مع الكمبيوتر والنت، وفاقت معارفه العلمية ما كان يحصل عليه الآباء في مثل سنهم، فنحن نريد أن نقدم لهم ما يشبع ذائقتهم المعرفية ويثري ثروتهم اللغوية.. علينا أن نثري خياله ولا نكبله فالخيال هو أهم ما يميز الطفل.. وخاصة أن طفل اليوم يعاني من كسل في ابتكار لعبه كما كنا نفعل في الماضي وفي مساحة اللعب واللهو البريء الذي كنا نتمتع به ونجد الطفل اليوم محاصرا بين أربعة جدران وأمامه التلفزيون والكمبيوتر فيفقد التفاعل الاجتماعي مع الآخرين ويكون عرضة للانكماش عاطفيا ونفسيا فالكل مشغول عنه وهو يلهو وحده بهذه الآلات. صحيح أنها مبهرة ولكنها تفقده الخيال الخصب الذي كنا نتمتع به.

رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي

مع عصر العولمة الذي تسوده ملامح ثقافة عالمية تسعى إلى بث أفكار ومفاهيم وقيم سلبية،فإننا نسعى إلى مواجهه ذلك بالإصرار على إتباع

خطوات المواجهة المناسبة لتحديات عصر العولمة في مجـــال أدب الأطفـــال بوجه عام، وقصص وشعر وأناشيد ومجلات الأطفال بوجه خاص.

ومن أجل تحقيق الوجود المؤثر لأدب طفولة في العالم العربي نحن بحاجة لأن نضع تصوراً مناسباً لمكانة أدب الطفل العربي تتفق عليه الـــدول العربية مجتمعة للدفع به إلى العالمية،و يأتي الاعتراف بأهمية هذا الأدب في تنشئة الطفل وتثقيفه كخطوة أولى يليها تشـــكيل لجـــان لتقيـــيم الإصـــدارات السنوية على المستويين المحلي و القومي، وتخصيص جوائز دوريـــة ثابتـــة لها. وعلى الرغم من كل هذه العوامل الجوهرية التي تعيق مســـيرة الطفـــل العربي الأدبية، إلا أن هذا الأدب اثبت وجوده وسعى جاداً نحو التطـــور، إذ نستطيع القول أننا نعيش بداية نهضة ملموسة لأدب الطفـــل العربي،فـــالمتتبع لكتب الأطفال العربية عموماً في الآونة الأخيرة،وخاصة تلك الصادرة خلال العقد السابق يلاحظ طفرة نوعية وكمية في تلك الكتب جاءت نتيجة تغيـــرات كثيرة في مجتمعاتنا أهمها الاهتمام بالطفولة وإنشـــاء مؤسســـات و بـــرامج لرعايتها، كما أن تطور تقنيات النشر وظهور دور نشر متخصصة في كتـــب الأطفال ومجلاتهم ساعدا على إصدار كتب تضـــاهي الكتـــب العالميـــة فـــي مضمونها وشكلها وطريقة إخراجها، وعلى مســـتوى الأدب نفســـه،فإن أهـــم العوامل الفنية التي أدت إلى الارتقاء بأدب الطفل اتساع دائـــرة موضـــوعات الكتابة لتشمل الموضوعات الهامة فـــي حيـــاة الطفـــل مثـــل نظرتـــه لمـــا حوله،ومخاوفه،وحاجاته الأساسية. كما أن مراعاة الكتاب للمراحل العمريـــة المختلفة ساعد في مخاطبة شرائح مختلفة من الأطفال،فالطفولة عبـــارة عـــن مجموعة من المراحل السابقة و اللاحقة لها، فما يكتب لطفل الخامســـة مـــثلاً يختلف عما يكتب لطفل الثامنة من حيث مستوى اللغة، و الموضوع، وطريقة العرض، وشكل وحجم الكتاب.

رؤية مستقبلية للكتابة للطفل

وعلى كاتب أدب الأطفال أن يستعد قبل أن يكتب. ففن الكتابة من أجل الطفل يحتاج إلى فكر درامي متفتح من الطراز الأول، وأن فن الكتابة من أجل الطفل يحتاج إلى إجراء دراسة كل ما يتعلق بحياة الطفل النفسية والخيالية لكي يصل إلى عقليته بسهولة بعيدا عن ترك بصمات سيئة يمكن أن تعكس نتائج عكسية .وضرورة توجه الأدباء إلى التخصص الدقيق في الكتابة للصغار لأنه يعتبر نادرا والكتابة وفقا لقدراتهم العقلية، فكل من يعمل في مجال ثقافة الطفل لابد أن تتوافر لديه المعرفة العميقة الشاملة المتذوقة لنوع الوسيلة التي يتعامل بها مع الطفل وإلا تعذر أن يقدم له مادة قيمة. و أن النص الأدبي المثالي الموجه للطفل يتعين ألا يخلو من عنصر الإثارة مع مراعاة القيم الدينية والسلوكية والاجتماعية والتركيز على العلوم المفيدة المختلفة بأسلوب شيق آخذين في الاعتبار المراحل العمرية للطفل التي قسمتها إلى ثلاث مراحل عمرية مختلفة . كذلك مراعاة قلة عدد الشخصيات في النص وتميزها والتركيز على شخصية واحدة لتجنب التعقيد بهدف تسهيل فهم الهدف من النص الأدبي المؤلف للأطفال.(اللبدي، نزار وصفي، ٢٠٠١،٨٩)

رؤية مستقبلية لمجلات الأطفال:

نجد أن الطفل يجد في مجلات الأطفال – وهو عامل رئيسي في رواجها – أشياء كثيرة تعوضه عن نقص الخبرة، أو يجد فيها إجابات لأسئلته أو أتاحه فرصة القيام بأدوار ومغامرات يحب القيام بها أو صور مسلية وفكاهية تثري حياته الكئيبة أو موضوعات رياضية عن هوايته التي يحبها.وكل هذا يشبع حاجات لدى الأطفال، وهو ما يركز عليه الناشر لمجلات الأطفال.

- رؤية مستقبلية لقصص وأغان وأناشيد الأطفال

١ - عدم نشر ثقافة العنف والانتقام في موضوعات القصص، والالتزام بنشر ثقافة الحوار والتسامح.

٢ - إثارة البهجة والفكاهة في نفس القراء والبعد عن أدب الشقاء والتعاسة.

٣ - تدعيم السلوك السوي من خلال سلوك أشخاص القصص من البداية إلى النهاية، ولا تقتصر القصة الممتلئة بالشر على عبارة خير أو معادة للشر في نهاية القصة.

٤ - مراجعه ما تدعو إليه القصص من سلوكيات الجشع والنفاق ونجاح أصحاب تلك السلوكيات في الحصول على ثمار ذلك مما يرسخ في نفس الأطفال فاعلية هذه السلوكيات فيتصرف بها كنموذج لتحقيق أغراضه.

٥ - الابتعاد عن تصوير الأشرار وأصحاب السلوك السيئ تصويراً مبهراً وخاصة لو كان هناك تميز عنصري واثر ذلك السيئ في نفوس الأطفال.

٦ - عدم التركيز على إظهار الأبطال عادة بالوحشية والغلطة في المشاعر والسعي إلى المال، لان الأطفال ينعكس ذلك على تصرفاتهم، ويصبح تقليد البطل بمظهره وأساليبه في القصة نموذجاً يحتذي به في حياه الطفل يسعى إلى تنفيذه في الواقع والمستقبل.

٧ - نظراً لاتساع مساحة الصور، وقلة مكان الكلام في مجلات الأطفال، وما ينعكس على إضاعة فرصة تنمية ثروة الأطفال اللغوية، وعدم بذل الأطفال جهد في تعلم القراءة، فلابد من مراعاة زيادة نسبة الكلام في مجلات الأطفال.

اختيار نوعية الكتب والقصص:

يجب اختيار الكتب المناسبة في موضوعها وصورها لكل سن، خاصة أن يلاحظ للأطفال من ثلاث إلى خمس سنوات، فالطفل يفضل القصص التي تدور حول الحيوانات، أو حول شخصيات مثل الأب والأم والأخ، أو حول الأحداث اليومية التي يعرفها الأطفال كل المعرفة، مع تسمية كل شخصية بصفة يسهل عليه تمييزها، مثل "الدب الأبيض" أو "ذات الرداء الأحمر"

ويفضل أن تكون شخصيات القصص بما فيها الجماد، متكلمة ولها أصوات وحركات، وكذلك يحسن أن تتضمن القصة إيقاعاً في الكلمات أو الجمل ويتم التركيز على الحركات، وفى جمل قصيرة وشخصيات قليلة، مع التكرار في العبارات والألفاظ.

ويراعى في القصص أيضاً عدم ذكر موضوع الجنيات حيث أن الأطفال قبل الخامسة تختلط في عالمهم الحقيقة بالخيال، فيجدون صعوبة في معايشة الساحرات والعمالقة، وسيصلون في سن السادسة وما بعدها إلى فسحة طويلة من العمر، لا مانع وقتها في ذكر هذه الحكايات الخرافية لهم حيث ستناسب نضجهم العقلي.

ونلاحظ أن هناك قصص وخاصة الشعبية بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الأخلاق، ولا تصلح بذلك لكي تقدم للأطفال، ومن المهم هنا أن يتم إعادة كتبتها لتنقيتها من هذه الشوائب، مع الاحتفاظ بالقيم الايجابية والجيدة ومع الأخذ في الاعتبار أهمية مراعاة الجاذبية والتشويق بها.

مرحلة ما قبل القراءة، نجد أن الكتب تكون قريبة من الألعاب، وقد تصنع من الورق المقوي، حتى تصمد أمام عبث الأطفال وطريقة التعامل

بعنف مع الأشياء، وأيضاً هناك كتب بها أجزاء تتحرك عند فتح الصــفحات وكذلك كتب تصدر عن أغلفتها أصوات موسيقية إذا ضغطنا ع ليها.

الرسوم والصور:

تتميز كتب الأطفال باعتمادهــا علــى الرســوم البســيطة الملونــة الواضحة، التي تقوم بدوراً أساسي في جذب اهتمام الطفــل، بعكــس كتــب الراشدين التي تعتمد على الكلمة، فإن الصور والرسوم تقوم بالدور الرئيســي والأساسي في كتب الأطفال، خاصة صغار السن منهم، وذلك اعتماداً على أن البصر هو ما يعتمد الأطفال عليه في التعرف على العالم المحيط بهم.

الأسلوب القصصي:

يعد الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة تقدم عن طريقها كــل مــا نريد تقديمه للأطفال سواء كان ذلك قيماً دينية أو أخلاقية، معلومات علمية أو جغرافية أو تاريخية، توجيهات سلوكية أو اجتماعية. فالأسلوب القصصــي يمتاز بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث، يمكن أن يكون الوعاء الذي من خلاله نقدم للأطفال ما يفيدهم.

حجم حروف الكتابة للأطفال:

يجب أن يتم اختيار الكتب المناسبة فــي حجــم الحــروف، خاصــة للأطفال قبل سبع سنوات، حيث يصعب على الأطفال تركيز أبصارهم فتــرة طويلة على الأشياء الدقيقة، لذلك يجب في كتب مرحلة ما قبل المدرســة، أن تستخدم حروف الكتابة الكبيرة الحجم جداً.

الكلمات:

هناك لكل مرحلة من المراحل كلمات تناسب مستوى نمــو الطفــل، ومع تقدم السن تزداد حصيلة الكلمات ولهذا فإن كتــب الأطفــال يجــب أن

تراعى حدود الحصيلة اللغوية للطفل الذي يقرأ الكتاب، وألا وجـد القــراءة عملية صعبة غير مفهومة، مما يؤدى به إلى الانصراف عن القراءة خاصـــة عندما يعانى من إحباط ومشقة.

تنمية أدب الأطفال في الوطن العربي من خلال إتباع ما يلي: -

- زيادة عدد المجلات للأطفال في كل البلاد العربية.

- تبنى سياسة إعداد متخصصين في مجال الكتابة للأطفــال، وذلــك بفتح وزيادة عدد كليات الأطفال [رياض الأطفال] ومعاهد الطفولة فـــي كـــل البلاد العربية، وأن يتم عمل أقسام خاصة بكل ما يتعلق بأدب الأطفـــال مـــن كتابة ورسوم وإخراج وغيرها.

- التركيز علي الجانب القومي والثقافي والعلمي المميز للعالم العربي وإبرازه حتى لا يضيع ذلك في طوفان الاختراق الثقافي الوافد من الخـــارج في عصر العولمة.

- محاولة، وإن كان ذلك يبدو مســتحيلاً، منـــع صـــدور المجـــلات الأجنبية المترجمة والتي تقدم قيم تتعارض مع قيمنا وثقافتنا التي نسعى إلـــى تقديمها للطفل العربي، وعلى الأقل يتم إعادة صياغتها حتى تلائم مجتمعاتنـــا العربية.

- إبراز الجوانب العلمية والإيجابية في شخصيات مجلات الأطفـــال لغرس جيل ذو عقلية علمية إيجابية.

- تيسير وصول المجلات الجيدة وضمان وصولها إلـــى المـــدارس ونوادي الطفل ودعمها إذا كانت غالية الثمن وخاصة أن ما ينفق على دعـــم ثقافة الطفل هو أكثر فاعلية على ما ينفق على ترسانات الأسلحة في الـــوطن العربي فثقافة الطفل العربي صارت قضية أمن.

كاتب الأطفال:

بتطلب من كاتب الأطفال في مجالات وأجنـاس الأدب المتنوعـة، قصة أو شعر أو أغاني وأناشيد للأطفال أو مسرح شعري وغير ذلـك، أن يضع نصب عينيه عندما يكتب للطفل العربي في عصـر العولمـة تضـمين الأشكال الأدبية القيم الإيجابية التي تتسق وطبيعة العصر مـن ناحيـة وقـيم صيانة الحرية وحقوق الطفل ومكافحة معوقات التمتع بها والانفتـاح علـى أفضل إنجازات العالم المعاصر ومقاومة الظلـم والتسـامح وقبـول الآخـر والحوار، والسعي لاكتساب المعرفة مدى الحياة والاعتزاز بالهويـة العربيـة دون انغلاق، والصدق، وتحمـل المسـؤولية،والإنجاز والإجـادة والإيثـار والحرص على المصلحة العامة والحفاظ عليها.

ونظراً لافتقادنا لما نسميه " **قاموس الأطفال**" وهو ما ينعكس علـى الكتابة للأطفال بشكل كبير حيث أن كاتب الأطفال لا يجـد أيـة مؤشـرات تعاونه على اختيار الكلمات والألفاظ المناسبة للسن التي يكتب لها.

ولهذا يجب على من يكتب للأطفال أن تكـون لديـه خبـرة فـي القاموس اللغوي الذي يستخدمه هؤلاء الأطفـال، وأن يكـون علـى وعـي ومعرفة بالألفاظ المتداولة بينهم، ومدلولها عندهم.

وأن يستخدم الكلمات التي تشير إلى المعاني الحسية المتعلقة بالبصـر والسمع والحركة واللمس والتذوق والشم وذلك لمراعاة أن الأطفال يتعرفـون على العالم المحيط بهم بحواسهم أكثر مما يتعرفون عليه بمجرد الكلمات.

ومن أدلة الاهتمام بالقراءة على مستوى عالمي نجد أن جامعة مثـل جامعة الينوى بالولايات المتحدة وبالتحديد في كلية التربية بها تم إنشاء مركز بحوث القراءة الذي يتم إنشائه بهدف الارتقاء بتعليم القراءة والكتابة ودراسـة الوضع القائم بالنسبة لتعليم القراءة في الولايات المتحـدة واقتـراح الحلـول

لتحسين هذا الوضع وذلك للخروج من الحالة التي ترتبت على نشـر تقريـر (أمة في خطر) والذي كشف عن أزمة خطيرة فـي الأداء التعليمـي داخـل الولايات المتحدة فعقب ظهور هذا التقرير الشهير قامت الأكاديميـة القوميـة الأمريكية للتربية لحث الجمعيات التربوية المختلفة – كل في مجالها – علـى دراسة هذا الأمر ووضع تصورات لعلاجه ونتيجة لذلك فقـد خـرج تقريـر اللجنة القومية للقراءة ونشر تحت عنوان (أمة قارئ). ورصـدت مدرسـة الطب النفسي بجامعة نيو إنجلاند باستراليا الوسائل المساعدة لتحفيز الأطفال علي القراءة وقد أوصت الأمهات والآباء بالأتي :

١ - القراءة يوميا في المساء للأطفال قبل النـوم حتـى فـي أيـام الإجازات.

٢ - التعليق على موضوع القراءة بصورة إيجابية .

٣ -تنويع القراءة بشكل يومي.

٤ - تعليق حروف اللغة على الجدران وعلى أثاث حجرة الطفل.

٥ - تشجيع الطفل على القراءة والاحتفال به كلما انتهى مـن قـراءة عشرة كتب.

٦ -إعطاء المديح للطفل على حبه للقـراءة وبيـان فوائـد القـراءة ببساطة .

٧ -مساعدة الطفل على تسجيل أسماء الكتب التي قرأها.

٨ -الاستمرار بالقراءة معه لفترات بسيطة حتى بعد أن يعتـاد علـى القراءة بنفسه مع مناقشة ما يقرأ معه.

٩ - تشجيع الطفل على اختيار الكتب التي سيقرؤها حتى يكشف عن مواهبه وميوله منذ سن مبكرة.(هادى نعمان الهيتي،٢٤٠،١٩٨٨)

مواجهة مشكلات القراءة عند الأطفال:

حيث تعتبر مشكلة عدم إقبال كثير من الأطفال العرب على القراءة من المشكلات التي تقف حائلا بين الطفل واستفادته من الأدب المكتوب.

ولمواجهة هذه المشكلة هذه المشكلة نقترح اتخاذ الإجراءات التالية:

١ - تنظيم حلقات يومية بالمكتبات العامة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية يقرأ للأطفال فيها بصوت عال، ونسمع أسئلتهم ونجيب عليها، ثم نسألهم ونناقش إجاباتهم، ونسمح لهم بإعادة رواية ما سمعوه، ويطرحوا أسئلة حول ما سمعوا، وأن يجيبوا بأنفسهم عن هذه الأسئلة، وأن نربط ما قرءوه بالرسم واللعب وبالتمثيل والأغاني وبالموسيقى، فيرسمون موضوعات مما سمعوها أو يؤلفون تمثيلية يؤدونها اعتماداً على ما سمعوه أو قرءوه، وهكذا...

٢ - تكلف الأطفال بكتابة موضوعات لصحيفة الحائط ولابد من الاعتماد على المواد التي يكتبها الأطفال بأنفسهم، وذلك عن خبراتهم الخاصة وبلغتهم وبألفاظهم هم، أي لا تكون موضوعات منقولة، ويلاحظ أن تكون الموضوعات في مجلة الحائط قصيرة جداً لا يتجاوز كل موضوع عدداً قليلاً من الجمل، ويتم تقسيم كل موضوع إلى نقط متميزة، أي مواد كثيرة ولكنها قصيرة حيث أن طولها قد يجعل الأطفال يبتعدون عنها فلا يقرؤها أحد

ومع مراعاة أن تكتب هذه المجلات بخط كبير جداً وواضح جداً، وأن يكون هناك توازن بين المساحة المخصصة للكتابة ومساحة الصور والرسوم، ونقطة هامة أن تعلق المجلات في مستوى بصر الأطفال.

٣ - من المقترحات أيضاً أن يقوم كل طفل بعمل "كراسة للمطالعة" خاصة به يأخذها معه إلى المكتبة ليسجل عليها ما أعجبه، وان يتم الاهتمام بما يكتبه

الأطفال ويقوم المعلم وكذلك ولى الأمر بالاهتمام والعناية يومياً بما كتبه الطفل في كراسته هذه، وأن يدعوه أحياناً إلى أن يقرأ مناه ما كتبه.

٤ - **عقد** ندوات مكتبية، في المدارس والمكتبات العامة والنوادي ومكتبات بيع كتب الأطفال وغيرها من الأماكن المناسبة لتواجد الأطفال، يوم أو يومين محددين من كل أسبوع يعرض فيه طفل أو عدد من الأطفال كتاباً أو قصة معينة، ثم يتلقون الأسئلة حول ذلك الكتاب أو تلك القصة.

٥ - توجيه وتشجيع أولياء أمور الأطفال شراء أو استعارة الكتب المناسبة لأطفالهم وقراءتها لهم في الأماكن المختلفة في المنزل والمواصلات والسفر.

قائمة المراجع:

- أحمد حسن حنوره، أدب الأطفال/ الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٩ م
- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن /، ط ٣،القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م
- إبراهيم محمود، ثقافة الطفل واقع وآفاق: أدب الأطفال وواقع الأطفال في مجتمعنا /. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥ م
- اللبدي، نزار وصفي واقع وتطلعات أدب الطفل دراسة نظرية تطبيقية، العين: دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠١ م
- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة / القاهرة:عالم الكتب، ١٩٩٧ م
- حنان عبد الحميد العناني أدب الأطفال /، ط٣ عمان: دار الفكر، ١٩٩٦
- زهراء الحسيني، الطفل العربي الحديث/ بيروت: دار الهادي، ٢٠٠١ م
- سميح أبو مغلي.دراسات في أدب الأطفال / ط٢. مزيدة ومنقحة، عمان: دار الفكر، ١٩٩٣
- عبد الفتاح أبو معال أدب الأطفال: دراسة وتطبق / عمان: دار الشروق: ٢٠٠١ م –
- على أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية/ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧ م
- علي الحديدي. في أدب الأطفال / ط٧ مزيدة ومنقحة القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦ م.

- محمد السيد حلاوة، كتب ومكتبات الأطفال /. - ط٢ القاهرة: مؤسسة حورس، ٢٠٠٠ م.
- محمد جمال عمرو،المدخل إلى أدب الأطفال/ محمد جمال عمرو عمان: دار النشر،١٩٩٠ م
- محمد عبد الرؤوف الشيخ، أدب الأطفال وبناء الشخصية: منظور تربوي إسلامي / دبي: دار القلم، ١٩٩٤ م
- نجيب.كيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام /. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م
- هادى نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١ ١٩٧٧، ط٢ ١٩٨٦م.
- هادى نعمان الهيتي، صحافة الأطفال في العراق: نشأتها وتطورها مع تحليل لمحتواها وتقييمها، ١٩٩١، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- هادى نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, مارس ١٩٨٨.
- هيفاء خليل شرايحة، أدب الأطفال ومكتباتهم ط٢، عمان: المطبعة الموطنة ومكتبتها، ١٩٨٣م

*Hunt Peter. international companion Encyclopedia of Children's Literature ,London Rutledge, 1996